مع الله

الاسم الأعظم
وقصة الأسماء الحسنى

....

الطبعة الثامنة

مزيدة ومنقحة

ربيع أول ١٤٣٤ هـ



مع الله

الاسم الأعظم

وقصة الأسماء الحسنى

الشيخ الدكتور: سلمان بن فهد العودة

ح الإسلام اليوم للنشر، ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العودة، سلمان العودة

مع الله الاسم الأعظم وقصة الأسماء الحسنى / سلمان العودة

العودة - الرياض، ١٤٣٠ هـ

٣٦٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

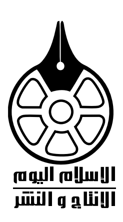
ردمك: ٤ - ٣ - ٩٠٠٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الأسماء والصفات أ. العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٣٠ / ١٨٩١

رقم الإيداع: ١٤٣٠/ ١٨٩١

ردمك: ٤ - ٣ - ٩٠٠٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨



ص.ب: ٢٨٥٧٧ - الرمز: ١١٤٤٧

info@islamtoday.net

www.islamtoday.net

إصدارات الإسلام اليوم

الطبعة الثامنة - ربيع أول ١٤٣٤هـ



@salman_alodah

/SalmanAlodah

salman@islamtoday.net

www.islamtoday.net/salman

www.youtube.com/drsalmantv

الرياض:

هاتف: ٠١٢٠٨١٩٢٠

فاكس: ٠١٢٠٨١٩٠٢

بريدة:

هاتف: ٠٦٣٨٢٦٤٦٦

فاكس: ٠٦٣٨٣٠٠٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثامنة

شكرًا لك يا رب حين ألهمتني أَنْ أكتُبَ في مديحِك والثناءِ عليك، بينما يَكتُبُ آخرونَ ويَجْهَدُون في مدحِ فلانٍ وفلان.. الذين خُلِقُوا من الترابِ، وإلى الترابِ يعودُونَ.

شكرًا لك يا رب حين أَذِنْتَ بأن يَحْظَى هذا الكتابُ بشيء من القبول لدى بعض خلقك على ما تَعْلَمُه من قصورِ العبارةِ، وتردُّد النيَّةِ، وضعفِ العمل.

شكرًا لك يا رب في كل حين، وبكلِّ لُغةٍ، وإزاءَ كلِّ نعمةٍ، شكرًا لك كما تحب، وكما يجب، وكما يطيق أحد أن يشكرك، وأنَّى لأحدٍ من خلقك أن يطيق شكرك، إلا بمدد من عندك، وشكره لك نعمة متجددة تستحق شكرًا جديدًا !

إذا كان شُكري نعمـةَ اللهِ نعمــةً ... عليَّ له في مِثْلِها يَجِــبُ الشُّكــرُ

فكيف أَقومُ الدَّهرَ في بعض حقِّهِ ... وإنْ طالتِ الأيَّامُ واتَّصلَ العمرُ

أما بعد:

فهذه هي **الطبعة السابعة** للكتاب، تصدر محفوفة بالعديد من الإضافات والتعديلات، وقد أضفت لهذه الطبعة مقالًا جديدًا بعنوان: «**عقلي المؤمن**».

وهي فرصةٌ لشُكر أولئك الذين واصلونا وسدَّدُونا، ونبهونا إلى مواضع نقص أو تعديلٍ، وشكر أولئك الذين كانوا سببًا في نشر الكتاب وتوزيعه، تقبَّل الله منهم وغفر لهم، وأوسعَ في رزقهم، وأصلح ذرياتهم.

وإنني أَطْمَحُ من قرَّاء هذا الكتاب إلى التواصل معي عبر وسائل الاتصال؛ لتوصيل أي ملحوظة أو اقتراح أو نقد أو تعديل؛ فهذه التغذية الراجعة، هي

دومًا من مصادر فرحي وسعادتي، وهي تُسْهِم في تطويري ذاتيًّا، مثلما تُسْهِم في تطوير الكتاب وتحسينه، والشكر لكل مَن يقتطع جزءًا من وقته لقراءة الكتاب، أو يضيف جزءًا آخر لكتابة تعديل أو تصويب وإرساله إليَّ.

وأزف البشرى بتمام ترجمة الكتاب للغة الإنجليزية، واللغة الصينية، واللغة التركية، واللغة المالديفية، واللغة الفارسية، فتحية لكل الذين ساعدونا في الترجمة، وإلى المزيد من التوفيق بفضل الله ورحمته.

المؤلف

١٢ / ٣/ ١٤٣٤ هـ

الرياض

@salman_alodah
/SalmanAlodah
salman@islamtoday.net
www.islamtoday.net/salman
www.youtube.com/drsalmantv

يا رب

إذا نحن أَثْنَيْنَا عليك بصالحٍ فأنت الذي نُثني، وفوق الذي نُثني

«أبو نُوَاس»

يا رب

لكم مِنَنٌ تُفْني الثناءَ كأنما بكم أَقْسَمَتْ ألا يُؤدَّى لها شُكْرُ

«المتنبي»

يا رب

يَجِلُّ عن التشبيه جلَّ جلاله ولا تَسْلَمُ الأعداءُ منه، ويَسْلَمُ

ولا يُبرَمُ الأمرُ الذي هو حالِلٌ ولا يُحلَلُ الأمرُ الذي هو مُبرِمُ

«المتنبي»

يا رب

الأمرُ أمرُك والقلوبُ خوافقُ في موقفٍ بين الـمَنِيَّةِ والـمُنى

«المتنبي»

يا رب

وأَمَا وحَقِّكَ وهو غايةُ مُقْسِم لَلْحَقُّ أنتَ وما سواك الباطلُ

ما دارَ في الـحَنَكِ اللسانُ وقَلَّبَتْ قلمًا بأحسنَ مِنْ ثَنَاكَ أَناملُ

«المتنبي»

يا رب

دعاني إليك العلمُ والحِلْمُ والحِجَى وهذا الكلامُ النَّظْمُ والنّائلُ النّثرُ

«المتنبي»

يا رب

وُعودُك حقٌّ لم نَزَلْ في انتظارِها وكلُّ الرَّزايا في جوارِكَ تصغر

ودينك يسرٌ واعتدالٌ ورحمةٌ ونورُك في كلِّ الدَّياجيرِ يُسْفِرُ

أحبُّك، والعقلُ الحصيفُ يَقودُني إليك، وقلبي بالصَّبابةِ يأمرُ

«سلمان العودة»

يا رب

ربي لك الحمدُ لا أُحْصي الجميلَ إذا نَفَثْتُ يومًا شَكاةَ القلب في كرب

فلا تُؤاخِذْ إذا زلَّ اللسانُ، وما شيءٌ سوى الحمدِ في الضرَّاءِ يَجْمُلُ بي

لك الحياةُ كما تَرْضى بَشاشَتَها فيما تُحِبُّ، وإن باتت على غضب

رضيتُ في حُبِّك الأيامَ جائرةً فعَلْقَمُ الدهر إن أرضاك كالعذِب

«عصام العطار»

يا رب

أَمْطِرْ عليَّ سَحابَ جُودِكَ ثَرَّةً وانظر إليَّ برحمةٍ لا أغرَقُ

«المتنبي»

لهذا الكتاب قصة

كنتُ كثيرًا ما أَضِيقُ ذَرْعًا بانغماسِ أبنائي وإخواني مِن الفتيان والفتيات في مماحكاتٍ وهميَّة، أو حكاياتٍ جانبيَّة، تستنزف وقتَهم، وتأكل جهدَهم، ولا تَزيدُهم مِن الخير إلا بُعدًا، على أنها تُفْضِي بينهم العداوةَ والبغضاءَ، وتصدُّهم عن ذكر الله، وعن الصَّلاة، ولكنَّ لها سَكرةً وإدمانًا كسَكرةِ الخمرة، وإدمانها، يَعِزُّ الخلاصُ منها، ولو كانت مذهبة للعقل مطردة للرُّشْدِ، شأنها شأن أختها حُمَيَّا الكأس!

وكنتُ أَرى أن أعظمَ ما يزجر عن ذلك هو غمسُهم في معالي المسائل وأصولها وكبارها، التي لا يملكون التقليلَ مِن شأنها، ولا الغضَّ مِن قدْرها، وكان موضوع الألوهية رأسَ هذه الموضوعات وأسَّها.

ثم وجدتُ أن طَرْق هذا البابِ ليس علاجًا فحسب لبوادرَ ضارَّةٍ مِن شرود الفكرِ وانغلاقهِ وتعصُّبه، بل هو علاجٌ لكلِّ سلبياتِ الفكرِ وطموحِه وغرورِه وتضخُّمه واندفاعه، أو تطرُّفه وتزمُّته وضلاله.

بل وجدتُ ذلك علاجًا لكلِّ مشكلات الحياة وهمومها وغمومها وصِعابها ومتاعبها وعقباتها النفسيَّة والصحيَّة والوظيفيَّة والزوجيَّة والدِّراسيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة وسواها.

فبذكره تَرْكَنُ النَّفسُ إلى قوةٍ لا تضعف، وتجد مِن العزاء والهدوء والسَّكن والرِّضا

ما يعزِّز جانبَ الصَّبر والإصرار، ويدفع غوائل الطَّيش والعجلة واليأس والإحباط.

ووجدتُ ذِكْره سهلًا في عبارته لكلِّ أحد، متاحًا لكلِّ مريد، لا إجراءاتٍ، ولا حُرَّاسَ، ولا أبوابَ موصدة، عقِب كلِّ طاعةٍ أو معصيةٍ، وحالَ كلِّ نعمةٍ أو نازلةٍ، وكلما غفل العبدُ ثم ذكر، أو نام ثم استيقظ، أو أخطأ ثم ندم.

فوجدتُه ذلك الدَّواءَ الذي يُذكَر مقدمةً لكلِّ علاجٍ، عضويًّا كان أو معنويًّا، ويُوصَف لكلِّ مريض أو شاكٍ، ويُنصَح به كلُّ كبير وصغيرٍ، أو مأمورٍ وأميرٍ، أو غنيٍّ وفقيرٍ، فلا غِنًى عن الله العليِّ الكبير.

وبدأت في تقديم حلقاتٍ إعلاميَّةٍ تحت هذا العنوان «مع الله» بُثَّتْ في عدد من القنوات، كتلفزيونِ قَطَر، وقناةِ المجد، ووُزِّعت في شرائطَ صوتيَّةٍ، وكان ما فيها هو ما أطاقته الذاكرةُ من المعلوماتِ والأخبارِ والأشعار والمعاني.

فوجدتُ الهمَّةَ بعد ذلك مواتيةً للرجوع إلى المادة من جديد، وصياغتها، وإضافةِ ما عزُب عن الذِّهن إليها، والانتفاع بمراجعَ سابقةٍ تناولَت الحديثَ عنها من هذا الجانب أو ذاك، حتى اكتمل الكتابُ على هذه الصُّورة، ولعَمْرُ الحقِّ إنها لغَيْضٌ من فَيْضٍ، وقليلٌ من كثيرٍ، ولكنَّها جهدُ الـمُقِلِّ، كما قال المتنبي:

جزى الله الـمَسيرَ إليك خيرًا ... وإنْ تَرَكَ الـمَطايا كالـمَزَادِ

لقد أعدتُ قراءة الكتاب بعد تحريره أكثرَ مِن عشر مرات؛ أزيد وأعيد، وأعدِّل وأصحِّح، وأضيف وأحذف، وأسدِّد وأقارب، وقرأت العديد من الكتب والرَّسائل الجامعيَّة والبحوث القَيِّمة؛ ألتقطُ منها ما يلائم السِّياق؛ رغبةً في أن يكون العملُ أكملَ وأفضلَ.

وكان معي في هذا العمل أخي وصديقي ورفيقُ دربي الدكتورُ عبدُ الوهَّاب بنُ ناصرٍ الطّريريُّ، يصحِّح ويعدِّل ويشير ويتابع، جازاه الله جزاء الأوفياء، وأقامه مقام الأصفياء، ورزقه مرافقة الأنبياء، وجزى كلَّ الإخوة الذين كانوا وراء هذا العملِ مِن الجنود المجهولين الذين يبتغون ما عند الله ويلتمسون فضلَه ورضاه.

وله قصة أيضا

عرفتُ عزَّ الدِّين بنَ أبي الحديد شارحًا لـ«نهج البلاغة»، وانطبع في رُوعي عنه أمرٌ غيرُ محمودٍ.

ثم تعجَّبْتُ لما رأيتُ ابن تيمية رحمه الله يقول عنه في «درء التعارض»[(١)]:

وكان ابن أبي الحديد البغداديُّ من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة، وله أشعار في هذا الباب -يعني: باب الألوهيَّة وعدم إطلاق النظر العقلي المجرد فيها- كقوله:

فيك يا أُغْلوطةَ الفِكْرِ ... حارَ أمري وانقضى عمري

سافَرَتْ فيك العقولُ فما ... ربحتْ إلا أذى السفرِ

فلحى الله الأُولَى زعموا ... أنك المعروفُ بالنَّظرِ

كذبوا إن الذي ذكروا ... خارجٌ عن قوةِ البشرِ

هذا مع إنشاده :

وحقِّكَ لو أدخلتَني النارَ قلتُ لِلْـ ... ـلَذين بها قد كنتُ ممن يحبُّه

وأفنيتُ عمري في علـــومٍ كثيرةٍ ... وما بُغْيتي إلا رضاه وقربُه

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٩).

أما قلتمُ : مَن كان فينا مجاهدًا سيُكرَمُ مثواه ويَعذُب شربُه
أما ردَّ شكَّ ابنِ الخطيـــب وزيغَــه وتمويهَه في الدِّين إذ جلَّ خطبُه[1]
أما كـــان ينوي الحقَّ فيما يقـــولُه ألم تَنْصرِ التوحيدَ والعدلَ كُتْبُه

وفي بعض المصادر زيادة على هذا:

هَبوني مسيئًا أوسع الحلمُ جهلَه وأوبقه دون البريَّةِ ذنبُه
أما يقتضي شرعُ التَّكرُّمِ عفوَه أيحسُن أن يُمحى هواه وحبُّه
وغايةُ صِدْقِ الصَّبِّ أن يعذُبَ الأسى إذا كان مَن يهوى عليه يصبُّه

وقد عارض صلاح الدِّين الصفديُّ[2] هذه الأبيات، وعزَّز مقام الفخر الرَّازيِّ.

وفي «الصَّواعق المرسلة»[3]، ذكر ابنُ القيم ابنَ أبي الحديد في سياق له، وذكر أنه من أفضل أهل زمانه، واستشهد بهذه الأبيات، وذكر اعترافه بأن المعقولاتِ لم تعطِه في شأن الألوهيَّة إلا حيرة، وأنه لم يصل منها إلى يقين ولا علم..

في «شرح نهج البلاغة»[4]، يقول ابنُ أبي الحديد- وهي في ديوانه أيضًا، وقد قرأتها في بعض كتب ابن تيمية، ولكن عزُب عني موضعُها الآن-: ومما قلته أيضًا في قصور العقل عن معرفته سبحانه وتعالى:

فيك يا أعجوبةَ الكَوْ نِ غدا الفِكْرُ كليلا
أنت حيَّرْتَ ذوي اللُّبْـ ـبِ وبلبلتَ العقولا
كلما أَقْدَمَ فكري فيك شبرًا فرَّ ميلا
ناكصًا يخبط في عَمْـ ـياءَ لا يُهْدَى السبيلا

(١) له تعليقات على كتابَيْ «المحصَّل» و«المحصول» لفخر الدِّين، وهو ابنُ الخطيب، وكأن هذا هو المقصود، أنه ردَّ على الرازي ونقد بعض أقواله.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات (١٨/ ٤٦-٤٧).

(٣) الصَّواعق المرسلة (٢/ ٦٦٧).

(٤) شرح نهج البلاغة (١٣/ ٥١).

هذه العاطفة الصَّادقة، والحبُّ الإلهيُّ، والانكسار والخضوع، وهذه المعرفة بأن شأن الله أعظمُ أن يحيط به عقل، أو يَحْكُمَه إدراك، هي ما شدَّني إلى الأبيات، ومِن قبل كان عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

العَجزُ عَن دَرَكِ الإِدراكِ إدراكُ وَالبَحثُ عَن سِرِّ ذاتِ السِّرِّ إِشراكُ[١]

في مقابل قوله:

دَواؤُكَ فيكَ وَما تُبصِرُ وَدَاؤُكَ مِنكَ وَما تَشعُرُ
وتَزعُمُ أَنَّكَ جِرمٌ صَغير وَفيكَ انطَوى العالَمُ الأَكبَرُ

فالكفُّ عن تقحُّم مقاماتِ الألوهيَّة، والإيمانُ الجادّ بها وبما جاء به الأنبياء والرُّسل عليهم السلام بشأنها؛ هو العزيمة والحزم.

وصرفُ العقل عن متاهات التَّفكير التي حيَّرت أولي الألباب، وجعلت نيران الرُّدود تشتعل ما بين ابن أبي الحديد والفخر الرَّازيِّ، والمدارس الكلاميَّة المختلفة؛ كان هو السببَ في قعود العقل الإسلاميِّ عن الابتكار والتَّفكير والاكتشاف، وخوضِ غمرات التَّجربة الإنسانيَّة بكافَّة مجاليها.

والتَّحدي العالميُّ القائمُ يفرض على الحكماء الغيورين ترسيخَ الإيمان الصَّادق، بعيدًا عن المماحكات والمخاصمات والمعارك، ودعوةَ العقول إلى ارتياد الآفاق بحريَّة، والمشاركةَ في حلبة الإنجاز والكشف والعلوم التي غدت ثَوَرَاتُها تتسارع، في حين يَعْجِزُ أهلُ الإسلام عن مواكبتها أو فهمها، فضلًا عن أن يُسْهموا فيها؛ فلتكن معرفةُ الله تعالى وَقودًا دافعًا للحياة وللإبداع وللتفوق، وأن نقطع في سَنَةٍ ما قطعه الآخرون في سنوات، فالرَّبُّ تعالى يقول: «**إذا تَقرَّبَ العبدُ منِّي شبرًا تقرَّبتُ منه ذراعًا، وإذا تقرَّبَ منِّي ذراعًا تقرَّبتُ منه باعًا**». متفق عليه[٢].

---

(١) نُسب أول هذا البيت إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وقد ضعَّف ابن تيمية رحمه الله نسبته إليه. ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢١٦). وسيأتي شطره الثاني في أول الكتاب غير منسوب بلفظ: «والبحث في ذاته كفر وإشراك».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إن هذا السِّفْر الذي بين يديك يحاول هذا وذاك، يحاول معرفةً إيمانيَّةً بالله، لا تتحوَّل إلى مماحكات وخصومات وجدلٍ عقيم، ويحاول ربط هذه المعرفة والإيمان بسلوكٍ حياتيٍّ ناضجٍ مع النَّفس ومع المجتمع، ومع تطورات الحياة البشريَّة وإنجازاتِها، إنه يحاول أن يصِل المسلمَ بربِّه ودينه، ليصلَه بعصره وحياته وحياة النَّاس مِن حوله.

فهل حقَّق الكتاب ولو جزءًا مِن هذا الهدف؟

ذلك ما آملُه وأرجوه، وإلا يكن، فلعلَّ في دعوة صادقة بظهر الغيب مِن قلب طهور، أو تسديد وتصويب وتكميل مِن عقل راشد، ما يحقِّق بعض ذلك.

والسَّلامُ على المؤمنين جميعًا ورحمةُ الله وبركاتُه.

د. سلمان بن فهد العودة

في يوم عرفة/ ذي الحجة ١٤٢٩هـ

○ ○ ○ ○

الحب أولاً ..!



الحب أولًا .. !

حين تعيد قراءة الأسماء الحسنى؛ ستجد مفاجأة بانتظارك!

ليس من بين هذه الأسماء المذكورة اسم تمحَّض للأخذ والعقاب والعذاب.

فيها: أسماءُ الرَّحمة والوُدِّ واللُّطف، وأسماءُ العلم والإحاطة، وأسماء الـخَلْق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير، وأسماءُ القدرة والقوة، وأسماءُ العلوِّ والعظمة، وأسماءُ الجمالِ والجلال والكمال...

فيها: الرحمن، الرحيم، الغفور، السلام، الوهَّاب، الرَّزَّاق، الفتاح، اللطيف، الجميل، المجيب، الودود، الصمد، البَـرُّ، العفوُّ، الرؤوف، الغني، النُّور، الطيب، المنان، الجَوَاد، ذو الفضل،.. إلخ، وليس فيها: المعذِّب، المنتقم، الآخذ، الباطش.

وهل «شديد العقاب» اسم من الأسماء الحسنى ؟!

الأصح أنه ليس من الأسماء الحسنى، بل هو وصفٌ لعقابه، بمنزلة قولنا: «عقابُه شديدٌ»، وبمنزلة قولنا: «عذابُه أليمٌ»، وهذه لا تكون في أسمائه الحسنى عز وجل. وهذا الذي اختاره ابن تيمية وابن القيم وجمع من المحققين:

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليس من أسماء الله الحسنى اسمٌ يتضمن الشر، إنما يُذكر الشرُّ في مفعولاته؛ كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩،٥٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقوله عز وجل: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ

﴿وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٢-١٤]»[١].

وقال: «وليس في أسمائه الحسنى إلا اسمٌ يُمدحُ به؛ ولهذا كانت كلُّها حسنى..»[٢].

ومثل ذلك قاله ابن القيم: «إن أسماءه كلَّها حسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً .. وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض، لا شرَّ فيها؛ لأنه لو فَعلَ الشرَّ لاشتُقَّ له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، وهذا باطل؛ فالشر ليس إليه ..»[٣].

وقال: «إن النعيمَ والثوابَ من مقتضى رحمتِه ومغفرتِه وبرِّه وكرمِه؛ ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه، وأمَّا العذابُ والعقوبةُ، فإنما هو من مخلوقاته؛ ولذلك لا يسمى بالمعاقِب والمعذِّب، بل يفرق بينهما، فيجعل ذلك من أوصافه، وهذا من مفعولاته، حتى في الآية الواحدة، كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩،٥٠]»[٤].

ويقول الدكتور عمر الأشقر: «لا يدخلُ في أسماءِ الله ما كان من صفات أفعاله، أو صفاتِ أسمائه، مثل: شديدُ العقابِ، وسريعُ العقابِ، وسريعُ الحسابِ، وشديدُ المحالِ، ورفيعُ الدرجاتِ..»[٥].

وهكذا قال غير واحد: إنها لم تُستعمل إلا مضافةً أو موصوفةً على غير سبيل التَّسمِّي، بل على سبيلِ الوَصْفِ أو الإخبار، فلا تستعمل إلا بالصِّفةِ التي ورَدَتْ.

وليس مما توجب أسماؤه الحسنى ألَّا يزال معاقِبًا على الدَّوام، أو غضبانَ على الدَّوامِ، أو منتقِمًا على الدَّوام، وتأمُّلُ هذا المعنى يفتح للنفس آفاقًا من الفقهِ في أسمائه وصفاتِه، ويزيد معرفتَه ومحبَّتَه، ولذا كان النبيُّ ﷺ يقولُ في دعائِه كما في «صحيح

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦).
(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٨٢).
(٣) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ١٧١).
(٤) ينظر: حادي الأرواح (ص ٢٦٤).
(٥) ينظر: أسماء الله وصفاته (ص ٦١).

مسلم»: «والشَّرُّ لَيسَ إليكَ»[1]، ومعناه على التحقيق: إنَّ الشرَّ لا يُضاف إلى الله، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، فإنَّ له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاتُه كلُّها صفاتُ كمال يُحمد عليها، ويُثنى عليه بها، وأفعالُه كلُّها خيرٌ ورحمةٌ وعدلٌ وحكمةٌ، وأسماؤُه كلُّها حسنى، فكيف يُضاف الشر إليه؟!!

بل الشرُّ يقع في مفعولاته ومخلوقاته منفصِلاً غير قائم به سبحانه، وله في ذلك من الحكمة ما لا يحيط البشر به علمًا.

إن هذا المعنى يتأكَّد بدراسةِ الأسماء الحسنى كما دوَّنها العلماء، وهو يدل على أن الفقيهَ والداعيةَ ينبغي أن يعرِّف العبادَ بربهم؛ مقدمًا أسماءَه الكريمةَ الحسنى المشتملةَ على برِّه وجوده ورحمته ولطفه وعفوه ومغفرته.

ويدلُّ على أنَّ هذا خيرُ ما يسوق العباد إلى ربهم، وهو شعورُ الحبِّ الذي يُجمِع العلماء على أنه أفضلُ شعور، وأنبلُ إحساسٍ، وأنه مُقدَّم على الخوفِ والرجاءِ.

والحبُّ لا يلغي الرجاء، ولا الخوف، وهما في الفطرة الإنسانية؛ ولذا كان الأنبياء يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، وتضرُّعًا وخيفةً، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٥ و٥٦]، بَيْدَ أَنَّ تَأَمُّلَ الحكمةِ في اختصاص الأسماء الحسنى بمعاني المدح المطلق والثناء المطلق، يسمحُ باقتباس هذا الدرسِ العظيم النافع في الدعوة والتربية والبناء والتعليم .

وليس من الوفاء لهذا الدرس العميق، أن نقررَه وأيدينا على قلوبنا، ونحن ننتظر أن ينتهيَ التقريرُ لنسارعَ ونقول: نعم .. ولكن!

من حق المعاني العظيمة أن تُقرَّرَ بعيدًا عنِ المخاوفِ، وتأخذَ حقَّها في النفوس، والدروس، وفي الحياة العملية، دون أن نُصاب بداء الثنائية والحدِّية؛ الذي يجعلنا نظنُّ

---

(١) صحيح مسلم (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه.

أنَّ تقرير هذا المعنى يفضي إلى إلغاء جانب الخوف أو الرهبة أو الوَجَلِ.

بل يقرَّرُ هذا في سياقه بأَرْيَحِيَّةٍ تامَّةٍ، ويقرَّر غيرُه بأَرْيَحِيَّةٍ كذلك، وهي معانٍ تتكامل وتتعاضد ولا تتعاند.

ولو أننا قهرنا أنفسنا على هذا؛ لأَوْرَثَنا فقهًا أَوسعَ، وفتح لنا أبوابًا من الخير ربَّما حُرِمْناها بعجلتِنا، ورحمةُ الله تعالى خيرٌ لنا من أعمالِنا، فاللَّهمَّ ارْحَمْنا، ولا تَكِلْنا إلى أنفُسِنا.

❍ ❍ ❍ ❍

عقلي المؤمن



عقلي المؤمن

أشكر ربي أجزل الشكر وأوفاه على نعمة العقل ونعمة الإيمان.

بالعقل يصبح المرء مؤمنًا؛ إذ غير العاقل لا يُخَاطب بالإيمان أصلًا؛ فالعقل يدلُّ على الله قبل النقل؛ ولذا لا يُجَادَل الملحد بآيات الكتاب ولا بروايات الأنبياء، وإنما يُجَادَل بحجج الله في كونه، والتي منها ما ساقه الله من الاستدلال على وجوده بالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والأنفس والآفاق، والنبات والحيوان، وكل شيء ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ...﴾ الآيات [الطور: ٣٥ - ٣٦].

والعقل هو الذي يفهم الخطاب الإلهي ويجريه على قواعد اللغة ودلالات الألفاظ والتراكيب، ويوفِّق بين مشكِله، وينزِّله على مواقعه، ويحقق مناطاته في حياة الناس.

وجدتُ العديد من الشباب يتساءل عن الإيمان، وأدلة الله القاطعة أين هي؟

فكان مما قلته لأحدهم: المؤمن قد تقع له الشبهة أو الشبهتان، وقد يعرض له الوسواس، ونحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[١].

وسواء أجاب على الشبهة، أو عجز، أو توقف، أو تناساها، أو صبر عليها والتزم

(١) صحيح البخاري (٣٣٧٢)، وصحيح مسلم (١٥١).

بدينه وصلاته، يظل إيمانه أقوى منها وأرسخ ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: ١٤].

لكن حدِّثْني عن الملحد، ما حُجَّته في الإلحاد؟ وكيف يجيب على واردات تخطر على عقله، ما مَخْلَصُه منها، وهي بعدد الأنفاس؟!

كيف يجيب الملحد على قصة الخلق التي تجعل الجماد حيًّا يتحرك وينمو ويحس ويتكلم ويعقل ويسمع ويبصر؟

كيف يجيب الملحد على سؤال الخلية المعجزة؟.. كيف وُجدت وتكوَّنت، وكيف تشكَّلت ضمن منظومة متكاملة من نظائرها؛ لتكون إنسانًا أو حيوانًا؟.. وعلى صغرها اللامرئي، فهي تحتوي على النواة (Nucleus) العقل المدبِّر الذي يتحكَّم في كل العمليات الحيوية وتحمل الشفرة الوراثية أو الحمض النووي (DNA) والذي يحتوي على التعليمات الجينية التي تصف التطور البيولوجي للكائنات الحية ومعظم الفيروسات، وهي بمثابة الحبات في المسبحة، وللجينات لغة تخاطب بها الخلية، حيث تنقل إليها رسائل تقرؤها الخلية، فتنفذ ما فيها من تعليمات وأوامر في منتهى الدقة، ولغة الجينات تتألف من أربعة حروف هي (G ، T ، C ، A)، وكلماتها تتألف من ثلاثة حروف، ولتلك اللغة شفرات لكي تفهمها الخلية.

كيف يجيب الملحد على سؤال المجرة الضخمة المنضبطة في مدارها، المؤدية لدورها؟.. وهي نظام كوني مكوَّن من تجمع هائل من النجوم والغبار والغازات، والمادة المظلمة، التي ترتبط معًا بقوى الجذب المتبادلة وتدور حول مركز مشترك، ويقدِّر العلماء بشكل تقريبي عدد المجرات في الكون المشاهد بمائة بليون مجرة، وتحتوي كل مجرة في المتوسط على مائة بليون نجم، وما يتبع هذا النجم من كواكب وأقمار، ويبلغ متوسط المسافة بين مجرتين متجاورتين (٢٥) بليون بليون كيلومتر، أو ما يعادل (٢,٥) مليون سنة ضوئية!!!

كيف يجيب الملحد عن سؤال الروح التي تسري في جسد الإنسان وتغادره حال النوم جزئيًّا، وحال الموت إلى أجل مسمى؟

كيف يجيب الملحد عن كل شيء متقن منظم في الكون والحياة.. مَن وراءه وما وراءه؟!

هل القول بالصدفة جواب علمي..؟

كم «**شبهة**» ستعرض لمَن يقول بالصدفة.. لتتحول إلى سؤال حقيقي محرج لمَن يحترم عقله، ولتكشف زيف هذا الجواب البعيد عن منطق العلم وعلم المنطق؟

لو أن إنسانًا انتحل الإلحاد مذهبًا.. فهل سيكون قادرًا على الإجابة على سؤالات بعدد ذرات الكون وخلايا الإنسان، وهو لا يجد إلا جوابًا واحدًا، أن يقول: **إن الأمر وجد اتفاقًا دون ترتيب؟!**

هل يحترم العلم المحض شخصًا يؤمن بالنواميس والسنن والقوانين الفيزيائية الصغيرة ثم يكفر بما وراءها.. ويحيل إلى الفوضى والغموض والأجوبة السطحية الساذجة التي لا ترشد عقلًا ولا تهدي قلبًا.. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

إن الإلحاد خرافة تحتقر العقل البشري، قبل أن تكون مذهبًا يحتقر الإيمان.

ولا شيء يحترم العقل كالإيمان بالله الخالق، الذي أبدع وأحكم وأتقن، وأراد أن يكون هذا إنسانًا، وهذا حيوانًا، وهذا شجرًا، وهذا جمادًا، وهذا قمرًا، وهذا كوكبًا.

هل ادَّعى أحد أنه خَلَقَ، أو شَارَكَ في الخلق؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

لن يقبل عقلي الصغير المتواضع أن تكون الكرة التي يدحرجها طفلي الصغير، ثم يركض وراءها وُجدت دون سبب وجهد وقصد.. فكيف يقبل أن يكون ذلك الطفل الحي الجميل وُجِد دون إرادة عليا تشرف عليه، وتراقب تدرجه في مراحل الخلق والحياة، ثم ترثه لاستكمال الحكمة البالغة.

أم كيف يقبل أن تكون الكرة الأرضية بمَن عليها وما عليها لم تخضع للقصد والإرادة والحكمة؟.. وهي التي تحفل بترليونات الخصائص في مائها وهوائها وجزئياتها ونورها وظلمتها وناسها.

أم كيف يقبل أن الكون بمجاهله وعوالمه الهائلة، وامتداداته التي يعجز العقل

والعلم عن الإحاطة بها أو سبر أبعادها، أو الوصول إلى نهاياتها، أو حل رموزها وألغازها.. كيف يمكن أن يكون هذا كله عبر ما لا يُحصى من السنوات الزمنية، وفي امتدادات لا يحصيها إلا الله من السنوات الضوئية.. ثم بتطاول السنين والأيام – عبثًا ومصادفة ساذجة غير مقصودة؟!

إن الذي يعلمه الناس أن تطاول السنين إذا خلا من الحكمة والعلة يهدم ولا يبني ويفسد ولا يصلح، وتخيَّل سيارة أو آلة أو بيتًا أو مؤسسة قد هرمت وتقادم عليها العمر دون أن يكون لها مَن يعتني بها أو يصلح فاسدها أو يتفقد احتياجها.

بل هل شهد الكون تحول نوع إلى نوع على ما تخيلته بعض النظريات لكنها عجزت عن إثباته، ولم تفلح جهودها المتواصلة في الكشف عن أي دليل مادي عليها؟

فعلى صعيد العقل المجرد يكون الإيمان هو الجواب العلمي الوحيد.. وليس يضير أن يبقى العقل عاجزًا عن الإحاطة، لأنه عقل محدود محصور لا يتجاوز العوازل المادية، شأنه شأن الحواس الإنسانية الأخرى.

وحين يركن العقل لهذا الإيمان سيجد أن الرسالات السماوية تعزِّز إيمانه بتاريخ الأنبياء الطويل، وتواردهم على المعنى الأساس للتوحيد والغيب والآخرة، وأثرهم الضخم البالغ في الحياة البشرية عبر أحقابها المتطاولة.

وسيجد أن القلب بمشاعره وعواطفه وأحاسيسه يألف هذا المعنى ويستجيب له، ويذعن لعظمته ويستشعر الحب والرحمة واليقين، حتى حين يفرِّط في جنب الله، ثم يعود إليه مستغفرًا مسترحمًا، فيحس بالرضا ويداوي ألم البعد والغفلة والعصيان بجرعات التسبيح وطلب الصفح والغفران.

ويجد أن ثَمَّ مَن يحفظه ويكلؤه، ويحميه ويساعده وينصره، ويصبر عليه ويحلم، ويمنحه الصحة والرزق والقوة والعمر والسعادة، دون أن يكون محتاجًا إليه في شيء؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦ – ٥٨]، ويتحول الإيمان مع الزمن والمجاهدة والصبر إلى قناعة ضرورية فوق الأدلة والحجج، فضلًا عن الشبهات، فهي أعظم

الحجج وأقوى الأدلة وبه يُستدل على غيره، وليس يُستدل بغيره عليه.

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ   إِذا اِحتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ

وحتى لو أفلحت تلك النظريات في إثبات تحول جزئي، فهل يملك هذا الزعم تفسير الحياة كلها بأنها مجرد تطور؟ هل يتطور الصلب الجامد إلى حي متحرك من جراء ذاته؟ إن معجزة الخلق شيء مذهل!

وإن الإلحاد لهو أكبر أكذوبة في حياة العالم، وهو في الوقت ذاته البؤس الإنساني القاتل حين يتسلط على نفس فيسلبها أخص خصائصها.

من أعظم ميزات الإيمان أنه البسيط المعقَّد، فهو العملية السهلة المباشرة التي يجيب بها الطفل أو الرجل الساذج أو الجاهل عن سؤالات الكون دون عناء، وهو الملجأ الذي يُهْرَع إليه الملايين من البشر إذا سدت في وجوههم الأبواب، وانقطعت الأسباب.

وفي الوقت ذاته فهو الجواب المحكم المدروس الذي يتوصل إليه أساطين العلوم في الفضاء أو الحيوان أو علوم الطبيعة دون تردد، وهو العقيدة الواضحة التي يقر بها المؤمنون كافة، ثم هو المركب الصعب الذي يحار فيه الفكر ويصدق عليه قول القائل:

فيك يا أعجوبةَ الكَوْ   نِ غدا الفِكْرُ كليلا
أنت حيَّرْتَ ذوي اللُّبْـ   ـبِ وبلبلتَ العقولا
كلما أَقْدَمَ فكري   فيك شبرًا فرَّ ميلا
ناكصًا يخبط في عَمْـ   ـياءَ لا يُهْدَى السبيلا[1]

أفهم أن الإلحاد خاطر عابر لا قرار له ولا ثبات، أو شبهة عارضة أورثت صاحبها شكًّا، ولكنه ليس جوابًا.

كما أفهم أنه مذهب سياسي أو رفض مجتمعي قد يخطر ببال بعض الناقمين على

---

(١) ينظر ما تقدم (ص١١).

أنظمة سياسية أو اجتماعية تنتسب إلى الدين.

لكنني لا أفهم كيف يمكن أن يظل الإنسان ملحدًا لزمن طويل، وكيف يمكن أن يجيب على طوفان الأسئلة الإثباتية في تفاصيل الكون والحياة، وكيف يمكن أن يتخلَّص من ضغط الأدلة الفطرية، لا أقول الكامنة، بل المعلنة الصارخة في كل زاوية ومنعطف وسبيل؟

قد ترى مثل عبد الله القصيمي الذي كان إلحاده فكرًا ونقمة على أوضاع محلية وإقليمية، ودوَّنه في العديد من كتبه التي كانت فتنة لبعض قرَّائه في وقته، ثم انتهى أمره- كما تروي ممرضته - أنه في غيبوبة مرضه كان يتمتم بآيات من كتاب الله عز وجل.




معرفة الله

معرفة الله

جدير بالمؤمن أن يكون مع الله سبحانه وتعالى في تَقَلُّب أحواله: في قوَّته وضعفه.. في غناه وفقره.. في فرحه وحزنه.. في شبابه وهَرَمه.. في ظاهره وباطنه..

مع الله في سُبُحَات الفِكَر ... مع الله في لمحات البَصَر
مع الله في وَمَضَاتِ الكَرَى ... مع الله عند امتدادِ السَّهَر
مع الله والقلبُ في نشوةٍ ... مع الله والنفسُ تشكو الضَّجَر
مع الله في أمسيَ الـمُنْقَضي ... مع الله في غَدِيَ المنتظَر
مع الله في عُنْفُوانِ الصِّبا ... مع الله في الضَّعفِ عندَ الكِبَرِ
مع الله قبلَ حياتي وفيها ... وما بعدها عند سُكنى الـحُفَر
مع الله في الجِدِّ من أَمْرِنا ... مع الله في جَلَساتِ السَّمَر
مع الله في حبِّ أهلِ التُّقى ... مع الله في كُرْهِ مَن قد فَجَر

إن الحديث عن سير العظماء والأكابر، والمصلحين من أئمة التاريخ والإسلام والعلم والحضارة شيء جميل جدًّا.

ولكن أجود منه التحدث عن سير النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وعن إمامهم وقائدهم محمد ﷺ.

وأولى من ذلك كله وأعظم أن نتحدث عن عظمة ربنا سبحانه وتعالى، وعن أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأن نتعرف إليه، كما قال النبي ﷺ: «**تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يَعْرِفْكَ في الشدة**»[1]. فنتعرف إلى الله تعالى بتلاوةِ وتدبرِ أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

إن التعرُّف إلى الله عز وجل هو سَلْوى الحزين، وأمان الخائف، وعزُّ الذليل، وقوة الضعيف، وغنى الفقير، وهو الجاه العظيم الذي لا ينقطع ولا يتوقف، ولا يعتريه ضعف أو نقص.

إننا نجد كل الناس؛ أكابرهم وعظماءهم، وأغنياءهم وملوكهم، ورؤساءهم، يضطرون إلى الله سبحانه وتعالى.

فإذا ألَـمَّت بالشخص مُلِمَّة، أو نزلت به نازلة، أو عاجله موت، أو داهمه هَمٌّ أو مرض، فإنه يفزع إلى الله تبارك وتعالى ويصيح: «يا الله»!

حتى أولئك الذين ربما مرَّت بهم لحظات تنكروا فيها لوجود الله عز وجل، أو قضى الواحد منهم زمنًا طويلًا يحاضر ويناظر على إنكار وجود الله سبحانه وجحوده، فما هو إلا أن يقع في كُرْبة، ويشعر بالضعف البشري الإنساني، فإذا هو يصيح بوعي أو بغير وعي: «يا الله»!

وها هو فرعون سيدهم الأول؛ الذي تبجح، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨]، قادته الضرورة في آخر أمره وهو في وسط البحر بعد أن أدركه الغرق إلى أن قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠]، فآمن بالله عز وجل، ودعاه وناداه، ولكن بعد فوات الأوان، قال سبحانه: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩١-٩٢].

وهكذا المستكبرون الذين ابتعدوا عن الله عز وجل، أو تنكّروا له، واغتروا بزُخْرُف الحياة الدنيا، من سلطتها ومالها، وجمالها، قد يعودون إلى الله عز وجل، لكنْ بعد فوات

---

(١) جزء من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك...**». أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/ ٥٤١)، والبيهقي في الشعب (١٠٠٠٠)، وغيرهم.

الأوان وعند الانتقال من عالم الاختيار إلى عالم الاضطرار، ومن عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وهي ساعة لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ﴾ [غافر:٨٥].

وللواحد منا أن يتخيل كيف كانت نهاية أولئك الجبابرة الذين نردِّد أسماءهم كثيرًا، أمثال: جنكيز خان، وهولاكو، وهتلر، وستالين، وغيرهم من أباطرة الدنيا الذين لم يكن لطاعة الله تعالى في وجودهم حظٌّ ولا نصيب.

فلماذا لا يكون المؤمن مقبلًا على الله عز وجل بطَوْعه واختياره، بدلًا من أن يكون مسوقًا إلى الله تعالى بسوط الضرورة؟

إن القرب من الله تبارك وتعالى لا يحرمك شيئًا من لَذَّة الحياة الدنيا المباحة، أو متاعها الطيب، بل هو ينمِّي هذه المتعة ويباركها ويزكِّيها وينظمها، ويحمي الإنسان من المرتع الوبيء والمستنقع الآسن مما لا خير فيه للإنسان في دنياه ولا في أخراه.

إن أجمل الأوقات وأطيبها هو ما قضاه العبد قريبًا من ربه تبارك وتعالى، ذاكرًا، أو مناجيًا، أو شاكرًا، أو عابدًا، أو في أمر من أمور حياته الدنيا، يستشعر به طاعته لله عز وجل، أو نفعه لإخوانه المسلمين، أو خدمته لأمته، فإن الله سبحانه وتعالى قد وسع على عباده، فقال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

إنه ربك القريب منك، فنَبْضُ قلبك، وتَأَلُّق فكرك، وحركة جسدك، وتَقَلُّب زمانك، وليلك ونهارك كله بيده سبحانه وتعالى، لا يعزُب عنه مثقال ذرة من شأنك، ولا يغيب عنه حال من أحوالك.

قال سبحانه وتعالى عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦].

كم يَعِزُّ عليك أن تنسى قريبًا من أحبابك طالما خفق قلبك بمحبته، واشرأبَّت نفسك إلى لقائه والجلوس معه.

يعز عليك أن تنسى نفسًا كريمة وقفت معك في أزمة أو كرب، أو يدًا أمسكت بك في وقت شدة وضعف.. فالله تبارك وتعالى أعظم من ذلك كله، هو أقرب إليك من

حبل الوريد، فلا يليق بمن آمن بربه عز وجل أن ينساه لحظة من حياته.

فلنتعرف إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وإلى آثار هذه الأسماء والصفات في حياتنا، فكل حياتنا وحياة من حولنا من البشر، والجماد، والحيوان، والأملاك والأفلاك، أثر من آثار عظمة الله تبارك وتعالى وقدرته.

كلما أَمْعنَ الدُّجى وتحالَك	شِمْتُ في غَوْرِه الرهيبِ جلالَك
وتراءت لعينِ قلبي برايا	من جمالٍ آنستُ فيه جمالَك
وترآى لَمَسْمَعِ القلبِ همسٌ	مِن شِفاهِ النجوم يتلو الثَّنا لك
واعتراني تَأَلُّهٌ وخشوعٌ	واحتواني الشعورُ أني حِيالَك
ما تمالَكْتُ أن يخرَّ كياني	عابدًا خاشعًا ومَن يتمالَك

إن الكون كله منخرط في مهرجان ضخم هائل حافل كبير يسبِّح الله تبارك وتعالى، فالسموات والأرض، والنجوم والجبال، والشجر والدواب، وكل شيء يسبح الله عز وجل، ويتلو الثناء له والتمجيد والاعتراف بعظمته وألوهيته، وسلطانه الكامل وقدرته التامَّة، وأَحَدِيَّته، وسَرْمَدِيَّتِه، ومجده وعظمته ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

فهلم نشارك في هذا المهرجان العظيم؛ فنذكر الله تبارك وتعالى، ونسبح بحمده.

وحين يُسَاقُ السَّحابُ الجوادُ	ليُحْيِيَ في الأرضِ مَيْتَ القبور
أفرُّ إلى ساحةِ الساجدين	أشارِكُ في مهرجانٍ كبير
أبيعُ ورَبِّي مني اشترى	أبيعُ الحياةَ ولا أستشير
أرى كبرياءً بلونِ السماء	ووَمْضِ البروقِ ولَفْحِ الهجير

إن لله تبارك وتعالى أسماء حسنى، وصفات عليا، ولهذه الأسماء والصفات عبوديات عظيمة ومقتضيات في حياة الإنسان المؤمن.

ولهذا يجدر به أن يتعرف إلى الله تبارك وتعالى بهذه الأسماء والصفات، فإنها أشرف العلوم وأعظمها وأجملها وأزكاها.

قد يقرأ أحدنا في التاريخ عن أحداث ماضية؛ فيجد نفسه منساقًا إلى قصص وأخبار، ومعارك وروايات، وقد يعيش معها يومًا بعد يوم، وربما كان كثير منها روايات خيالية ينساق معها لمجرد المتعة، ومع ذلك يتابعها مشدودًا بحب الاستطلاع.

فكيف ترى حينما يتذكر المرء أنه يتعرف إلى الله تبارك وتعالى بعظمته التي لا تحيط بها العقول، ولا تُدْرِكها الأوهام، ولا تستوعبها اللغات؟!

إن المؤمن يقتبس شيئًا من هذه العظمة؛ يستنير بها في طريقه، ويطمئن بها قلبه، ويكشف بها الظلمات التي تعتريه، وما أحوجنا في هذا العصر الذي تكالبت فيه على البشرية ألوان من المظالم والمآثم، والصعوبات والعقبات، وأصبح الإنسان عامة، والمسلم خاصة يعاني ألوانًا من المخاوف والاحتمالات والتوقعات، فما أحوجنا إلى الله تبارك وتعالى، وإلى التعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العُلى، وإلى أن نتوجه إليه تبارك وتعالى -وهو الغني عنا- بمحبتنا وتَأَلُّهِنا، وذِكْرنا واستغفارنا، بما يكون صفاءً لقلوبنا، وزادًا إلى آخرتنا، ومرضاة وقربى وزلفى إليه تبارك وتعالى.

إنني أقدِّمُ هذا الكتاب عرفانًا بجميلك يا ربِّ، وشكرًا لأفضالك، حروفٌ ملؤها التسبيح لك، والسجود لعظمتك، والإقرار بجلالك بالمنِّ، وللنفس بالعيب والغفلة والجهالة والاغترار، وما غرَّها إلا سَعة رحمتك، ومديد إمهالك، وصبرك وحلمك على الخاطئين، فاقبل يا ربِّ هذا الثناء عليك، على قصور العبارة، وتردُّد المقصد، واجعله لكلِّ مشارك فيه ثوابًا في صحيفته، وغفرانًا لزلته. سبحانك وبحمدك.




أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى

يا رب

بك أستجيرُ، ومَن يُجِيرُ سواكا فَأَجِرْ ضعيفًا يحتمي بحماكا

إني ضعيفٌ أستعينُ على قوى ذنبي ومعصيتي ببعضِ قواكا

يا مُدْرِكَ الأبصارِ والأبصارُ لا تدري له ولكُنْهِه إدراكا

أتراك عينٌ والعيونُ لها مَدَى ما جَاوَزَتْه ولا مَدًى لمداكا

إن لم تكن عيني تراك فإنني في كلِّ شيءٍ أستبينُ عُلاكا

يا مُنْبِتَ الأزهارِ عاطرةَ الشَّذَا هذا الشَّذَا الفوَّاحُ نَفْحُ شَذاكا

يا مُجْرِيَ الأنهارِ عاذبةَ النَّدى ما خابَ يومًا مَن دعا ورجاكا

ربَّاه قد أَفْلَتُّ مِن أَسْرِ الهوى واستقبلَ القلبُ الخليُّ هواكا

وتركتُ أُنْسي بالحياة ولَهْوِها ولقيتُ كلَّ الأُنْسِ في نَجْواكا

ونسيتُ حُبِّي واعتزلْتُ أَحِبَّتي ونسيتُ نفسي خوفَ أن أنساكا

أنا كنتُ -يا ربِّي- أسيرَ غِشاوةٍ رَانَتْ على قلبي فَضَلَّ سَناكا

واليومَ ها أنا ذا مَسَحْتُ غِشاوتي وبدأتُ بالقلبِ البصيرِ أراكا

يا غافرَ الذنبِ العظيمِ وقابلًا للتَّوْبِ قَلْبٌ تائبٌ ناجاكا

أترُدُّه وترُدُّ صادقَ توبةٍ حاشاك ترفضُ تائبًا حاشاكا

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**». متفق عليه[١].

وقد جاء في بعض روايات الحديث زيادة عدد هذه الأسماء الحسنى: «**هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك القدوس...**». إلى آخر الحديث الذي عدَّ فيه تسعة وتسعين اسمًا لله عز وجل.

وهذه الزيادة انفرد بها الترمذي[٢]- وعند ابن ماجه[٣] أيضًا من طريق آخر- ولا تصح مرفوعة إلى النبي ﷺ، كما أجمع عليه المحققون من أهل العلم وأهل الحديث[٤].

ولنا مع هذا الحديث الجليل العظيم وقفات:

أولًا: أسماء الله تبارك وتعالى كثيرة، بل كما قال ربنا عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

فلله عز وجل من معاني الحمد والمجد، والكمال والعظمة، والقوة والقدرة والسلطان ما لا يحيط به بَشَر، ولا يُدرِكه عقل، ولا يقف عند منتهى كُنْهه إدراك؛ وهذا الحديث لا يعني قصر الأسماء الحسنى على التسعة والتسعين، بل إن النبي ﷺ قال في الحديث

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٣٦)، وصحيح مسلم (٢٦٧٧).

(٢) جامع الترمذي (٣٥٠٧).

(٣) سنن ابن ماجه (٣٨٦١).

(٤) ينظر: الضعفاء للعقيلي (٣/ ١٥)، وجزء فيه طرق حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» لأبي نعيم الأصبهاني، والفوائد لتمام (٦٠٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٣)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٣٨٠)، (٨/ ٩٦- ٩٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٧)، وفتح الباري (١١/ ٢٢١)، والتلخيص الحبير (٤/ ١٧٢)، والأمالي المطلقة لابن حجر (ص:٢٢٧-٢٤٨)، والديباج للسيوطي (٦/ ٤٧)، وفتح العلام لشرح بلوغ المرام لصديق حسن خان (١٢٨٤)، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد الحمود النجدي (١/ ٤٩-٦٢).

الصحيح -الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه- مناجيًا وداعيًا ربه تبارك وتعالى: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علمتَه أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك...**»[١].

وذكر في حديث الشفاعة أنه يسجد ﷺ تحت العرش، فيفتح الله عليه بمحامد يعلِّمها الله له، لم يكن يَعْلَمها من قبل[٢].

فلِرَبنا تبارك وتعالى أسماء سمَّى بها نفسه، منها ما أنزله في كتابه، كالأسماء الموجودة في القرآن، وقد أوصلها بعضهم إلى واحد وثمانين اسمًا[٣]، ومنها ما علَّمه الله تعالى بعض خلقه من الأنبياء والمرسلين، أو الملائكة المقربين، أو ما شاء الله تبارك وتعالى.

ومن أسمائه سبحانه وتعالى ما استأثر بها في علم الغيب عنده، فلا يعلمه أحد، وذلك أن لله تعالى من معاني العظمة ما لا تستطيع المخلوقات إدراكه؛ لأنه الإله الحق المبين، له الجمال المطلق، والكمال المطلق، والجلال المطلق، والعظمة التامة، والقدرة الكاملة، فلله تعالى أسماء وصفات لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما لهذه الأسماء التسعة والتسعين خصائص معينة؛ منها أن من أحصاها دخل الجنة، كما قال الصادق المصدوق ﷺ.

وقد وجدتُ أن المرءَ إذا ألَـمَّت به ضائقة، أو حاصره كرب يجد الروح والأنس والطمأنينة في توسُّلات متتابعة إلى الربِّ العظيم القادر، مما يحفظ ويعلم، ثم يدعو بتوسُّلات مما لا يحيط به، ولكن يعوِّل على ما دعا به غيره، كأن يقول: أسألك بما سألك به أهل السماء والأرض، والبرِّ والبحر، والدنيا والآخرة، والنبيون والصديقون، والشهداء والصالحون، وما سألك به محمد ﷺ ... فهذا مِن محاسن التوسُّل.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان (٩٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٨).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٧٤١٠)، وصحيح مسلم (١٩٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٠-٣٥٠) عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ من سورة الأعراف، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين رحمه الله (ص:١٥).

ثانيًا: أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية، فلا يحق لأحد من الناس أن يخترع لله تعالى اسمًا، وقد يتكلم الناس عن ربهم بألوان المجد والحمد والثناء والخير، وهو باب واسع تكلم عنه العلماء والمبدعون والأدباء والشعراء، بل ربما تجد أعرابيًّا أو فلاحًا أُمِّـيًّا، أو مؤمنًا حديث عهد بإيمان يعرف ربه، وينبض قلبه بحبه؛ فيتكلم لسانه بألوان من الكلام الجميل العظيم في تمجيد الله تعالى، ومدحه والثناء عليه، وهذا لا غبار عليه؛ لأنه من باب الإخبار والثناء بمحمود الفعال، ولكن الكلام هو في باب الأسماء، فلا يجوز أن يتحول هذا الكلام إلى اسم لله عز وجل، يُنادَى به، ويُسمَّى به، وينسب إليه، فالأسماء توقيفية، لا يحل لأحد أن يخترع لله تبارك وتعالى اسمًا حتى من الأخبار التي جاءت في القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى يتكلم ويقول، ولكن لا يسمى المتكلم أو القائل، وإنما أسماؤه سبحانه ما جاء في القرآن أو السنة بصفة الاسم، مثل: (الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، العزيز، الحكيم، العَلِي، العظيم، المؤمن، المهيمن...).

أذكرُ أنني قرأت في كتاب «العقائد» للشيخ حسن البنا رحمه الله إنكار تسميته سبحانه بـ «مهندس الكون الأعظم». وهذا حسن.

ثالثًا: من أسماء الله الحسنى ما يختص به سبحانه، فلا يجوز أن يُسَمَّى بها غيره، وهي «**الرحمن**»، «**الله**» ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:١١٠]؛ ولهذا لا يتسمى أحد بهذين الاسمين من المخلوقين قط إلا قصمه الله تعالى، كما فعل بمُسَيْلِمة حينما تسمَّى باسم الرحمن، فقتله الله وأباده وأخمل ذِكْره، وكانوا يسمونه: رحمان اليمامة. فعاقبه الله بما حصل له من سوء السمعة، والكلام الذي جرى عليه في حياته وبعد مماته، فـ «الله» و«الرحمن» من الأسماء التي لا يُسمَّى بها أحد إلا الله عز وجل.

وبقية الأسماء قد يسمى بها غيره، كالسميع، والبصير، والإنسان يوصف بذلك ويسمى، كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

وكذلك الرؤوف الرحيم، والعلي، والكبير، والخبير، وسواها، ولكن بين الوصفين من الفرق كما بين الخالق والمخلوق، فإن للعبد من الحقيقة والصفة معنىً يناسبه، فحينما

نصف العبد بأنه سميع أو بصير؛ نتحدث عن مستوى من السمع والبصر تَحُدُّه الحدود والسدود، والحواجز، وله قدر معين لا يتجاوزه، أما ربنا عز وجل فله من هذه الصفات أعلاها وأوفاها، وأكملها وأجملها، مما لا تحيط به العقول، ولا تدركه الأفهام.

العجزُ عن دَرَك الإدراك إدراكُ والبحثُ في ذاته كفرٌ وإشراكُ

فقد يسمى العبد ببعض أسماء الله تبارك وتعالى، ولكن بين حقيقة الاسم لله عز وجل، وحقيقة الاسم للمخلوق بون شاسع عظيم.

رابعًا: من أسماء الله عز وجل ما يجوز أن يُذْكَر وحده منفردًا؛ كالعزيز، والحميد، والحكيم، والرحيم، والعليم، والخبير، والبصير... وما أشبه ذلك، فتناديه بها، وتدعوه بها، وتعرفه بها سبحانه.

ومن الأسماء ما لا يُذْكَر إلا مع نظيره، بأن تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو «النافع الضار»، أو «القابض الباسط»، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تكون متقابلة، فلو وصفت ربك تبارك وتعالى بأنه الضار فحسب، أو القابض فحسب؛ لكان هذا مُوهِمًا لمعنى لا يليق بمجد الله تعالى وكرمه وعظمته وكماله وقدسيته؛ فلهذا لا تُذْكَر هذه الأسماء منفردة، وإنما تذكر مع نظيرها، ومقابلها.

خامسًا: معنى الإحصاء في قوله ﷺ: «**إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**». يشمل أمورًا منها:

الأول: معرفة هذه الأسماء وحِفْظها، بحيث يستطيع الإنسان أن يعدَّها عدًّا، وقد اعتنى جماعة من أهل العلم بِعَدِّ هذه الأسماء، كالزَّجَّاج، وابن منده، وابن حزم، وأبي حامد الغزالي، وابن العربي، والقرطبي، وغيرهم، ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين، وعمر الأشقر، ومحمد الحمود النجدي، وغيرهم من المصنفين والعلماء الذين اعتنوا بذكر هذه الأسماء وتَعْدادها، واستخراجها من القرآن والسنة النبوية الصحيحة[١].

---

(١) ينظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام القرطبي، وتفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحاق الزجاج، وشرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين.

وهذا داخل في معنى إحصاء أسماء الله الحسنى، وفضل عظيم للإنسان أن يكون عنده إلمام ومعرفة بأسماء الله عز وجل، وأن يتلوها، وأن يدعو الله بها، ولذا يَحْسُن أن يجمعها المؤمن في ورقة أو لوحة، ويجعلها نُصْب عينيه في غرفته أو سيارته؛ لينال بركة ذكرها ويَسْهل عليه حفظها.

الثاني: من معاني إحصائها: معرفة معانيها، فإن هذه الأسماء ليست أسماء رمزية، ولا وهمية، ولا جامدة، ولا غامضة المعنى، وإنما هي بلسان عربي مبين، أُريدَ من الإنسان أن يتفهم معانيها، فلا بد أن يَطَّلع الإنسان ولو على كتاب مختصر يفسِّر له معنى الاسم الإلهي.

فهَلُمَّ نتعرف على معاني هذه الأسماء؛ حتى تكون تلاوتنا لها ذات معنى، وليس مجرد ترديد لألفاظ لا نفقه ما وراءها، وهذا بحَدِّ ذاته مكسب عظيم، يبارك النفس ويزكيها، ويرتقي بالقلب والعقل والروح والوجدان إلى مدارج الكمال ومعارجه.

الثالث: الإلحاح بالدعاء لله عز وجل بهذه الأسماء، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠].

إن الله تبارك وتعالى يحب أن يدعى بها؛ ولهذا قيل:

لا تسألَنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجَبُ
اللهُ يغضبُ إنْ تركتَ سؤالَه وبُنَيُّ آدمَ حين يُسْأَلُ يَغضَبُ

رأيتُ مرة رجلًا غضب على بائع، فاستقبل القبلة في البلد الحرام (مكة)، ورفع يديه مبتهلًا، وسَرَدَ الأسماء الحسنى بنَفَس واحد، فتعجَّبْتُ مِن حفظه لهذا السرد الشريف، ومِن جهله وضيق نَفْسِه، مما جعله يضعها في غير موضعها، ويستعجل الدعاء بها عند أول بادرة خلاف شخصيٍّ، لا يتحقق إن كان فيه ظالمًا أو مظلومًا!

فندعو الله تعالى بأسمائه الحسنى باعتدال وفقه.

والدعاء يشتمل على معنيين:

الأول: دعاء المسألة. بأن تدعو الله تعالى وتسأله وترجوه فيما ألَمَّ بك من أمر دنياك

وآخرتك مما تحب وترجو، أو مما تخاف وتكره.

والمعنى الثاني: دعاء العبادة. ويُقْصَد به: التعبد لله تعالى بهذه الأسماء، باستحضار معانيها، وتَأَمُّلها وتَدَبُّرِها والتعبد بمقتضياتها، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والذكر والاستحضار.

كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الله تعالى عالم يحب العلماء، جميل يحب الجمال، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين...»(١).

فإذا اقتبس الإنسان من نور هذه الأسماء الحسنى، وتعلَّم منها، وتربَّى عليها وأطاقها، فإنه يكون بذلك قد أحصى أسماء الله عز وجل.

أذكرُ أنني قرأتُ في كتاب «حسن التنبه» للغَزِّي حديثًا لفظه: «**تخلَّقوا بأخلاق الله**». وهو حديث لا يصح(٢)، ولكن معناه ومراده هو كما ذكر ابن القيم رحمه الله أنه سبحانه عَفُوٌّ يحب العفو، ويثيب العافين عن الناس، جَوَاد يحب الجود، ستير يحب الستر، رحيم يرحم الرحماء..

ومن ذلك: قراءة القرآن؛ لاشتماله على أسماء الله تعالى الحسنى، ويدخل في ذلك أن يستحضر الإنسان معانيها، فيكون الله تعالى معه في كل حال، ويكون عنده من التوكل على الله والإنابة إليه ومراقبته والإيمان به والتفويض إليه، وغير ذلك من المعاني العظيمة ما يستغني به، ويحقِّق به معنى هذه الأسماء الحسنى.

الرابع: استحضار معاني تلك الأسماء؛ فإن شر ما يُبتلى به الناس: الغفلةُ والاستغراق في ماديات الحياة، والانسياق وراء صوارفها.

وخيرُ دواءٍ للقلوب هو استحضار عظمة علَّام الغيوب، والتدرج بالنفس في مراقي معرفته والإيمان به سبحانه، حتى تصل إلى درجة: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»، فهذا يزيد المرء إقبالًا على الطاعة وحفاوة ونشاطًا، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩].

---

(١) عدة الصابرين (ص:٢٤١).

(٢) ينظر: السلسلة الضعيفة (٢٨٢٢).

كما أن استشعار معاني هذه الأسماء يزيد المؤمن إعراضًا عن المعصية وزهدًا فيها، وإسراعًا في الإقلاع عنها، وقوة في التوبة والأوبة؛ لِـمَا يحسُّ به من وحشة القلب والبعد عن الرب، ولِما يُحاذره ويستشعره من غضبه أو عَتَبِهِ أو مؤاخذته سبحانه للعبد على إقامته على الذنب.

إن للعلماء مسالك شتى في فهم الحديث، وفي طريقة الإحصاء، سَيَرِدُ شيء منها، ولا ينبغي أن يتشاحَّ المتفقِّهون في إحصاء الأسماء، أو أن يحولوها إلى مادة للجدل والخصام، فإن مِن خير ما تُوْرِثه تلك الأسماء الصفاءَ والسكينةَ والوئام، والإحجام عن الناس، والتواضع لذي الجلال؛ إلى سَعة العقل والفهم والإدراك، ولعلَّ مِن إحصائها ألا تتحوَّل إلى مادة للخصام أو الجدل الأكاديميِّ، الذي لا يثمر معرفة قلبية، على أن البحث العلمي الهادئ مطلب لا بدَّ منه لمن أراد سلوك الطريق.

○ ○ ○ ○

الاسم الأعظم

مع الله في القلب حين انكسر — مع الله في الدمع لما انْهَمَر
مع الله في الروح فوقَ السَّما — مع الله في الجسم لما عَثَر
مع الله في نَسَمات الصباح — وعند المسا في ظلال القمر
مع الله في جاريات الرياح — تُثِيرُ السَّحابَ فَيهْمِي المطر
فتصحو الحياةُ ويربو النبات — وتزهو الزهورُ ويحلو الثَّمَر
مع الله في الجُرْح لـمَّا انمحى — مع الله في العظم لـمَّا انْجَبَر
مع الله في الكَرْب لـمَّا انجلى — مع الله في الهَمِّ لـمَّا اندَثَر
مع الله في سَكَنات الفؤاد — وتسليمِه بالقضا والقَدَر
مع الله حين يثورُ الضمير — وتصحو البصيرةُ..يصحو البصر

عرَّف الله تعالى نفسه لخلقه بأسماء كلها حسنى، وصفات كلها عليا، فهل لله تعالى اسم خاص يصحُّ أن يوصف بأنه الاسم الأعظم؟ وهل يعرفه الناس أو لا يعرفونه؟ وهل صحَّ فيه أثر؟ وهل لهذا الاسم خاصية أو معنى يميزه عن غيره من الأسماء؟

ذهب بعض العلماء إلى أنه لا يوجد لله تعالى اسم يوصف بأنه الاسم الأعظم، كما

ذكر ذلك الإمام الطبري وابن حبان والباقلاني وغيرهم، فإنهم نفوا أن يكون لله عز وجل اسم أعظم، وقالوا: كل أسمائه حسنى، وكل صفاته عليا، ولا يتميز بعضها عن بعض، ولا يفرق بين هذه الأسماء، ولا بين تلك الصفات.

لكن الأكثرية من أهل العلم يثبتون لله تبارك وتعالى الاسم الأعظم، وقد ورد في ذلك أحاديث عديدة عن النبي ﷺ، فمن هذه الأحاديث:

عن بُرَيْدَة بن الحُصيب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سمع رجلًا يدعو، وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد». فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أَعطى**».

وهذا الحديث رواه أهل السنن، وأحمد، وغيرهم، وسنده جيد[1]، بل هو أصحُّ ما ورد عن النبي ﷺ في باب الاسم الأعظم.

وهو دليل على وجود الاسم الأعظم، وعلى تعينه ضمن مجموعة الأسماء: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد**».

وبعضهم يُخْطئ فيزيد كلمة «الفرد» فيقول: «الأحد الفرد الصمد». ولفظ «الفرد» لم يرد في شيء من النصوص لا في القرآن، ولا في الحديث، ولا فيما عدَّه أهل العلم من أسماء الله تعالى الحسنى، فهي زيادة لا محل لها، وبعضهم يدرجه في الحديث، وليس له أصل.

وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه، أن رجلًا دعا، وقال: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم». فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أَعطى**».

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٧٤)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٨٩٢)، والحاكم (١/ ٥٠٤)، وغيرهم.

وهذا الحديث رواه أهل السنن، وأحمد[1]، وما سبق أصح، وثَمَّةَ أحاديث أخرى في هذا الباب.

فهذه الأحاديث تدل على أن لله عز وجل اسمًا عظيمًا، فهل هذا الاسم معين؟ وهل هو اسم «الله» كما يقوله قوم؟ لأن لفظ «الله» هو الاسم الذي تنسب إليه الأسماء الأخرى، فيقال: «الله الملك، الله الخالق، الله الرازق، الله المحيي، الله المميت، الله العليم، الله السميع، الله البصير...». وكما في سورة الإخلاص، وهو الاسم الذي يدل على الألوهية، وعلى التعبد له سبحانه، أو هو «الحي القَيُّوم» كما ورد في بعض النصوص؟ أقوال لأهل العلم.

والذي يبدو أنه وإن كان الحديث الأول أصح، والذي فيه أنه «الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد»، إلا أننا لو أضفنا إليه الحديث الآخر أيضًا فقلنا: «المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، الحي القَيُّوم». لكنا أحطنا بمجموع الأحاديث التي يُحْتَمل أن يكون الاسم منها.

وقيل: المراد بالاسم الأعظم: كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقًا، بحيث لا يكون في فكره حالتئذٍ غير الله تعالى، فإن من تَأَتَّى له ذلك استُجِيب له. ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق، وعن الجُنَيْد، وعن غيرهما[2].

وهذا وإن كان معنى صحيحًا بذاته، إلا أنه ليس هو الاسم الأعظم.

وثَمَّةَ معنى في إخفاء الاسم الأعظم وعدم تعيينه، كما أخفى الله عنا تعيين ليلة القدر، وإن كانت حقًّا وثابتة، إلا أنه لم يوجد تحديد يقطع الخلاف حولها، وذلك حتى يكون الناس أكثر حرصًا عليها، وتحرِّيًا لها، وحتى يتفاوت الناس في ذلك، فمنهم من قد يجتهد الشهر كله، ومنهم من يجتهد في العشر، ومنهم من يجتهد في الأوتار، ومنهم من قد يقتصر اجتهاده على ليلة واحدة كليلة سبع وعشرين.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢١٥٠، ١٣٠٨١)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (١/ ٥٠٣-٥٠٤)، وغيرهم.

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

وكذا إخفاء ساعة الإجابة من يوم الجمعة.

فكذلك الاسم الأعظم، يستوعب المرء الأسماء الثابتة كلها، عسى أن يصيب اسم الله الأعظم جلَّ وتقدَّس.

والراجح أن لله تعالى اسمًا عظيمًا له مَيْزات وخصائص، منها: أن الله عز وجل إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعِي به أجاب، وأن هذا الاسم في مجموع قولنا: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، الحي القَيُّوم».

فإذا دعا الإنسان بهذا الدعاء الجامع فإنه حينئذ قد دعا الله تعالى، وسأله باسمه الأعظم، وجمع في ذلك ما ورد من النصوص، خاصة إذا جمع قلبه على ذلك، وصدق انقطاعه لربه، ولُجْؤُه إليه، وتنصَّل من التَّعَلُّق بالبشر والطمع فيهم.

وقد رأيتُ كثيرًا مِن المكروبين والمصابين والمهمومين مِن النساء والرجال والضعفاء، ومَن ألَمَّت بهم نوازل في أنفسهم، أو أهليهم، أو أموالهم، أو أولادهم، أو بصفة أعمَّ في بلادهم وأوطانهم ومشاريعهم العامَّة يجدون روحًا وأُنْسًا في المناداة والمناجاة بالسؤال باسمه الأعظم، والإحالة في ذلك إلى علمه جلَّ وتعالى.

وهذا -والله أعلم- لا يشمل من يدعو وقلبه غافل لاهٍ، وربما يدعو بالاسم الأعظم، فهنا لم تحصل المواطأة بين القلب، واللسان، فلا يتحقق للعبد حينئذ كمال الوعد، وربنا سبحانه وتعالى ذكر عن المشركين: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، فالمشركون إذا ركبوا في الفلك دعوا الله عز وجل، وتضرَّعوا إليه، وقد انقطعت بهم الأسباب، فيكون من جَرَّاء ذلك صدق دعائهم فيجابون وينجون.

إن على العبد إذا أقبل على ربه أن يُقْبِل عليه بقلبه ولسانه وجوارحه، في كمال الانكسار والافتقار.

يقول البعض: إن هذا الاسم الأعظم هو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [النمل:٤٠]، قالوا: إنه دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به

أعطى، وإذا دُعي به أجاب.

وبعضهم يقول: إن الاسم الأعظم هو في الحروف المقطعة في أوائل السور كـ(حم، عسق، كهيعص)، وهذه أشياء ليس عليها دليل، وإنما هي ظنون وتَخَرُّصات ينبغي أن يُنأى بكتاب الله تعالى، وباسمه الأعظم عن معناها، فإن الله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين، ولم يكن في القرآن تعجيز الناس عن فهم معانيه، وإن كان الناس يتفاوتون في إدراك المعاني وأبعادها.

ويظن قوم أن الاسم الأعظم لا يفهمه إلا فئة خاصة، كآل البيت مثلًا، وهذا ليس بصحيح، فهذا علي رضي الله عنه، هو أحد الخلفاء الراشدين، ومن آل البيت المهديين المكرمين، ومع ذلك لما سأله أبو جحيفة رضي الله عنه قال: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا، والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة». قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «**العَقْلُ، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر**»[(١)].

فليس هذا الاسم شيئًا تختص به فئة معينة، ولا يوجد في دين الله تعالى إقطاعيات أو خصوصيات، إلا من تقرب إلى الله تبارك وتعالى بعلم نافع أو عمل صالح، أو تعبد أو إيمان، ففتح الله عليه من علمه وخيره، وبرِّه وبركته، وإلا فالأرضُ لا تُقَدِّس أحدًا، والنسبُ لا يُقَدِّسُ أحدًا، وإنما يُقَدِّسُ الإنسانَ عملُه:

أبو لَـهَبٍ في النارِ وهو ابنُ هاشم ... وسلمانُ في الفردوسِ مِن خُرَسان
فلا تحسبِ الأنسابَ تُنْجِيك مِن لَظَى ... ولو كنتَ مِن قيسٍ وعبد مَدَانِ

ويوجد في بعض مواقع الإنترنت ورقة فيها إشارة إلى أسماء الله تعالى الحسنى، وأنه يُستشفَى بها، ووضعت هذه الورقة لكل اسم ألوانًا من الأمراض التي تُشفى بها، بَدْءًا من السرطان وانتهاءً بالزكام، واعتبرت أن كل اسم له خاصية في المعالجة بالطاقة الحيوية المختصة بنوع من هذه الأمراض، وهذا- وإن كان صاحبه بذل فيه وُسْعَه- إلا

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧)، ومسلم (١٣٧٠).

أنه لا يلزم أن يكون قد أصاب الحقيقة في مثل هذا، فإن هذه الأمور لا يمكن أن تقال إلا بتوقيف من النبي ﷺ.

وسؤال الله، ودعاؤه، والاستشفاء بهذه الأسماء بالسؤال، أو بقراءتها على المريض لا بأس به، لكن من غير أن يتم تحديد أمراض خاصة يتم الاستشفاء بها في بعض هذه الأسماء الحسنى دون بعض، والله أعلم.

❍ ❍ ❍ ❍

الله

«الله» اسم من أسمائه جل وتعالى، بل هو اسمه الأعظم عند قوم، وهو أكثر الأسماء ترددًا في القرآن والسنة.

«الله» هو أكثر الأسماء اشتهارًا وترديدًا على ألسنة المخلوقين كلهم بمختلف لغاتهم وألسنتهم.

«الله» هو الاسم الدال على الذات العظيمة الجامعة لصفات الإلهية والربوبية، فهو اسم له وحده لا يتعلق به أحد سواه، ولا يُطْلَق على غيره، ولا يدَّعيه أحد من خلقه.

«الله» اسم للرب المعبود المحمود الذي يُمَجِّده الخلق، ويسبحونه ويحمدونه، وتسبح له السماوات السبع، والأرضون السبع ومن فيهن، والليل والنهار والإنس والجن، والبر والبحر ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

كلُّ جَهْدي ليس يُجْدي | إن أكن يا ربِّ وحدي
كـلُّ أفـراح حياتي | كـلُّ أحـزاني وسُهْدي
وسُكُوني وشُجُوني | واضطرابي حين بُعْدي
وصلاتي وحياتي | ومماتي يومَ لَحْدي
كـلُّ فِكْـرٍ كلُّ شِعْر | كلُّ بَوْح كان عندي
كـلُّ هـذا يا إلهي | ساجدٌ مُذْ قلتَ: (عبدي)

«الله» كلمة مكونة من حروف لَيِّنَةٍ حلقية جوفية سهلة، وهي (اللام والهاء والمد)، ينطقها الطفل الصغير، والأعجمي حديث العهد بالإسلام، والألثغ، وكل حروف هذه الكلمة مهما صرَّفتها وقلَّبتها فهي تعود إلى معنى من معاني الألوهية، فهو «الله»، وهو «إله» لا إله إلا هو.

فلله تعالى هذا الاسم العظيم، وما يلحق به من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فما معنى هذا الاسم؟

«الله» هو الرب الذي تَألَـهُهُ القلوب، وتَحِنُّ إليه النفوس، وتَتَطَلَّع إليه الأشواق، وتحبه وتَأْنَس بذكره وقُرْبه، وتشتاق إليه، وتفتقر إليه المخلوقات كلها، في كل لحظة وومضة، وخطرة وفكرة في أمورها الخاصة والعامة، والصغيرة والكبيرة، والحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومُنْشِئها وباريها، وهي تدين له سبحانه وتُقِرُّ، وتفتقر إليه في كل شؤونها وأمورها.

ما من مخلوق إلا ويشعر بأن الله تعالى طَوَّقه مِنَنًا ونِعَمًا، وأفاض عليه من آلائه وكرمه وإفضاله وإنعامه بالشيء الكثير؛ فجدير بأن يتوجه قلب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى بالحب والتعظيم والحنين.

فمن معاني «الله»: الإله الذي تحنُّ إليه القلوب، وتحبه النفوس؛ ولهذا كان الحب معنىً واردًا في علاقة الخالق بالمخلوق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]، فالله تعالى يحب عباده الذين يحبونه ويطيعونه، والذين يلتزمون بأمره وشرعه؛ وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبة الله عز وجل من أعظم المراتب التي يسعى إليها المؤمن فقال: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكونَ اللّـهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر كما يكره أن يُقْذَفَ في النار**»[1].

فجعل مدار حلاوة الإيمان على معانٍ كلها تتعلق بالحب.. محبة الله عز وجل، والمحبة

(١) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

في الله سبحانه وتعالى، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، والكره مثل ذلك، فهو يكره الكفر الذي هو جحود للخالق العظيم، وتنكر لفضله وإنعامه.

شعور الحب هو شعور خِصب دافق فياض يستشعره المؤمن لربه تبارك وتعالى، وهو ينتظر ويرجو من ربه عز وجل أن يحبه، ومن أحبه الله فلا خوف عليه، فسوف تكون الدنيا كلها في حقه أفراحًا وسرورًا، وسعادة وبِرًّا، وسوف تكون أموره في الموت والدار الآخرة خيرًا وأفضل، فإن الله تعالى إذا أحب العبد رفع منزلته في الجنة، وقَرَّبه وأدناه.

من معاني اسم «الله»: أنه العظيم في ذاته وصفاته، وأسمائه وجلاله ومَجْده؛ فلا تحيط به العقول، ولا تدركه الأفهام، ولا تصل إلى عظمته الظنون؛ ولذلك تَتَأَلَّهُ العقول في ذلك، أي: تتحير لهذه العظمة، فالله تعالى أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، ظاهر ليس فوقه شيء، باطن ليس دونه شيء، له من أنواع العظمة والمجد والكمال ما لا يخطر على بال، ولا يأتي عليه عَدٌّ ولا حساب؛ فلذلك تحار العقول في عظمة الله عز وجل، وإن كانت تستطيع بما مُنِحَت مِن الطَّوْق والقدرة أن تدرك جانبًا من هذه العظمة؛ يمنحها محبة الله سبحانه وتعالى، والقربى منه، والتَّعبُّدَ له بكل ما تستطيع.

لله في الآفاق آياتٌ لعلْـ ... ـلَ أقلَّها هو ما إليه هداكا
ولعلَّ ما في النفس من آياته ... عَجَبٌ عُجَابٌ لو ترى عيناكا
والكونُ مَشْحونٌ بأسرارٍ إذا ... حاولتَ تفسيرًا لها أعياكا

لو قُدِّر للإنسان أن ينظر إلى عظمة خلق الله تبارك وتعالى في الآفاق والأفلاك أو في النفس؛ لرأى جوانب من عظمةٍ لا يَمْلِك حيالها إلا أن ينطق باسمه العظيم مُسَبِّحًا حامدًا، ذاكرًا شاكرًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

له العظمة التامة، بحيث لا يُحيط الخلق به علمًا، مهما حاولوا إلا أنه كما قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]، هذا فيما يتعلق ببعض خلقه سبحانه، فكيف فيما يتعلق بصفاته جل وتعالى.

لا تحيط به العقول؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وقال:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ فلذلك كان من معاني هذه الكلمة العظيمة «الله» الذي تحار فيه العقول، وتعجز الأفهام والعلوم عن الوصول إلى عظمته، أو الإحاطة به.

«الله» هو الإله المعبود الذي يُخْلِص له المؤمنون قلوبهم وعبادتهم، وصلاتهم وحَجَّهم وأنساكهم، وحياتهم وآخرتهم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

أول كلمة يدخل بها الإنسان في بوابة الإسلام، ويصل إلى مدارج التوحيد، ويرتقي في مراقي العبودية، هي كلمة: «لا إله إلا الله»، التي بموجِبها يعترف العبد لله عز وجل وحده بالربوبية والألوهية، وأنه المستحق للعبادة، وأن تنصرف قوى الإنسان- قوى عقله وقلبه وبدنه وجوارحه- في التسبيح والتهليل والتمجيد والعبودية لهذا الإله العظيم؛ الذي الإنسان بعض فضله، وبعض خلقه، فكل ذرَّات كيانك الداخلية تعترف به، وتمجِّده وتسبِّحه؛ شئت أم أبيت، غفلت أم انتبهت، حييت أو مِتَّ، آمنت أو كفرت؛ فيبقى اختيار الإنسان أن يعبد ربه سبحانه وتعالى طوعًا بما أمره الله تعالى، وبما جاء على ألسنة رسله المكرمين عليهم الصلاة والسلام.

رأيتُ في غير مناسبة رجالًا ونساءً يعلنون لأول مرة شهادة التوحيد، فلمحتُ أثر النور يشعُّ على وجوههم، والبسمة الصادقة تغمر محيَّاهم، والفرح والروح يغشاهم، فلله هذه الكلمة الفريدة السهلة، ما أعظمَ معناها، وأعمقَ دلالتها، وأبعدَ أثرها على النفوس!

إن الإنسان مجبول على العبودية، ففي قلبه شَعَثٌ وتَفَرُّق وافتقار فطري ضروري لا بد منه؛ فإما أن يعبد الإنسان ربَّه فيكون سائرًا على سنن الوفاق والانسجام مع جميع قوى الكون من حوله، ومع داخله وجسده، وذرات كيانه وحياته، وإما أن يعبد غير الله عز وجل فيذهب في أودية الدنيا، ويصبح مُتَمَزِّقًا مُشَتَّتًا، وقد كانت الصورة الشركيَّة القديمة أن يعبد الناس حجارة أو شجرة، فيتوجهون إليها بمشاعرهم وقلوبهم، ويستشيرونها في إشكالاتهم، ويرجعون إليها في مُلِمَّاتهم وأزماتهم.

هذه الصورة القديمة لا تزال موجودة في أكثر من مكان، وفي أكثر من بقعة، في ظل الجهل والتخلف والضياع، وقد تجد -كما وقع لي في حالات عدة- بروفيسورًا متخصصًا في علوم الأحياء الدقيقة أو الفلك، صاحب عقلٍ معرفيٍّ رائع، ولكنك تراه في الـمَعْبَد مطأطئ الرأس، مُنكسِرًا لصنم صنعه بيده، وكتب عليه تاريخ الصنع: (١٩١٠م)!!

وهذه العبودية التي قد يقع الإنسان في قبضتها إذا فرَّط في العبودية لله تعالى لها صور أخرى كثيرة؛ فقد يقع الإنسان مثلًا في عبودية الشَّهوة والتمحور حول الذات، وقد يقع في عبودية المادة والدنيا والدرهم والدينار والدولار، وقد يقع في عبادة المنصب والكرسي والوظيفة، وقد يقع في عبادة الزعيم والسيد والرئيس، وقد يقع في ألوان من العبوديات التي تضيع الإنسان، وتبعده عن هدى الله عز وجل، وتفرض عليه القلق والتوتر والضعف في حياته، كما قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ [الزمر:٢٩].

نرى اليوم ما يسمَّى بعبادة الشيطان، وكيف وقع فيها أقوام من الأمم الغربية من أوروبا وأمريكا، وصار لهم طقوس يجتمعون حولها، ويتمحورون حول هذه المعاني التي تنطلق من التوحُّش، ومن البهيمية والأنانية، ومن الشهوة واللَّذَّة والمتعة، والاقتصار عليها دون شيء وراءها، ودون ما سواها! وكيف امتدت هذه إلى رقاع وبقاع إسلامية، فأصبح بعض المراهقين والمراهقات ينضمون تحت هذه الأندية، ويلتقون في حفلات، ويتعاطون ألوانًا من الطقوس المتعلِّقة بعبادة الشيطان: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [يس:٦٠-٦١].

«الله» هو الاسم الذي يُنادَى دون أن يحذف منه شيء، فيقول الداعي: «يا الله» أو يحذف الياء فيقول: «اللهم». كما في كثير من مواضع القرآن والسنة بصيغ الدعاء، أو يهتِف بهذا أو ذاك، أو بغيرهما من أسماء الله تعالى الحسنى.

○ ○ ○ ○

● الله الرحمن، الرحيم

وقد ورد اسم الله «**الرحمن**» في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة[1]، منها قوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقوله: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

وأمَّا اسم الله «**الرحيم**» فقد ورد مائة وأربع عشرة مرة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٩]، إلى غير ذلك من الآيات.

فمن أعظم صفات ربنا تبارك وتعالى: صفة الرحمة، وحين يُلقي المؤمن التحية على أخيه يقول له: السلام عليكم ورحمة الله.

فالحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة!

والحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه!

والحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء!

هذه الصفة وردت في القرآن الكريم في أكثر من مائة وستين موضعًا باشتقاقاتها وتصريفاتها.

وقد تأمَّلتُ كيف ذكر ربنا تبارك وتعالى هذه الصفة في مطلع سورة مريم، حيث قال: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم:٢].

---

(١) ينظر: «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» لمحمد الحمود النجدي، وقد استفدنا أكثر هذه الإحصائيات منه.

فذكر رحمته سبحانه لعبد من عباده المصطفين الأخيار، حينما دعا ربه، فكان الله إليه بالرحمة أسرع، إشارة إلى قرب الله تعالى، وقرب رحمته ممن يعبدونه ويدعونه ويتضرعون إليه.

وفي وسط السورة ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وكيف كان يقول لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ [مريم:٤٤]، فيشير إلى عظيم الجهل في البعد عن الله عز وجل، ومعصية الرحمن الرحيم، الذي حقه أن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذْكَر فلا يُنسى..

وأن يقابِل العبادُ معروفه وفضله وكرمه بالشكر والعبودية.

ثم يقول: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ [مريم:٤٥]، فيشير إلى العذاب الذي ينتظر العاصين والشاردين عن هدى الله عز وجل وعن طريقه، ويصفه بأنه عذاب من الرحمن، وهذا تبشيع وتفظيع وتشنيع لجريمة من ينأون عن الله عز وجل وعن دينه؛ لأنه إذا عذَّبهم وهو الرحمن فمعنى ذلك أنهم وصلوا من الجحود والنكران والكفر والقنوط والبعد عن الله عز وجل إلى الحد الذي استحقُّوا به عذابه، مع أنه أرحم الراحمين.

ثم تُخْتَم هذه السورة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم:٩٦].

فيشير إلى هذا المعنى العظيم، وهو أن الله سبحانه وتعالى سيجعل لعباده المؤمنين الصادقين الذين يعملون الصالحات وُدًّا، فيحبهم ويحبونه، ثم ينشر محبتهم في الأرض، ويجعل الوُدَّ متبادَلًا فيما بينهم، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبَّه. قال: فيحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبُّه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض...**»[1].

هذه هي المعاني والقيم الإيمانية التي يجب على المسلم أن يَتَمَثَّلها وهو يقرأ هذا الاسم العظيم.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

ويقول ﷺ: «**إن اللهَ عز وجل يبسُطُ يدَه بالليل؛ ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسُطُ يدَه بالنهار؛ ليتوبَ مسيءُ الليلِ، حتى تطلُعَ الشمسُ مِن مغربِها**»(١).

ويقول سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إنكم تُخْطِئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا؛ فاستغفروني أغفرْ لكم**»(٢).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فمن رحمة الله عز وجل: أنه خلق مائة رحمة، كما أخبر بذلك نبيه ﷺ، منها رحمة واحدة بها يتراحم الناس والبهائم والدواب، حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه، كما قال ﷺ: «**إن الله خَلَقَ يومَ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ مائةَ رحمةٍ، كلُّ رحمةٍ طِباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدةُ على ولدها، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعض، فإذا كان يومُ القيامة أكملها بهذه الرحمة**»(٣).

فهذه من الرحمة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وذرأها في عباده من البَشَر والحيوانات والطيور وغيرها.

أما الرحمة التي هي صفته سبحانه وتعالى؛ فهي شيء آخر عظيم، وهي وراء كل تقدير أو إدراك أو ظَنٍّ أو تَصَوُّرٍ، ولو علم العباد قدر رحمة الله عز وجل، لما قنط من رحمته أحد.

أما الفرق بين «الرحمن» و«الرحيم»: فمن أقرب وأحسن ما يمكن أن يقال: إن الرحمن يتعلق بالذات الإلهية؛ فـ «الرحمن» اسم دالٌّ على تعلق الصفة وقيامها برب العالمين تبارك وتعالى.

وأما صفة «الرحيم»؛ فهي دالة على آثار هذه الصفة في المخلوقين، ولهذا قال سبحانه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٥٣)، ونحوه عند البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢).

وتعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣]، ولم يقل: «وكان بالمؤمنين رحمانًا»، وإنما تذكر هذه الصفة في حق الله عز وجل فحسب.

فحينما نقول: «رحيم» فكأننا نشير إلى ملاحظة وإدراك الرحمة الإلهية الربانية العظيمة؛ التي يقرؤها المتأمِّل في مشاهد لا يحصي لها عدًّا، ولا قدرًا مما يراه ويسمعه.

إن الرحمة الإلهية تتجلَّى في مشهد الركب الطيب الصالح من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الذين بُعِثوا إلى هذه البشرية رحمة وهداية لها، كما قال سبحانه وتعالى عن سيدهم وآخرهم وإمامهم محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهو رحمة للعالمين في تعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وحفظ مصالحهم الدينية والدنيوية، وقد كان ﷺ مثالًا للرحمة في خُلُقِه وسلوكه حتى مع خصومه وأعدائه.

وقد قال ﷺ للمشركين بعدما انتصر عليهم وفتح مكة: «**ما ترون أني فاعل بكم؟**». قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخ كريم. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاءُ**»[(١)].

ولما قيل له: يا رسول الله، ادعُ علَى المشركين. فقال ﷺ: «**إني لم أُبْعَثْ لعَّانًا، وإنما بُعِثْتُ رحمةً**»[(٢)].

ودعا ﷺ لأقوام من الكفار، كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن دَوْسًا عَصَتْ وأَبَتْ، فادعُ الله عليها. فقيل: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قال ﷺ: «**اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم**»[(٣)]. فأسلموا وآمنوا بالله عز وجل.

أعلمُ تمامًا أن الضيق الذي يقع في قلوب بعض الغيورين، إنما هو بسبب ضعفهم، وعدم قدرتهم على الجمع بين الغيرة والرحمة، وهو المقام الأتمُّ الذي كان عليه الأنبياء عليهم السلام.

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٣/ ٥٢)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤١٢)، وسنن البيهقي (٩/ ١١٨)، وزاد المعاد (٣/ ٤٠٨)، والبداية والنهاية (٦/ ٥٦٧-٥٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٩)، ومسلم (٢٥٢٤).

حين تقارن بين آيات الرحمة وآيات العقاب في القرآن الكريم، تجد أن اللهَ تعرَّف إلى عباده بالرحمة والرأفة واللُّطف في الأعم الأغلب، وتأمل قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. كيف قال: ﴿نَبِّئْ﴾ ليمهِّد لهذا الخبر الجميل، ثم قال: ﴿عِبَادِي﴾، فنسبهم إلى ذاته الكريمة توددًا وتحبُّبًا، كما قال في مواضع كثيرة من القرآن والسنة، ثم وصف وأكَّد بقوله: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فهي مؤكدات لغوية عديدة على رحمته ومغفرته، ولما ذكر العقاب لم يجعله صفة له، بل قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، ولم يقل: (وأني أنا المعذب أو المنتقم)، وإن هذا لتأكيد بعد تأكيد على سَعة فضله ورحمته.

إن الرحمة تتجلَّى في الكون، وما وضع الله تبارك وتعالى فيه من السُّنَنِ والقوانين التي بموجبها أصبح مناسبًا للحياة فيه، وأصبح فيه من مظاهر الجمال والرحمة والسعادة للبَشَر الشيء العظيم!

كما تتجلى في الإنسان، وعلاقته بأخيه الإنسان، أو علاقة الأب والأم بأبنائهما، وهذا الحنان والعطف الذي يفيض بغير اختيار..!

أو علاقة الزوج بزوجه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١].

أو علاقة الكبير بالصغير، وكيف جُبِل الناس على الشفقة على الصغار ومحبتهم؟!

حتى إني سمعتُ أحد الفضلاء يقول: إنني أصلي مع الإمام في الحرم المكي، وأخشى ألا يُقْبَل مني؛ لضعف نيتي، فأسمع طفلًا يبكي، وأظن أنه ضاع عن أمِّه، فيرقُّ له قلبي، أو تنزل عَبْرَتي، فأستحضرُ أن يرحمني ربِّي برحمتي له، وإن لم أصنع له شيئًا.

بل تتجلى في الطيور والبهائم والحيوانات، حتى إنك تنظر كيف يحضن الطير صغاره؟ وكيف يحنو عليهم ويهتم بهم؟!

والأرنب تنتف شعر بطنها؛ لتجعلها غطاءً ومهادًا لصغارها، فهذه من تجليات رحمته عز وجل.

إن رحمة الله سبحانه وتعالى حين تُفْتَح فلا مُمسِك لها، فهي تتمثل في عطاء سخيٍّ كريم، لا يُعَدُّ ولا يُحَدُّ، مما نعلم ومما لا نعلم، ومما نُحصي ومما لا نحصي.. ﴿فَلَا تَعْلَمُ

نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧].

هذه الرحمة تتمثَّل في الحراسة والحماية الربانية للإنسان.. ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١١].

وتتمثَّل في الممنوع كما تتمثل في الممنوح؛ فإن الله سبحانه وتعالى حينما يمنع العبد شيئًا فإنما يمنعه لحكمة، وربما حماه بذلك من شر ينتظره، فلله الحمد والشكر على العطاء، ولله الحمد والشكر على المنع!

فيا مَن حُرِمَ من ثروة كادت يده تمسك بها، أو فتاة حسناء استفرغ الجهد في الظفر بها، أو منصب لم يألُ جهدًا إليه، تذكَّر أن حكمة الله ورحمته خير لك مِن سعيك ومحاولتك، فإذا لم تنجع وسيلتك ففوِّض الأمر إليه:

لا تُدَبِّرْ لك أمرًا ... فأولوا التَّدْبير هَلْكَى
سلِّم الأمرَ تجدْنا ... نحن أولى بك منكا

قد يذهب الإنسان عن ربه مع المذاهب المادية، ومع السلوك الرذيل الوبيء، ثم يقوده المرض إلى ربه، فتتجلى رحمة الله تبارك وتعالى على هذا العبد، بحيث يَتَّجِه هذا القلب إلى الله عز وجل:

لك الحمدُ مهما استطالَ البلاء
ومهما استبدَّ الألم
لك الحمدُ أنَّ الرَّزَايا عطاء
وأنَّ المصيباتِ بعضُ الكَرَم
ألم تعطِني أنت هذا الصباح؟!
وأعطيتَني أنت هذا السَّحَر؟
فهل تشكرُ الأرضُ قَطْرَ المطر؟
وتجزعُ إن لم يجدْها الغمام؟
شهورٌ طِوالٌ وهذي الجراح

تمزِّقُ جنبيَّ مثلَ الـمُدَى

ولا يهدأُ الداءُ عندَ الصباح

ولا يمسحُ الليلُ أوجاعَه بالرَّدَى

ولكنَّ أيوبَ إن صاحَ صاح

لك الحمدُ أن الرزايا نَدى

وأن الجِراح هدايا الحبيب

أضمُّ إلى الصدرِ باقاتِها

هداياك في خافِقِي لا تغيب

هداياك مقبولةٌ هاتِها

أَشُدُّ جِراحي وأهتفُ بالعائدين

ألا فانظروا واحسدوني

فهذي هدايا حبيبي

وإن مسَّت النارُ حرَّ الجبين

توهَّمْتُها قبلةً منك مجدولةً من لهيب

لك الحمدُ يا راميًا بالقدر

ويا كاتبًا بعد ذاك الشفاء

وتَأَمَّلْ رحمة الله سبحانه وتعالى الكريم في مثل هذه المواقف التي يؤوب العباد إلى ربهم جل وعز بعد عمر طويل، استمتعوا فيه بألوان المتع التي لا ترضيه، ثم عادوا إليه مقهورين بسوط الخوف أو الذل أو المرض أو العجز، فيقبلهم سبحانه، ويفتح لهم أبوابه، ويعطيهم من الإيمان الذي هو أعظم عطاء ما يختمون به حياتهم بمعان من الرضا والطُّمَأنينة إليه.

إن الرحمة تتجلَّى وتظهر أكثر ما تكون في الدار الآخرة، حينما ينزل الله لفصل القضاء والحكم بين العباد، وتتجلى الجنة والنار: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٢-١٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**تحاجَّت النار والجنة، فقالت النار: أُوثِرت بالـمُتَكَبِّرين والـمُتَجَبِّرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضُعَفاء الناس وسَقَطُهم وعَجَزُهم؟ فقال الله للجنة: أنت رحمتي أَرْحَمُ بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنت عذابي أُعَذِّب بك من أشاء من عبادي**»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك! فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك! فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[2].

فتأمَّل هذا النعيم المقيم، وهذه الرحمة التي لا حدَّ لها، حين يتفضل الله عز وجل على بعض عباده؛ فيسكنهم هذه الجنة العظيمة، بكل ما فيها من أنواع المسرَّات، وبهجة العيون والقلوب والأبصار، بل النظر إلى وجهه الكريم في جنات عدن!

ولذا يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فيناديهم وهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه: أن لا يقنطوا من رحمته، وأن لا تأخذهم ذنوبهم بعيدًا عنه.

مُنطرِحًا أمامَ بابك الكبير أصرخُ في الظلام أستجير
يا راعيَ النِّمال في الرِّمال وسامعَ الحَصاة في قَرارةِ الغدير

إن من خير ما يقدمه الدعاة للناس: أن يُعَرِّفوهم سَعة الرحمة الإلهية، وَيَحْدُوهم إليها، ويفتحوا لهم أبواب الطمع والرجاء فيها؛ لئلا تزلَّ بهم القدم إلى مهيع اليأس والقنوط، فيندفعون وراء المغريات وأسباب الضعف غير عابئين بما يترتب على ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

من فساد القلب وظلمة النفس، كمن يداوي الداء بالداء:

وَكَأسٍ شَرِبتُ عَلى لَذَّةٍ وَأُخرى تَداوَيتُ مِنها بِها

وكما يقول الآخر:

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَّومَ إِغراءُ وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ

كثيرًا ما أقفُ مدهوشًا أمام دعوة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حيث يقول: «اللهم إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك؛ فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء؛ فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين!»(١).

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول: «خُلِقت النار رحمة يخوف بها عباده؛ لينتهوا»(٢).

وقد قرر أهل العلم، كما نص عليه الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله وغيره، أن الشريعة كلها مبناها على الرحمة في أوامرها ونواهيها، وثوابها وعقابها، وحلالها وحرامها(٣).

فيا من تعرّف إلى عباده بالرحمة لا تخلنا من رحمتك، ولا تكِلْنا إلى سواك، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا تفضحنا بعيوبنا!

ولو أنِّي حُبيتُ الخُلْدَ دارًا سألتُ اللهَ في أهلِ الجحيمِ

من الخلق الأُولى صَلُّوا وصاموا وهم ذكروك في الليل البهيمِ

وقلتُ: (نداك يا رباه جَمٌّ) وقد سَمَّيْتَ نفسَك بالرحيمِ

وهذه الأبيات هي للشاعر المصريِّ الكبير محمود غُنيم رحمه الله، قرأتُها وأنا صبيٌّ في مجلة رابطة العالم الإسلامي، وكانت هكذا:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص:١٤٣).

وقلتُ له: أَتُصْلي النارَ ناسًا   وقد سَمَّيْتَ نفسَك بالرحيم

ولكني وجدتها غير صالحة بهذا السياق، والأدب يقتضي تعديلَها، فرحم الله الشاعر وغفر له.

○ ○ ○ ○

الله الملك، المالك، المليك

من أسماء ربنا جل وعز: «**الملك**»، وقد ورد في القرآن الكريم خمس مرات، في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر:٢٣]، وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه:١١٤]، وقوله: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٢].

وورد اسمه سبحانه: «**المالك**» في قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]، وفي قراءة: (ملك يوم الدين)[1]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران:٢٦].

وورد «**المليك**» في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وهو سبحانه «**مالك الملك**»، و«**ملك الملوك**»؛ فإن رقاب الملوك ونواصيهم بيده جل وعز، وله الملك، وبيده الملك، كما قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك:١]، وهو «**الملك الحق**»: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه:١١٤]، له ملك السماوات والأرض.

فملك الله تعالى ملك مطلق، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، والبشر يوصفون بالملك، ولكنه ملك طارئ محصور، فيقال: فلان ملك البلد، ومالك الحقل أو المركبة، فهو محدود بزمان ومكان معين، مقصور على عمرهم أو بعض عمرهم.

إنك تجد آثار الحضارات السابقة اليوم في كثير من بلاد الله، في أوروبا، أو في الشرق، أو الغرب، فتجد القلاع الشاهقة، والحصون المنيعة، والمباني الضخمة، والتشييد

(١) ينظر: معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (١/ ٨-١٣).

الهائل، مثل آثار الفراعنة، وآثار الرومان واليونان وغيرهم، آثار تدل على أقوام سادوا ثم بادوا، ملكوا فترة من الزمن رقعة من الأرض، ثم أذن الله تعالى بزوالهم؛ ليتضح لنا أن الملك الحق له وحده، وأن البشر إنما يملكون ملكًا طارئًا مؤقتًا، فإما أن يزال عنهم، أو يزولون هم عنه.

أَينَ الـمُلوكُ ذَوو التيجانِ مِن يَمَنٍ وَأَينَ مِنهُم أَكاليلٌ وَتيجَانُ؟!
أَتى عَلى الكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ حَتَّى قضوا فكأنَّ القومَ ما كانوا

فملك البشر ملك جزئي محدود يقينًا.

كان الأستاذ أحمد زكي يكتب في «مجلة العربي» حلقات بديعة بعنوان: «حضارات سادت ثم بادت». وصدق والله.

قل لي: من الذين ملكوا الأرض كلها؟ يتحدث الناس عن فرعون... عن النمرود... عن ذي القرنين... عن الإسكندر المقدوني، لكن أحدًا منهم لم يستطع أن يملك الأرض كلها، ولا أن يذلل الناس جميعًا له، وكل من ملك فإنما هو ملك محدود، وإلى أجل معدود. وقد جعل الله التدافع بين الأمم والملوك والقوى المتصارعة سنة ماضية، حتى لا تفسد الأرض، فقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١]، فلا أحد من البشر يستطيع أن يملك الأرض كلها، وأن يدير شؤونها كلها، فما بالك بخلق الله العظيم وملكوته الواسع!

فالله تعالى هو الملك الحق، ومُلك الله تعالى مُلك تام لا نقص فيه بوجه من الوجوه، يعطي عباده إذا سألوه، بل إن الله تعالى يعطي في الجنة من العطاء ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال الصادق المصدوق ﷺ[(١)]. وربنا جل وعز قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وأدنى أهل الجنة منزلة له من ألوان النعيم المقيم، وسَعة المنازل والدور والقصور،

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم (٢٨٢٤).

وألوان الجلال والجمال والمتعة واللذة والغنى والجاه العريض؛ ما لا يخطر على بال، ولا يتصوره أحد، فإن لأدنى أهل الجنة منزلة الدنيا وعشرة أمثالها[١]، منذ أن خلقها الله عز وجل إلى آخر الحياة، فما بالك بأصحاب الغرف.. ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهلَ الجنة يَتَرَاءَوْنَ أهلَ الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء، لا يبلُغُها غيرُهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله، وصدَّقوا المرسلين**»[٢].

فهذا بعض نعيم الله تعالى لبعض عباده، فما بالك بأصحاب الفردوس الأعلى، الذي هو أعلى الجنة، وسقف الجنة، وفوقه عرش الرحمن جل وتعالى؟!

فالله تعالى يعطي عطاءً بلا حساب، ويَمُنُّ على عباده بهذا العطاء الجزيل، ولا ينقص ذلك مما عنده شيئًا، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته** -يعني: حتى تنقطع أمنيته من كل ما يخطر على باله من السؤال- **ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخل البحرَ**»[٣].

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

وانظر كيف عَبَّر بالنـزع؛ لأن البشر إذا ملكوا الشيء تمسكوا به وحرصوا عليه، فلا يؤخذ منهم بهينة وهدوء، وإنما ينـزع نزعًا، فيغادرهم وهم أحياء، أو يغادرونه وهم أموات.

وقال الله تبارك وتعالى عن ذاته جل وعز: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام:

---

(١) كما في صحيح البخاري (٧٤٣٧)، وصحيح مسلم (١٨٢، ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

٧٣]، فالملك لله عز وجل في كل حال، ولكن يتبين هذا عند الناس يوم القيامة، حينما تنكشف الأمور وتتجلى، وينتقلون من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ويصبح الخبر رأي العين، لا مخلص لأحد منه، ولهذا قال الله تعالى عن نفسه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [طه:١١٤]، فيظهر ملكه سبحانه وتعالى في الدنيا للعارفين والعالمين والمتفكرين، وأما في الآخرة فكل أحد يرى ذلك ويدركه؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «**يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون**»[(١)]. حتى إن النبي ﷺ لما قال هذا الحديث اهتزَّ به المنبر. قال ابن عمر رضي الله عنهما- راوي الحديث-: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ. وهذا من عظمة المعنى.

فالله تعالى له الملك، لا شريك له فيه، كما قال عن نفسه: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ [الإسراء: ١١١]، فالملك الحقيقي لمن بدأ الخلق وتفرد بالربوبية والتدبير وهو الله ليس له في ذلك شريك، له الملك كله، وله الأمر كله.

ومن أسمائه سبحانه أنه «رب الناس»، «ملك الناس»، «إله الناس»، كما قال الله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤].

ومع ما في الآية من تكرار، فإنها في غاية البلاغة والإبداع والجمال، ولو قال: (رب الناس وملكهم وإلههم). لذهبت حلاوتها وطلاوتها، وغاض حسنها!

وهو ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، (ومَلِك يوم الدين) كما في قراءة، ويتجلَّى هذا الملك في ذلك الموقف العظيم. فهو المتصرف في خلقه في دنياهم وآخرتهم، وهو الآمر الناهي بشرعه وكتبه وما أنزل على عباده، وهذا من الـمُلك، فالـمَلِكُ هو الذي له الحق أن يَأْمُرَ فيطاع، ويَنْهَى فيطاع، وأن يسن السنن، ويضع الأحكام، ويبين الحلال والحرام، والحق والباطل، والهدى والضلال، كل ذلك من عند الله تبارك وتعالى، بما

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٢) مختصرًا، ومسلم (٢٧٨٨)، وأبو داود (٤٧٣٢).

أنزله في كتبه، أو أرسل به رسله.

والله تعالى له الحكم في الأولى والآخرة؛ فلا يجوز لأحد أن يسمي نفسه بملك الملوك، كما قال ﷺ: «**إن أخنع** -يعني: أوضع- **اسم عند الله رجل تَسَمَّى: مَلِكَ الملوك، لا مَلِكَ إلا الله**»[1]. وذلك أن الله تعالى هو ملك الملوك، وأما البشر فملكهم محدود معدود، والعبد المؤمن إذا امتلأ قلبه بهذا المعنى اعتدلت الصورة في نظره، وأدرك أن الغِنَى والقوة والعزة لله وحده، وأن الأمر بيده سبحانه، فإذا سأل العبد فليسأل الله، وإذا استعان فليستعن بالله تبارك وتعالى.

واسترْزِقِ اللَّـهَ مما في خزائنِهِ ... فأَمْرُ رَبِّك بعد الكافِ والنون

ولك أن تضرب في الآفاق، وأن تعمل بشدة ذراعيك، وتمشي بشدة ساقيك، وتعمل عقلك بقدر ما تستطيع، فتحرث، وتبني، وتعمل، وتنجز، وتبدع، لكنك موسوم بقيد العبودية، مملوك لمن خلقك جل وتعالى، واعلم أن العبودية لله عز وجل بهذا المعنى هي قمة الحرية، فالعبد حر ما قنع، والحر عبد ما طمع.

أَطَعْتُ مطامعي فاستعبَدَتْني ... ولو أنِّي قنعتُ لكنتُ حرًّا

إن الإيمان بهذا الاسم الشريف يزيد العبد طمعًا فيما عند الله وإلحاحًا في السؤال، فهو يلتمس الأمر من مالكه الحق المبين؛ فيمنحه زهدًا فيما عند الناس، فلا يَذِلُّ نفسه لهم، ولا يريق إنسانيته وكرامته طمعًا وتطلُّعًا لما عند هذا أو ذاك، بل يُوظِّف قواه وطاقته وقدرته في النجاح والتفوق والتحصيل، مستعينًا بالله، معرضًا عمن سواه.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

● الله القدوس

من أسماء الله تبارك وتعالى: «**القدُّوس**»، وقد جاء في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر:٢٣]، وفي قوله جل وعز: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة:١].

وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبُّوح قُدُّوس، ربُّ الملائكة والروح**»[١].

فكان ﷺ يسبح ربه سبحانه وتعالى بأنواع من التسبيح، وكان ﷺ إذا انتهى من صلاة الوتر قال: «**سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس**». ويرفع صوته بالثالثة[٢].

معاني اسم الله: «القدوس»:

«**القدُّوس**» من أسماء الله الحسنى، وهو مأخوذ من القُدْس، أو القُدُسِيَّة، أو القَداسة، ومعناها: الطهارة.

فـ «**القدوس**» من معانيه: الطاهر من العيب، الـمُنَزَّه عن النقص والولد والشريك والصاحبة، الـمُنَزَّه عن كل وصف لا يليق بجلاله وكماله وعظمته، وكل وصف ناقص لا يليق به عز وجل، فهو مُنَـزَّه عنه، ولو كان هذا النقص كمالًا في حق المخلوقين،

(١) أخرجه مسلم (٤٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٨١٣، ٢٠٢١٨)، وأبو داود (١٤٣٠)، والنسائي (١٦٩٩، ١٧٣٢).

فالنوم من صفة المخلوقين وهو في حقهم كمال، والعبد الذي لا ينام يبحث عن الشفاء والعلاج، لكنه بالنسبة لله تبارك وتعالى نقص، ولهذا نَزَّه الله تعالى نفسه عنه.

ومن معاني «القدوس» أيضًا: الـمُتَّصِف بصفات الكمال، فالله تعالى لا تشبه صفاته صفات المخلوقين بحال من الأحوال.

سبحان مَن يعطي الـمُنَى بخواطرٍ ... في النفس لم ينطقْ بهنَّ لسانُ
سبحان مَن لا شيءَ يحجُب عِلْمَه ... فالسرُّ أَجْمعُ عنده إعلانُ
سبحان مَن هو لا يَزَالُ مُسَبَّحًا ... أبدًا وليس لغيرِه السُّبْحانُ
سبحان مَن تجري قضاياه على ... ما شاء منها غائبٌ وعيانُ
سبحان مَن هو لا يزالُ ورزقُهُ ... للعالمين به عليه ضمانُ
سبحان من في ذِكْرِه طُرُقُ الرِّضا ... منه وفيه الرَّوْحُ والريحانُ
مَلِكٌ عزيزٌ لا يفارِقُ عِزَّه ... يُعْصَى ويُرْجَى عنده الغفرانُ
مَلِكٌ له ظَهْرُ الفضاءِ وبَطْنُه ... لم تُبْلِ جِدَّةَ مُلْكِه الأزمانُ
مَلِكٌ هو الملكُ الذي مِنْ حِلْمِه ... يُعْصَى بحسنِ بلائِه ويُخانُ
يَبْلى لكلِّ مُسَلْطَنٍ سلطانُه ... واللهُ لا يَبْلى له سلطانُ

يصف هاشم الرفاعي مشهدًا من جمال الطبيعة في قصيدة الشعر والحياة، فيقول:

في رُبوعٍ ظلالها فتانه ... يَبسطُ السِّحرُ فوقَها ألوانه
صادح الطير في رباها تغنى ... وشدا للخميلة الفينانه
وجرى الماء بالحياة نماء ... طرز العشب والندى غدرانه
ونسيم مؤرج قد تهادى ... في مجون يُداعب السنديانه
بين تلك الربا وهذي المغاني ... والرؤى والمفاتن العريانه
في خشوع لا يسمع المرء منهم ... غير همس: سبحانه.. سبحانه

فالله تعالى هو الـمُسَبَّحُ الذي يقول العباد في حقه: سبحانه سبحانه، ويقصدون بها تسبيح الله تعالى، أي: تنزيه الله تعالى عن كل معاني النقص، وإثبات كل معاني الكمال والجمال له جَلَّ وتعالى.

ومن معاني «القدوس»: ذو البركة وذو الفضل، وقد يكون من معانيه: الـمُقَدَّس المبارك، ومن ذلك: الأرض المقدسة، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة:٢١]؛ أي: الأرض المباركة التي باركنا حولها، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]، فالله تعالى هو ذو البركة، كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان:١].

منه البركة وإليه البركة، وهو ذو البركة الذي يبارك عباده، فيبارك في أعمالهم وأوقاتهم، ويبارك بما شاء، فلا حدَّ لبركته سبحانه وتعالى، والمقصود بالبركة: هي الخير الكثير الواسع العظيم.

هذه بعض معاني البركة، وقد تكون البركة في الشيء القليل من الرزق، فيَعْظُم نَفْعُه، ويبارك في العمر، فَيُيَسِّر الله تعالى فيه من جلائل الأعمال والإنجازات الشيء الكثير الذي لا يخطر على البال، حتى تجد رجلًا مات في الأربعين؛ وذكره يملأ الآفاق لعلم نشره، أو إبداع، أو اختراع، أو عدل أقامه، أو يبارك في المال، فيبارك الله تعالى في القليل منه، فينمو ويزكو ويُنْفَق في طرق الخير، بخلاف من نُزِعَت منه البركة، فقد يكون عنده الكثير من المال أو العمر الطويل، والفرص الواسعة، ومع ذلك لا ينتفع بها ولا يستفيد منها، فإذا بارك الله تعالى في رزق، أو عمل، أو علم، أو عمر، فإن هذا يُعَظِّم العمل ويباركه ويزكيه.

ومن معاني «القدوس»: الذي تُقَدِّسُه قلوب الخلق وألسنتهم من البشر والملائكة وغيرهم، بل هو سبحانه يقدس نفسه وينزِّهها، وهذا موجود بكثرة في القرآن الكريم.

ومن آثار «القدوس»: أن يكون أولياؤه قِدِّيسين، كما جاء في الإنجيل أن النبي الخاتم يفتح بكة بعشرة آلاف من القِدِّيسين.

فيا لجمال هذه الكلمة تطلق على محمد ﷺ وعلى أصحاب محمد؛ إشادة بفضلهم، وتبجيلاً لهم، ورفعة لمقامهم رضي الله عنهم، ورزقنا حبَّهم، وحشرنا معهم.

❍ ❍ ❍ ❍

الله السلام

من أسماء الله تعالى: «**السلام**»، فالسلام اسم من أسماء الملك سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر:٢٣].

«السلام» معناه: السالم الذي سَلِمت ذاته وأسماؤه، وصفاته وأفعاله، فلا يَلْحَقها عيب ولا نقص مما يعتري صفات المخلوقين.

«**السلام**»: ناشر السلام بين الأنام، فإن الحياة منذ خُلِقت مليئة بفترات الأمن والسلام والهدوء والرضا، فالله هو السلام ومنه السلام، كما قال ﷺ: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[(١)].

وإنك لتعجب ممن يردِّد هذا الاسم الجليل، ثم تتحوَّل حياته إلى حرب لا تهدأ مع الأقربين والأبعدين، وعلى كافة المستويات النفسيَّة والسلوكيَّة والفكريَّة والأسريَّة.

فأين السلام مع النفس الذي ينعكس سلامًا مع الكون والحياة والناس؟!

«**السلام**»: السالم من كل نَقْص، فحياته سبحانه سلام من الموت والنوم والسِّنَة، كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فلله عز وجل الكمال المطلق في حياته، والسلامة الكاملة فيها، فلا يعتريه نقص ولا موت، ولا مرض ولا عجز، ولا نوم ولا سِنَة.

الله عز وجل سلام في قَيُّوميَّته، فهو سالم من اللُّغوب، والعجز والنَّصَب، وقد وصفه بذلك اليهود، وزعموا أنه تعب بعد خلق السموات والأرض؛ فاستراح في

(١) أخرجه مسلم (٥٩١).

اليوم السابع، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]، وما أمره سبحانه إذا أراد شيئًا إلا ﴿ أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

والله هو السلام في علمه، فعلمه جل وتعالى سالم من الخفاء والجهل والتردد والشك، ولذا يُسَمَّى علمًا، ولا يسمَّى معرفة؛ لأن المعرفة يسبقها جهل، فلله تبارك وتعالى العلم المطلق التام المطابق لحقيقة الواقع، ولا يعتري هذا العلم نقص بوجه من الوجوه، والماضي والحاضر والمستقبل القريب والبعيد عند الله تبارك وتعالى سواء، لا تَخْفى عليه خافية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة:٧]، ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد:١٠].

كلماته عزَّ وجلَّ سلام من الكذب والظلم، كما قال جل وتعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام:١١٥]، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، فلله الكمال في كلماته الشرعية أو القدرية؛ ولهذا كانت شريعة الله تبارك وتعالى حكمةً وعلمًا، والقرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ، وفيه الأسرار والمعاني العظيمة التي بها هداية البشرية وصلاحها في أمر دينها ودنياها، ولكن هذا العلم قعد به أهله، ورضوا بالتقليد والترديد، وعجزوا عن الإبداع والتجديد، فآل الأمر بهم إلى ما يراه الناس في هذا الزمان من التخلف والجهالة والانحطاط.

ومُلْك الله جل وعز سلام من أن يكون له فيه منازع أو شريك أو مساوٍ أو مُدَّعٍ، فالله تبارك وتعالى لم يكن له شريك في الملك، فالملك له وحده في الدنيا والآخرة.

وحُكْم الله وقضاؤه عز وجل سلام من الظلم، وسلام من الجور؛ ولهذا قال جل وعز في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم مُحَرَّمًا؛ فلا تظالموا**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

فَمِنْ كمال عدله سبحانه أنه بيَّن لنا هذا الأمر، وأمر عباده ألا يتظالموا، فبعد أن قرَّر سبحانه أنه حرَّم الظلم على نفسه قال: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦].

أمر عباده أن يَتَّصِفوا بهذا الوصف العظيم، وهو ألا يظلم بعضهم بعضًا، وأن يَتَرَبَّوا على هذه الخَصْلة العظيمة، وأن يَتَعَبَّدوا ربهم بهذا المعنى، فالله تعالى عادل يحب العدل والعادلين، عليم يحب العلم والعلماء، جميل يحب الجمال وأهل الجمال، كريم يحب الكرم وأهل الكرم، وهذه من صفاته جل وتعالى.

وهو سبحانه سلام في صُنْعِه، سلام فيما يعطي، سلام فيما يمنع، سلام فيما يحجب عن عباده، فحَجْبه ليس بُخلًا ولا قِلَّة، حاشاه جل وتعالى، وإنما هو مَحْض الحكمة التي يعلمها الله عز وجل، فإن من العباد من يَصْلح له الغنى، ومنهم من يصلح له الفقر، ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ [الرعد:٢٦]، كما أن من عباده من تصلح له الصحة، ومنهم من يصلح له المرض، ومنهم من يصلح له حال، ومنهم من يصلح له حال آخر، والله تبارك وتعالى أعلم بعباده وأحكم.

فصفات الله عز وجل كلها سلام، فهي سلام من مشابهة المخلوقين أو مماثلتهم، سلام أن يقاس عليها شيء من أمر الخلق، سلام من أنواع النقص التي جرت العادة أن تعتري العباد، فالعباد يعتريهم ما هو خليق بأمثالهم، من ألوان الآفات المبثوثة في هذه الدنيا، والتي قدرها الله تعالى في الحياة بحكمته، وأما هو سبحانه فإن من أسمائه السلام، الذي يدل على سلامته سبحانه من كل هذه النقائص؛ ولهذا جعل الله تعالى تحية المؤمنين بينهم السلام، كما قال سبحانه: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وأمر الله سبحانه المؤمنين بإلقاء التحية، فقال: ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [النور:٦١]، فيسلِّم المؤمن على نفسه، ويسلِّم على إخوانه المؤمنين، ويلقي عليهم هذه التحية، التي فيها إشارة مباشرة إلى اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، وهو السلام.

اللهم أنت السلام، ولا سلام إلا رضاك رباه، وكل أمر قضيت فباطنه خير، وإن لم نكن عرفناه.

ومن معاني «السلام»: أنه المسلِّم على عباده في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ

﴿ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات:٧٩]، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات:١٠٩]، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الصافات:١٢٠]، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ [الصافات:١٣٠]، وقال الله عز وجل: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات:١٨١]، وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ﴾ [النمل:٥٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [طه:٤٧]، وهذا منه سبحانه وتعالى حكم وقضاء بسلامة هؤلاء في الدنيا والآخرة، وإن كان قد يعتريهم في الدنيا شيء مما يعتري العباد، إلا أن الله تعالى يجعل في قلوبهم من اليقين والسكينة والأمن والإيمان ما يُحَوِّل مُصابهم إلى نعيم وسرور يتقلبون فيه؛ لما يكون في قلوبهم من الرضا والطمأنينة بقضاء الله وقدره، فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان مستجاب الدعوة، وعميت عيناه، فقيل له: ألا تدعو الله عز وجل؟! قال: والله، لرضائي بقضاء الله تعالى في نفسي أحب إلى مما أشتهي!

إن هذا الاسم العظيم «السلام» يدل على أن الله تبارك وتعالى له الكمال في الأسماء كلها، والصفات كلها، ولا يعتري اسماً من أسمائه، ولا صفة من صفاته نقص ولا عيب بوجه من الوجوه.

فاللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام!

والحمد لله الذي تعرَّف إلى عباده بهذه الأسماء، وهذه الصفات، وألهمهم أن يذكروه، ويشكروه، ويتعرفوا إليه بها سبحانه وتعالى، ويتعبدوه بها نطقًا بحروفها وكلماتها، وحفظًا لها، وفهماً لمعانيها، وتوسلاً إلى الله تبارك وتعالى بها في الدعاء والتضرع.

اللهم! أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام.

○ ○ ○ ○

● الله المؤمن

جاء هذا الاسم «**المؤمن**» في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر:٢٣].

ومن معانيه: المصدَّق الذي إذا وعد وفَّى بوعده: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران:٩]، فهو ينجز لعباده في الدنيا الرزق والعفو والعافية، ويوافيهم بثواب أعمالهم الصالحة في الدار الآخرة.

وهو الذي يُصدِّق ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخَيِّبُ آمالهم، كما في الحديث القدسي: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء**»(١).

وهو «**المؤمن**» الشاهد بوحدانية ذاته، كما قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران:١٨].

وهو الذي أمَّن عباده من أن يقع عليهم في الآخرة جَور أو ظلم، كما قال تعالى: ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر:١٧]، وقال: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [يس:٥٤].

وفي الحديث قصة الرجل الذي قال: «**يا رب! ألم تُجِرْني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا...**» الحديث(٢).

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٥٩)، وغيره من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «**فليظن بي ما شاء**».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٩).

وهو سبحانه يُجير المظلوم من الظالم، ويُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه[1]، فهو يُؤَمِّن المظلوم -أي: يحميه- وينصره ويمنحه الأمن والأمان، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

ومن معاني «المؤمن»: الذي ينشر الأمن بين عباده، كما قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش:٤].

ومَنَّ على عباده في مواضع بنعمة الأمن، ووعد المؤمنين الصادقين الخائفين أن يُبَدِّل خوفهم أمنًا: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ [النور:٥٥].

وكذلك في الآخرة، يُؤَمِّن خوفهم بالعطاء والرحمة، والسكينة والجنة، كما حكى الله عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٦-٢٧]، وقال عن أهل الجنة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف:٤٩]، فنفى عن أهل الجنة الخوف والحزن، وأبقى لهم الحب والرجاء، وهذا دليل على علو مرتبتهما وتفوقهما.

ومن ذلك: أن الله سمى مكة (البلد الأمين)؛ لما شرع فيها من الشرائع التي عَظَّمت قدرها عند الخلق، فلا يُنفَّر صيدها، ولا يُختلى خلاها، ولا تُلتقط لقطتها إلا لمنشد[2]، فيأمن فيها الإنس والطير والوحش.

ومن معاني «المؤمن»: الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال والجلال والجمال، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالإيمان، وأقام الحجج والبراهين على صدق رسله وأنبيائه فيما بلغوا وأخبروا عليهم السلام.

يا مُؤمِنًا عَبْدَهُ في كُلِّ نازلةٍ ... وناشرًا عدلَه في كُلِّ ميدانِ
وباسِطًا فضلَهُ دنيا وآخرةً ... وحافظًا خَلْقَه من شرِّ طغيانِ
عُذْنا إليك فهَبْنا منك مغفرةً ... تمحو بها كُلَّ تقصيرٍ وعصيانِ

○ ○ ○ ○

(١) كما في صحيح البخاري (٤٦٨٦).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (١٨٣٣)، وصحيح مسلم (١٣٥٣).

الله المهيمن

جاء اسم الله «**المهيمن**» في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر:٢٣]، فهو من أسمائه الحسنى تبارك وتقدس وجل وعلا.

وجاء لفظ: «**المهيمن**» في وصف القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المهيمن: الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله»[١]. وقيل: «المشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة»[٢].

والله «**المهيمن**»، أي: الشاهد على خلقه بما يكون منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١]، فهو بمعنى الرقيب والحافظ.

ومن معاني «المهيمن»: القائم على الشيء، الراعي له والمسيطر عليه، فهو فوق عباده بذاته، مطلع عليهم، شاهد لا يغيب، قدير لا يعجز، حليم لا يعجل، قاهر لهم، محيط بهم، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، لا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٥٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص:٢٣٤).

روى البيهقي أن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله كان يقول في دعائه:

جلالُك يا مُهَيْمِنُ لا يَبِيْدُ	ومُلْكُك دائمٌ أبدًا جديدُ
وحُكْمُكَ نافذٌ في كُلِّ أمرٍ	وليس يكونُ إلَّا ما تُريدُ
ذنوبي لا تضرُّك يا إلهي	وعَفْوُك نافعٌ وبه تَجودُ
فهَبْها لي وإنْ كَثُرت وجلَّت	فأنت اللهُ تحكمُ ما تريدُ
فنِعْم الربُّ مولانا وإنا	لنعلمُ أننا بئسَ العبيدُ
ويُنْقَصُ عُمرُنا في كُلِّ يومٍ	ولا زالتْ خطايانا تزيدُ
قَصَدْتُ إلى الـمُلُوكِ فَكلُّ بابٍ	عليه حاجبٌ فظٌّ شديدُ
وبابُك معدنٌ للجود يا مَنْ	إليه يَقْصِدُ العبدُ الطَّريدُ

ومن معاني «المهيمن»: الذي لا يُنْقِص الطائع من ثوابه شيئًا، ولا يزيدُ المذنبَ عقابًا على ما يستحق، فلا يُعاقِب إلا بقدر ذنبه، ولا تُظْلم نفسٌ شيئًا، وهو أولى بالتفضُّل بزيادة الثواب، والتجاوز عن العقاب.

مليكٌ على عرشِ السَّماءِ مُهَيْمِنٌ	لِعزَّتهِ تَعنُو الوُجوهُ وتَسجُدُ

الله العزيز

هذا الاسم العظيم «**العزيز**» كثير الورود في القرآن الكريم، حيث ورد في اثنين وتسعين موضعًا، وغالبًا ما يكون مقرونًا باسم آخر، كقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩]، ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]، ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران:٤]، ﴿عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص:٦٦]، ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، وكما جاء في العديد من الأحاديث النبوية الصحيحة.

و«**العزيز**»: هو القويُّ الغالب الذي لا يُعْجزُه شيء، ولا يضرُّه أحد ولا يغلبه، كما في الحديث القدسي: «**إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني، ولن تبلغوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني**»[١].

وأكثر ما يقترن اسم الله «**العزيز**» باسمه «**الحكيم**»؛ إشارة إلى أن عزته سبحانه ليست كعزة أهل الدنيا الذين إذا أُعِزوا وغَلَبوا أَسرفوا وظلموا وتسرَّعوا، ووضعوا الشيء في غير موضعه.

وقد يُقرَن اسم الله «**العزيز**» بـ«**الرحيم**»؛ إشارة إلى أنه سبحانه مع قدرته وسطوته إلا أنه يُمْهِل ويملي ولا يعاجل عباده بالعقاب.

وفيه الإشارة إلى أنه ينتصر للمظلومين والمقهورين.

وتقترن العزة بالعلم: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]؛ إشارة إلى دقة التقدير وضبطه وإتقانه.

أو تقترن بالحمد: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]؛ إشارة إلى أنه محمود في شرعه وقدره.

وكنتُ أبحث عن مؤلَّف مفرد في دراسة الأسماء الحسنى المقترنة، فلم أظفر بمؤلَّف

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

خاصٍّ، ثم وقفت على رسالة ماجستير في جامعة الموصل (عام ١٤١٨هـ) أعدَّها فخري أحمد سليمان الجريسي، وهي محاولة أوليَّة، تحتاج إلى مَن يكملها ويتمِّمها، وعنوانها: (الاقتران الثنائيُّ بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، ألفاظه ودلالاته).

فلله سبحانه عِزُّ القوة، فهو القوي، وعِزُّ الغلبة، فلا يغلبه ولا يعجزه شيء.

وله عزُّ الامتناع، فلا يناله أحد من خلقه ولا يصل إليه سبحانه!

ومن ذلك: أن الله «العزيز» هو الذي يمنح العزة لمن يشاء، ويَسْلُبها ممن يشاء: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٥]، ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

فمن أراد العزة مع المال، أو مع المنصب، أو مع الجاه، أو مع الصحة والعافية، أو مع الدنيا، أو مع الآخرة، فعليه أن يقتبسها ويستمدها من العزيز الذي من رَكَنَ إليه أَوَى إلى رُكْن شديد، واختص بمَنْعَةٍ لا تُبارى ولا تُجارى. وكل من جرَّب أن يكون الله مَلاذه وملجأه في حاجته وسؤاله، واعتزازه واعتزائه وطلبه؛ فإنه العزيز سبحانه يعطيه سؤله، ويحفظ له قدره ومنـزلته، فسؤال الله عِزٌّ لا ذلَّ معه، وسؤال غيره ذُلٌّ أعطى أو منع.

ومن كان الله مُعْتَصَمه ومقصده عزَّ وقويَ، وإن كان ضعيفًا في بدنه، أو واهنًا في قوته، أو مُقِلًّا في ماله، أو ذليلًا في عشيرته، فمن أراد عزة لا شائبة تشوبها فليلزم.

فاشدُدْ يديك بحبلِ الله مُعْتَصِمًا ... فإنَّه الرُّكنُ إن خانتك أركانُ

ومن أسباب الوصول إلى ذلك: التواضع والتسامح، والعفو عن الناس، والتجاوز عن عَثَراتهم أو تقصيرهم في حقك.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(١)].

ومن أسبابه: الاستمساك بالقرآن تِلاوة وفهمًا، وتَدَبُّرًا وتحكيمًا؛ فإنه سبحانه سماه العزيز: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت:٤١].

وَهُوَ العَزِيزُ فَلَن يُرَامَ جَنَابُهُ ... أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلطَانِ

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٨).

الله الجبار

ورد اسم الله «الجبَّار» في القرآن الكريم في آخر سورة الحشر في سياق الأسماء الحسنى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ﴾ [الحشر:٢٣]، وجاء في السنة النبوية في غير ما موضع، وهو اسم حَمْد وثناء ومَجْد له تعالى.

وجاء في سياق الذمِّ للمخلوقين؛ لما يدل عليه من التكبر والتعاظم والتِّيه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة:٢٢]، وقال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم:٣٢]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر:٣٥].

وقد طال عجبي مما ورد في الأناجيل من الإشارة إلى شِدَّة عيسى وجبروته، وقوله لأمِّه: إليكِ عني يا امرأة! بينما يسجِّل القرآن الكريم وصفه بالبرِّ والسماحة والتواضع!

ومن معاني اسم الله «الجبَّار»: أنه جبر خلقه على ما أراد وما شاء من أمره، فهم مجبورون في خَلْقهم وتكوينهم وخصائصهم التي فُطِروا عليها، وحركة أبدانهم وقلوبهم، وأعضائهم وأعصابهم، وأمخاخهم ودمائهم كلها مُسَيَّرَة بقدرة الله من حيث يعلمون ولا يعلمون، في نومهم ويقظتهم، وحضورهم وغفلتهم، فهذا من الجبر الذي لا خيار لهم فيه، قال محمد بن كعب رحمه الله: «إنما تَسمَّى الجبار؛ لأنه يجبُرُ الخلق على ما أراده»[1].

ومن معانيه: أنه يَجْبُر كسرهم، ويكفيهم أسباب العيش، ويَسُدُّ خَلَّتَهم، ويستر زَلتهم، ويرحم ضعيفهم، ويجبر المصاب بالأجر والثواب والعِوَض من عنده، ويسليهم

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨)، وينظر: الدر المنثور (١٤/ ٤٠١).

ويسكن قلوبهم حتى ترضى وتُسلِّم.

ويجبر قلوب عباده الصالحين الخاضعين لعظمته بما يُفِيض عليها من جليل المعاني، وما يَسْكُب فيها من اليقين والخشوع، وقد كان من دعاء النبي ﷺ بين السجدتين: «**رب اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني**»[1].

ومن معانيه: القاهر الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء، والخلق كله خاضع لعظمته ومجده وسلطانه.

ومن معانيه: العليُّ الرفيع على كل شيء.

ومن معانيه: ذو الجبروت، فقد جاء في دعاء النبي ﷺ، كما عند النسائي من حديث حذيفة رضي الله عنه، أنه صلى مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فسمعه حين كبَّر قال: «**الله أكبر، ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[2]. والجبروت: هو الـمُلْك والعظمة والمجد.

وجاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»[3].

والكبرياء من خصائصه سبحانه وتعالى، وهو وصف مذموم عند الخلق؛ لما يدل عليه من تجاوز الحدِّ، والاستكبار على الخلق، ونسيان الحقيقة، ولذا استعاذ موسى عليه السلام من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر:٢٧]، وذكر في السياق الطبع على قلب كل متكبر جبار.

وفي الحديث: «**تحاجَّت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين**»[4].

فشأن العباد هو الخضوع لعظمته سبحانه، والذُّل لجلاله، والتسليم لأمره، والاعتراف بألوهيته، وهذا سرُّ الإيمان، وحقيقة السعادة، ودليل التوفيق: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥١٤)، وأبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٨٩٨).

(٢) سنن النسائي (١٠٦٩)، وأصله في صحيح مسلم (٧٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٠٢٦)، وأبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١٠٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

● الله الكبير، المتكبر

ورد اسم الله «**المتكبر**» في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر:٢٣].

وجاء في السنة: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية وهو على المنبر: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]، قال: «**يقول الله: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال. يمجد نفسه**». قال: فجعل رسول الله ﷺ يرددها حتى رجف بها المنبر، حتى ظننا أنه سيخر به[١].

أما «**الكبير**» فورد في ستة مواضع، كقوله سبحانه: ﴿ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٤].

و«**الكبير**»: هو العظيم في كل شيء، في ذاته وصفاته، وأسمائه وأفعاله، ولذا يقول المصلِّي: (الله أكبر)، وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: عَلِّمني كلامًا أقوله. قال: «**قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا**»[٢].

فلله تعالى الكبرياء والعظمة: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية:٣٧]، فهو الكبير الذي يَصْغُر دون جلاله وكبريائه كل شيء!

وهو المتكبر عن السوء والنقص والعيب، المتعالي عن صفات المخلوقين وخصائصهم، المتعاظم الذي تَذِلُّ له رقاب الجبابرة العُتَاة!

---

(١) أخرجه أحمد (٥٦٠٨)، والنسائي في الكبرى (٧٦٩٦)، وابن حبان (٧٣٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٦).

والتاء في اسم «**المتكبر**» ليست التاء الدالة على تعاطي الشيء لمن لا يستحق كما هو في شأن المخلوقين، ولكنها تاء التفرُّد والتخصيص، وهو من الكبرياء التي هي عظمة الله، وليست من الكِبْر المذموم عند الخلق.

وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الحق سبحانه: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**». وفي لفظ: «**عذَّبته**»[1].

فهو سبحانه يربِّي عباده على التواضع والانكسار وخفض الجناح، وينهاهم عن الطغيان والتسلط والبغي والعدوان، فذاك مقام الألوهية، وهو مقام الكبرياء والعظمة والجبروت، وهذا مقام البشرية، وهو مقام الذل والتواضع والانكسار.

وأقوى ما يكون العبد حين يركن إلى الله سبحانه، ويلتمس النصر منه، وأكبر ما يكون حين يتواضع لربه، ويسكن ويَذِلُّ لجنابه.

وما حدث العدوان على إنسانية الإنسان، وتطويعه بالقهر والتغلب والتَّسَلُّط من قِبَلِ الجبابرة والأباطرة إلا حين خلت قلوب المتسلطين من الإيمان بالله، فتجرؤوا على الاعتداء، وخلت قلوب المستضعفين من الإيمان بالله فخارت واستسلمت للباغين والظالمين.

وهذه آثار الفراعنة والرومان وغيرهم تدل على ذلك، ولذا قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر:٢٧].

تأملتُ حديث: «**لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ**»[2]. فرأيته دعوة صريحة قويَّة للتواضع ومعرفة النفس واحترام الآخرين، حتى لو كانوا أقلَّ منك علمًا أو مالًا أو شهرة أو وظيفة أو منـزلة؛ فإن التواضع وخفض الجناح هي نقيض الكبر، ولقد كان رسول الله ﷺ يُرَقِّع ثوبه، ويخصف نعله، ويباشر عمله، ويحمل متاعه، ويتعامل مع سائر الناس بالصفاء، وهذه مدرسة التواضع يَرِدُها أتباعه عليه السلام، فمُسْتَقِلٌّ ومُسْتَكْثِرٌ!

---

(١) أخرجه أحمد (٩٣٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٢)، ومسلم (٢٦٢٠) وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن حبان (٣٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٩١).

الله الخالق، الخلاق

من أسماء الله جل وعز: «**الخـالق**»، و«**الخلَّاق**»، وهو «**أحسن الخالقين**».

وقد ورد اسم الله «الخالق» في الكتاب العزيز في أحد عشر موضعًا، منها قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر:٦٢].

وعلى صيغة الجمع: «**أحسن الخالقين**» في قوله سبحانه: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤]، وقوله: ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات:١٢٥].

وأما اسم الله: «**الخلَّاق**»، فقد ورد في موضعين، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الحجر:٨٦]، وقوله: ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [يس:٨١].

فكل ما في الكون خلقه، وهو ناطق معترف مُقِرٌّ بألوهيته وربوبيته، وكل ما تراه حولك وما لا تراه فهو دليل على الله، يصدق عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١]؛ أي: ماذا خلق الأدعياء وماذا صنعوا؟ ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٤].

سألني أحدهم: هل يوصف الإنسان بأنه خالق، أو ينسب إليه خلق؟

فقلت: إن قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾، يدل على أن الخلق بمعنى: الإيجاد والإنشاء مِن عَدَمٍ هو شأن الربِّ وحده. أمَّا المخلوق فقد يُطْلَق عليه

الخلق بمعنى: التشكيل أو فعل ما يليق به، كما قال عز وجل: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]، وقال الشاعر:

ولأنتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القومِ يَـخْلُقُ ثم لا يَفْرِي

تَأَمَّل هذه النماذج:

أولًا: ما بين (٥٠٠- ٦٠٠) مليون حيوان منوي تمرُّ عبر المهبل، وكل واحد من هذه الحيوانات قابل لأن يكون إنسانًا بإذن الله عز وجل.. ولكن الله سبحانه وتعالى بقدرته وحكمته يختار واحدًا من هذه الملايين، يقوم بتلقيح البويضة؛ ليكون هذا الإنسان السوي المختار.. الناطق العاقل.. المتصرف في شؤونه بإذن ربه.

هكذا خُلِقنا؛ فلنتواضع لعظمة الله عز وجل وكبريائه!! ولنتذكر البداية التي كنا منها؛ لندرك الفرق الهائل بين هذه النطفة وهذا الإنسان السوي القوي المتين.

إن ذلك يوجب على الإنسان أن ينطق بتسبيح الله عز وجل وذكره وشكره.

ثانيًا: في جسد الإنسان أكثر من مائة تريليون خلية، وداخل كل خلية من هذه الخلايا أجهزة وأعمال ونوى وبرامج وخرائط ومعلومات، كلها تسبِّح ربها جل وعز، وتؤدي دورها على أحسن وأفضل ما يكون.

في كل خلية (٣١) مليار حرف من الحمض الوراثي النووي؛ الذي هو ذو حروف أربعة، وهو عبارة عن مادة وراثية موجودة في نواة البويضة، ومسؤولة عن جميع وظائف الجسم الحيوية المختلفة.

هذه الأعداد الهائلة من الحروف النووية الحمضية، وهذه الكميات الهائلة من الذرات والخلايا الموجودة في جسدك، كلها ناطقة ومعترفة بعظمة الله سبحانه وتعالى، وأنه الخلَّاق.

ثالثًا: ارفع رأسك إلى أعلى، وانظر إلى السماء، ففوق رأسك ثَمَّةَ مليارات المجرَّات، والـمَجَرَّة عبارة عن تَجَمُّع من النجوم المختلفة الواسعة الكثيرة الهائلة؛ التي منها

الصبي الصغير الذي لا يزال في مرحلة الطفولة، ومنها الشاب الذي في مرحلة المراهقة، ومنها الشيخ الكهل ومنها الهَرَم الذي رُدَّ إلى أرذل العمر، وهو يعيش أيامه الأخيرة، كلها تسبح الله تعالى في الفضاء، وبينها من التباعد ما لا يحيط به إلا الله عز وجل، حتى لو افْتُرِض أن مركبة تسير بسرعة الضوء، التي هي (١٨٦) ألف ميل في الثانية، لاحتاجت إلى عدة آلاف من السنوات، حتى تجتاز مجرة واحدة من هذه المجرات، فما بالك بما وراءها، وما فوقها، ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨-٣٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦].

إن الإنسان قد يَكْبُر في عين نفسه، فيرى نفسه شيئًا كبيرًا وضخمًا! وقد ينظر في عِطْفيه، ويشرئبُّ ويرفع رأسه.. لكنه لو نظر إلى هذه المخلوقات الهائلة الضخمة العظيمة؛ لأورثه ذلك تواضعًا وذُلًّا وانكسارًا لربنا تبارك وتعالى.

إن هذه المجرات التي نتحدث عنها، تضمُّ المجرة منها ما بين مائة بليون إلى ألف بليون نجم، ولا يزال العلم يكتشف كل يوم الجديد في هذا الفضاء، مع أن وسائل الكشف لا زالت عاجزة قاصرة عن إدراك ما وراء ذلك كله.

فلذلك ينبغي للعبد أن يدرك جانبًا من عظمة الله سبحانه وتعالى في خلقه، ويضع نفسه في هذا السياق.

إن الطبيعة كتاب مفتوح يسبِّح بحمد الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨].

إن روعة هذا الكون وجماله وعظمته؛ هي قَبَسة يسيرة من إبداع الخالق العظيم!

إن الإنسان عندما يحاول أن يطبق ما يُسمَّى بفكرة المصادفة في الخلق يقع في مغالطة فاحشة!

يقول العلماء المختصُّون: إن الإنسان لو أراد أن ينظر إلى احتمال مجرد خَلْق جزيء صغير من جزيئات البروتين مصادفة؛ لكان محتاجًا إلى ثلاثة بلايين سنة لمجرد حصول احتمال خلق جزيء صغير من البروتين؛ فكيف بخلق الكون كله؟!

إنه أمْر لا يمكن تَصَوُّر حدوثه، فالفرضية الوحيدة هي الحقيقة الوحيدة؛ أن يكون وراءه إرادة الله تبارك وتعالى العليم الحكيم!

ماذا لو جاءك إنسان وأخبرك أن صفحة كاملة من الورق فيها مقالة أدبية، أو شعر منظوم جميل، وقال لك: إن هذه القصيدة الجميلة الرائعة المعبرة لم يكتبها كاتب، وليس وراءها شاعر، وإنما اجتمعت حروف كلماتها بعضها إلى بعض بهذا الترتيب صدفة؛ لكان هذا الأمر وراء العقل عندك، فكيف لو جاءك بموسوعة فيها مئات المجلدات، وعشرات آلاف الصفحات، وفيها صور، ورسوم، وتعاريف، ومعلومات متطابقة تمامًا مع الواقع، ومع ما يقوله العلم الحديث، هل يمكن أن يقول عاقل أو غير عاقل: إن هذه الموسوعة الضخمة لم يكن وراءها إلا مَحْض المصادفة؟

كلا! بل سيقال: إن وراءها أعمالًا، وتدقيقًا وتحقيقًا، وبحثًا وكتابة، وطباعة، ومجموعة من المراحل مرَّت بها حتى وصلت إلى هذا المستوى.. وهذه من البدهيات البسيطة.

إن الإنسان الملحِد إنسان يائس أُغْلِقت أمامه الأبواب والسدود، يتخبَّط على غير هدى، ويسير بدون غاية، ويعيش في ظُلمة نفسية حالكة، لا يعرف بدايةً أتى منها، ولا نهاية يصير إليها، ولا غاية يتجه إليها.

جِئتُ، لا أعلمُ من أين، ولكنِّي أتيتُ
ولقد أَبصرتُ قُدَّامي طريقًا فمشيتُ
وسأبقى ماشيًا إن شئتُ هذا أم أَبَيْتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لستُ أدري!

أما المؤمن فهو يشعر بطمأنينة كبيرة وهو يتأمَّل في ملكوت الله تبارك وتعالى، فيرى

عظمة الله في خلقه وحكمته البالغة في تدبيره ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك:٢٢].

قل للوليد بكى وأَجْهَشَ بالبكاء	لدى الولادةِ ما الذي أبكاكا
وإذا ترى الثعبانَ يَنْفُثُ سُمَّه	فاسألْه مَن ذا بالسموم حَشاكا
واسألْه كيف تعيشُ يا ثعبانُ أو	تَحْيا وهذا السمُّ يَملأُ فاكا
واسألْ بطونَ النحلِ كيف تقاطَرَت	شَهْدًا وقل للشهد مَن حلاَّكا
بل سائل اللبنِ المصفَّى كان بيـ	ـن دم وفَرْثٍ ما الذي صفَّاكا
وإذا رأيتَ البدرَ يَسْرِي ناشرًا	أنوارَه فاسأله مَن أَسْرَاكا
واسأل شعاعَ الشمس يدنو وَهْيَ أَبْـ	ـعدُ كلِّ شيءٍ ما الذي أدناكا
يا أيها الإنسانُ مَهْلًا ما الذي	بالله جلَّ جلالُه أغراكا؟

إن التأمُّل في خلق الله عز وجل وملكوته يقود إلى رسوخ الإيمان به سبحانه، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

فتأمَّل! وسبِّحْ وتعبَّدْ لمن خَلَقَك وذَرَأَك وإليه المصير.

إن الخالق معنى من معاني الربوبيَّة، فالخالق هو: المالك، المتصرِّف، الـمُدَبِّر. والأمر لا يقف عند مجرد الاعتراف فقط، فلقد قرأتُ كلامًا في (النيوزويك) لعالم أمريكي من علماء الفلك، بعد سبعين سنة قضاها في المختبر، وعبر الأجهزة والتلسكوبات والمكبرات يقول: الآن اعترفت بالله، وأيقنت أنه لابد أن يكون وراء هذا الكون قوة خارجة عن المادة! بعد سبعين سنة آمن بوجود هذا الإله! فمتى سوف يصل إلى العبودية

له؟! ومتى سوف يؤدي حقَّه؟! ومتى سوف يذكره؟! ومتى سوف يشكره؟!

إن هذه المعاني تقود العبد إلى الله تبارك وتعالى؛ ليتمثل في محراب الإيمان به، والتضرع إليه، والتوكل عليه، والانصياع لأمره، والوقوف عند حدوده، ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالذي له الخلق هو الذي له الأمر -أي: له الشرع- وهو الذي من حقه أن يَأْمُرَ فيُطاع، ويَنْهى فيُطاع، ويُحِدَّ الحدود، ويَسُنَّ السنن، والخلق يستجيبون له ويطيعونه؛ لأنهم يعرفون أنه ما خلقهم إلا لهذا!

إن الإلحاد فكرة جاهلة تستعصي على الفَّهم، خاصة في عصر المعرفة والتخطيط والكشوفات الهائلة، فقد يكون الإلحاد قرارًا سياسيًّا كما في عصر الشيوعية، أو أزمة نفسية عند أقوام لم تسعفهم سكينتهم النفسية بالوصول إلى استقرار وهدوء يسمح لهم بالإيمان، أو مغالطة ذهنية صادرة عن اللامبالاة، وهو ما بَيَّنَهُ القرآن بقول الخالق البديع تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]، أو وسوسة عابرة تخطر في بال إنسان ثم تمضي إلى غير قرار، أمَّا أن يكون الإلحاد حُكماً عقليًّا فلا.

ولقد أدركتُ بالتجربة الصغيرة أن مِن أعظم مهمات الداعية الحقِّ تحبيبَ الله إلى عباده بالقدوة الحسنة، والقول الليِّن، والخلق الكريم، فإن الكثير من النفوس المؤوفة المضطربة تحتاج إلى جرعات سكينة واستقرار؛ ليعود إليها الإيمان دون كبير جهد!

○ ○ ○ ○

● الله البارئ

جاء اسم «**البارئ**» في آخر سورة الحشر ضمن سياق الأسماء الحسنى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤]، وفي سورة البقرة: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ [البقرة:٥٤].

و«**الخالق**» و«**البارئ**» و«**المصور**» ثلاثة أسماء متتابعة، فالخلق هنا هو التقدير وهو يقع أولًا، والبارئ هو المنشيء المخترع، ولذا تُسمَّى البرية، أي: المخلوقة، والمراد: الناس، والمُصَوِّر هو الذي أعطى كل شيء صورته الخاصة.

قال النابغة الجعدي:

الحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

الـمُولِجِ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَفِي الـ ... لَّيْلِ نَهَارًا يُفَرِّجُ الظُّلَمَا

الخَافِضِ الرَّافِعِ السَّمَاءَ عَلَى الْـ ... أَرْضِ وَلَمْ يَبْنِ تَحْتَهَا دِعَمَا

الخَالِقِ البَارِئِ الـمُصَوِّرِ فِي الْـ ... أَرْحَامِ مَاءً حَتَّى يَحُورَ دَمَا

ثُمَّ عِظَامًا أَقَامَهَا عَصَبًا ... ثُمَّتَ لَـحْمًا كَسَاهُ فَالْتَأَمَا

ثُمَّ كَسَا الرِّيشَ وَالْعَقَائِبَ أَبْـ ... ـشَارًا وَجِلْدًا تَخَالُهُ أَدَما

مِنْ نُطْفَةٍ قَادِرٌ مُقَدِّرُهَا ... يَخْلُقُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالنَّسَمَا

وَاللَّوْنَ وَالصَّوْتَ وَالخَلَائِقَ وَالْـ   أَبْصَارَ شَتَّى وَفَرَّقَ الْكَلِمَا
ثُمَّتَ لَا بُدَّ أَنْ سَيَجْمَعُكُمْ   اللهُ جَهْرًا شَهَادَةً قَسَمَا
فَائْتَمِرُوا الحَقَّ مَا بَدَا لَكُمُ   وَاعْتَصِمُوا إِنْ وَجَدْتُمُ عَصَمَا
فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلَا   عِصْمَةً مِنْهُ إِلَّا لِمَنْ رَحِمَا

وكما قال بعضهم مُتضرِّعًا إلى ربه:

أنا ذاكرٌ أنا شاكرٌ أنا عابدٌ   أنا جائعٌ أنا مُعْدَمٌ أنا عاري
هي ستةٌ وأنا الكفيلُ بنصفِها   فكنِ الكفيلَ بنصفِها يا باري

الله المصور

من أسمائه سبحانه: «**المصوِّر**»، كما في قوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤]، والمعنى أنه سبحانه واضع الصور وخالقها ومبدعها على غير مثال سابق، بل بمقتضى حكمته ورحمته وعلمه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار:٦-٧].

والصورة هي الشكل والتخطيط والتقسيم، قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:٦]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف:١١].

والأسماء الثلاثة «**الخالق**»، «**البارئ**»، «**المصوِّر**» إذا اجتمعت في سياق واحد، كما في سورة الحشر، دلَّ كل واحد منها على معنى، فالخلق هو التقدير، وبعده البرء، ولذا قيل:

ولأنت تَفْري ما خَلقتَ وبعـ ... ـضُ القوم يَخْلُقُ ثم لا يَفْري

ثم التصوير، فهو شاء وأراد وقدَّر الخلق، ثم برأ؛ أي: خلق وأوجد، ثم خصَّه بالصورة والهيئة التي تناسبه وتميِّزه عمّا سواه.

فهذه الأفعال الثلاثة من حيث ظهورها وتحققها وحصولها في العيان مُرَتَّبة، آخرها الصورة التي تكتمل وتتمُّ شيئًا فشيئًا حتى تبلغ نهايتها في الجنين أو النبات أو ما شاء الله تعالى.

والخلق من أعظم الأدلة على عظمة الله وألوهيته، فإن انبثاق الحياة والحركة والحسِّ

في الموات هو آيةُ ربانيته وقدرته، وهي من الإعجاز بحيث لا يجحدها إلا مكابر، فضلًا عن التصوير الذي هو تخصيص كل مخلوق بصورة تميزه عمَّا عداه.

يا عالمَ الغيبِ منَّا والشهادةِ يا ربَّ البريةِ تركيبًا وتصويرًا
شهدتُ أنكَ فردٌ واحدٌ صمدٌ شهادةً لم تكن مَيْنًا ولا زورًا
وجَّهتُ وجْهِيَ في سِرِّي وفي عَلَني إليكَ حمدًا وتهليلًا وتكبيرًا

الله الغفور، الغفار، الغافر

من أسمائه جل وتعالى: «**الغفور**»، و«**الغفار**»، و«**الغافر**»، وهو «**خير الغافرين**».

إليك شِكايةُ ذنْبٍ مضى   إليك حكاية إِثْمٍ غَبرَ
إليك المآبُ إليكَ المتابُ   ومنك العتابُ ولا مُعْتَذَر
أسيرُ الخطايا رهينُ البلايا   كثيرُ الشكايا قليلُ الـحِيَل
يُرَجِّيْك عفوًا وأنت الذي   تجودُ على مَن عصى أو غَفَل
إلهي أَثِبْني إلهي أَجِبْني   وَوَفِّقْ إلهي لخيرِ العمل

ورد اسم الله «**الغفور**» في الكتاب العزيز في واحد وتسعين موضعًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥]، وقوله عز وجل: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر:٤٩]، إلى غير ذلك من الآيات، والغالب أن يقترن بالرحمة أو بالعزة، لمعانٍ وأسرار مدهشة.

فاقتران المغفرة بالرحمة كأنه من باب اقتران السبب بالنتيجة؛ فمغفرته سبحانه لعباده بسبب رحمته ورأفته بهم.

واقتران المغفرة بالعزة؛ لبيان أنه غفر وسامح مع قدرته على الأخذ والانتقام؛ ولذا مدح الناس العفو عند المقدرة.

وقد تقترن بغيرهما؛ كقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]؛ إشارة إلى أنه

مع المغفرة يزيل آثار الذنب، أما العباد فربما سامحوا، ولكن تبقى الجفوة والوحشة.

وأما اسمه «**الغفَّار**» فقد ورد في خمس آيات، كقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢]، وقوله: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [ص:٦٦].

وورد اسم الله «**الغافر**» في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [غافر:٢-٣]، وعلى صيغة الجمع «خير الغافرين» في قوله تعالى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٥].

ولقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم قول النصارى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣]، وأَعْقبه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٤].

وذكر جل وعز أصحاب الأخدود فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج:١٠].

أما لو تابوا إلى الله تعالى وأنابوا لغفر الله تعالى لهم، وتقبَّل منهم، ولذلك نادى الله تعالى المشركين والمذنبين والخطائين، وفتح لهم أبواب عفوه ومغفرته ورحمته، وقال لهم: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] أي: لا تيأسوا.

وفي هذه الآية إثبات أن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعًا، ولم يستثن منها شيئًا قط، حتى الشرك والكفر يغفره الله لمن تاب منه وأقلع عنه؛ فهذه الآية فيمن ترك الذنب الذي كان عليه.

وهناك آيات أخرى قرن الله تعالى المغفرة بمشيئته، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء:٤٨].

وهذه في حق المؤمنين الذين آمنوا بالله تعالى، والتزموا هَدْيَه، ولكن حصلت منهم ذنوب وخطايا، فإن الله أَذِن أن تكون هذه الذنوب -مهما عظمت- تحت مشيئته سبحانه، إن شاء غفر، وإن شاء عذَّب!

ولذلك ثَبَت أن الله ينادي في الثلث الأخير من الليل، فيقول: «**هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من داع فأجيبه؟**»[(١)].

فهذا هو الكرم العظيم، والفضل الذي لا يُحَدُّ، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتَني ورجوتَني، غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلَغَت ذنوبك عَنَانَ السماء ثُم استغفرتَني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتَني بقُرَاب الأرض خطايا-أي: بِمِلْء الأرض خطايا- ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرة**»[(٢)].

وإنما سمَّى نفسه سبحانه وتعالى: «**الغفور**»؛ لأنه خلق عبادًا علم أن من شأنهم أن يذنبوا ويستغفروا..

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله؛ فيغفر لهم**»[(٣)].

أذكر أنني قرأت لشاعر مصري غير مشهور قصيدةً في غاية الجمال ضاعت مني جملتها، غير أني لا زلت أستذكر وأردِّد هذه الأبيات:

تَوضَّأ القلبُ من ظَنِّي بأنَّك غفَّارٌ ... وصَلَّى وكانتْ قِبْلتي الأَمَلُ

دعِ الهوى لِذَويهِ يَهلِكُوا شَغَفًا ... أو فاقْتُلِ النَّفْسَ فيه مثلَ مَن قَتَلُوا

وعند الله سبحانه وتعالى ملائكة: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فهم يسبحون الله لا يفترون، ما بين قائم وراكع وساجد، يقولون: «سبحان ذي الـمُلْك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت»!

وقد جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطَّت وحق لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ**

---

(١) أخرجه أحمد (٩٢٢٠)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرج أحمد (٢٠٤٩٩)، ومسلم (٢٦٨٧) نحوه من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

أصابع، إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدًا لله»[1].

لكنه سبحانه وتعالى أراد بحكمته أن يخلق خلقًا آخر من البشر يُهدى السبيل الأقوم؛ فيستقيم، أو السبيل الآخر؛ فينحرف، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣].

فهذه هي الجِبِلَّة التي خلق الله الناس عليها، ولا شك أنهم سيقعون في الخطأ، ولذلك أذن سبحانه وتعالى في أن يستغفر هؤلاء الناس، وشرع لهم ذلك، ووعدهم أن يغفر لهم إذا استغفروه، كما في حديث أنس رضي الله عنه السابق.

إن اللَّهَجَ بالاستغفار هو دواء للقلب، وسبب لمحو الذنب..

و«**الغفور**» من الغَفر، وهو: السِّتر. من قولهم: غفر الشيء أي: ستره وغطَّاه، وهكذا المغفرة فإنها بهذا المعنى؛ فلذلك شَرَع لنا الله سبحانه وتعالى الاستغفار.

وكان النبي ﷺ يعلِّم أصحابه سيد الاستغفار، أن يقول الإنسان في الصباح والمساء: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**[2].

فهذا دعاء مؤمن ولكنه زَلَّت به القدم، ولهذا يقول: «**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي**». أُقِرُّ وأعترف بما صدر مني مما لم يكن خليقًا من عبد مُنْعَمٍ عليه، مشمول بعطاء الله العظيم أن يفعله، ولكن هذا بدر مني.

فتأمَّل كم في هذا الابتهال العظيم وهذا الاستغفار الجامع من المعاني العظيمة، التي إذا قالها العبد صفا قلبه.

وتأمل عندما يقول الواحد منا: «خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت». هل هو صادق في هذا التعهد؟

فأنت بهذا تنطق تَعَهُّدًا لربك تبارك وتعالى أنك على عهده ووعده ما استطعت،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥٣٩)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

وهذا الاستغفار فيه تذكير للعبد، وتجديد للميثاق والعهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

ولذلك على العبد أن يقول هذا الاستغفار إذا بدر منه ذنب، فإن هذا الاستغفار إذا قيل صباحًا ومساءً؛ فإنه كفيل بإذن الله تعالى بمحو الأوزار والذنوب، ودعوة العبد إلى أن يتوب إلى الله تبارك وتعالى.

إن من مغفرة الله عز وجل لعباده ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما يَحْكي عن ربه عز وجل قال: «**أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بِالذنب، اعمل ما شئتَ فقد غفرتُ لك**»(١).

ويُفْهَم من هذا الحديث أن وقوع العبد في الذنب مرة أخرى بعدما تاب منه، لا يجعل الذنب الأول يعود إليه، والله سبحانه وتعالى لا يعود عليك في شيء أعطاك إياه، فقد غفر لك الذنب الأول، ولن يعاد الذنب إلى صحيفتك!

سألني أحدهم عن حديث: «**ذنبٌ بعدَ توبةٍ أشدُّ من سبعين ذنبًا قبلها**».

فقلت له: هذا حديث لا يصحُّ ولا يثبت، ونصوص الكتاب والسنة صريحة في أن العبد مهما أذنب ثم تاب تاب الله عليه، ومهما استغفر صادقًا غفر الله له على ما كان منه ولا يبالي.

وظهر لي أن طَرْقَ باب التوبة والاستغفار والكفارات والتعويض بالأعمال الصالحة وبالإحسان إلى الخلق من أعظم ما تُؤلَّف به قلوب الخلق على الحق، وهذا من فقه الدعوة.

وهكذا... على العبد ألا ييأس؛ حتى لو تاب من الذنب مائة مرة، بل عليه أن يستغفر بعد ذلك، وألا يملَّ، فالشيطان يجرُّه إلى اليأس وترك الاستغفار، بل عليه أن يَجُرَّ نفسه إلى ميدان الاستغفار والابتهال والتضرع إلى الله تبارك وتعالى!

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

وحتى لو لم يتب العبد، ولكنه استغفر استغفارًا صادقًا عالمًا أنه أذنب وفرَّط، وأن الله غفور رحيم، طالبًا إقالة العثرة ومحو الزَّلَّة؛ فهو خليق بالعفو، والله أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأعظم مسؤول وأقرب مأمول!

وقد ذكر النبي ﷺ ألوانًا من الأعمال الصالحة التي تكفِّر السيئات؛ فإن الأمر كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

فمن أسباب الحصول على مغفرة الله تبارك وتعالى ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**غُفر لامرأة مومِسة مَرَّت بكلب على رأس رَكِيٍّ يلهث، كاد يقتله العطش، فنزعت خُفَّهَا، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثَّرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خُفَّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإِنَّ لنا في البهائم أجرًا؟! قال: «**في كل كبد رَطْبة أجر**»[٢].

فكيف بالإنسان! فإن الله سبحانه وتعالى ذو الفضل الذي لا يضيع عليه شيء سبحانه وبحمده، فلذلك كان الإحسان إلى الخلق والتَّفَضُّل عليهم والجود والكرم من أسباب الوصول إلى مغفرة الله، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

فمن أحبَّ أن يغفر الله له فليغفر للناس، وليعفُ عنهم وليصفح، بل وليتعدَّ ذلك إلى الإحسان إليهم، كما قال سبحانه وتعالى في صفة عباده المؤمنين: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾، ثم ارتقى درجة ثالثة، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

ولذلك فإن مما يقرِّب إلى الله عز وجل هو مثل هذه الأعمال الصالحة من الإحسان

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢١)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

إلى الخلق من البهائم والدواب والبشر وغيرهم، سواء كان ذلك بنفس أو أهل، أو مال أو جاه، أو دعوة أو إصلاح، أو برٍّ أو معروف، وأن ننشر هذه الروح التي توجد في قلوب بعض الخلق للمُعْدَمين والأرامل، واليتامى والمساكين، والعمال والضعفاء وغيرهم، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى مُعْسِرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنّا. فتجاوز الله عنه**»[(١)].

فلنجعل التسامح صفة قائمة بيننا في علاقاتنا، وليسامح الواحد منا، ولا يستوف حقه كله.

تَجاوَزْ ولا تستوفِ حقَّك كلَّه   وسامحْ فلم يستوفِ قَطُّ كريمُ

والتسامح مع كل من يَتِمُّ بينهم التعامل، كالتسامح بين الزوجين، والتسامح بين الأب وابنه، والتسامح بين الأستاذ وتلميذه، والتسامح بين الرئيس ومرؤوسيه.

التسامح على كافة المستويات من شأنه أن يعيد العلاقة إلى دفئها، وأن يعيد للإنسان شيئًا من الاعتبار والقيمة والأهمية، وأن يجعله أقرب إلى الفوز برضوان الله ومغفرته، بدلًا من أن يكون كل إنسان يطالب بحقه كاملًا غير منقوص، وربما لا يقوم بما عليه كاملًا.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصنَ شوكٍ على الطريق، فأَخَّره، فشكر اللهُ له، فغفر له**»[(٢)].

فبدلًا من أن نغرس الأشواك في طريق الناس، لماذا لا نجعل من هَمِّنا أن نعزل الأشواك عن طريقهم، وأن نمهد سبيلهم إلى السعادة والرضا والنعيم في هذه الدنيا، وأن نبذل جهدنا، ونجعل هذا جزءًا من مهمتنا ورسالتنا.

شكت إليَّ إحدى الأخوات همًّا وغمًّا وضيقًا، فاقترحت عليها أن تعتني بالإحسان إلى الناس وبذل الفضل للآخرين من الأهل والإخوة كبارًا وصغارًا، ومضى سنة، فإذا بهذه الأخت تتصل لتتحدَّث عما فتح الله عليها من الرزق والبركة والسعادة والرضا، فقلت لها: يا ليت الناس يسمعونك، خاصة أهل المعاناة والقلق والحزن؛ ليروا بأعينهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤)، ومسلم (١٩١٤).

نموذجًا حيًّا للمعالجة الواقعية السهلة الممتنعة!

وقد قال النبي ﷺ: «**يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ فيُنْشَر له تسعةٌ وتسعون سِجلًّا، كل سجل مَدَّ البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عذر، ألك حسنة؟! فيهاب الرجل، فيقول: لا. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظُلْمَ عليك اليوم. فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. قَال: فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تُظْلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة؛ فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة**»(١).

وهذا الحديث وإن تكلَّم بعض أهل العلم في سنده، إلا أن من المعلوم أن التوحيد والإيمان بالله هو أعظم الطاعات وأهمها ولُبُّها، وهذا في الجملة.

ولا شك أن العبد إذا أتى بالتوحيد صادقًا لله عز وجل؛ فإنه قد ملك شيئًا كثيرًا، وأُوتي فضلًا عظيمًا، ويبقى ما وراء ذلك من الذنوب تحت المشيئة، إما أن يؤاخذ بها ثم يكون مصيره إلى الجنة، أو يتجاوز الله تبارك وتعالى عنه ويُدْخله الجنة ابتداءً.

وقد يكفِّر الله سبحانه وتعالى عن العبد ذنوبه بأشياء كثيرة، إما بأعمال صالحة أو توبة وندم صادق على ما مضى، أو مصائب نزلت به؛ وقد قال النبي ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نَصَب، ولا وَصَب، ولا همٍّ، ولا حُزْنٍ، ولا أذىً، ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»(٢).

يا من يرى مَدَّ البعوضِ جناحَها ... في ظلمةِ الليلِ البَهيمِ الأليَلِ
ويرى مَناطَ عُرُوقِها في نحرِها ... والمخَّ في تلك العظام النُّحَّلِ
ويرى خريرَ دمائها بعروقِها ... متنقِّلًا من مِفْصَلٍ في مِفْصَلِ
امنُنْ عليَّ بتوبةٍ تَمْحو بها ... ما كان منِّي في الزمان الأوَّلِ

(١) أخرجه أحمد (٧١٨٢)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٢٥)، وحمزة بن محمد الكناني في جزء البطاقة (٢)، والحاكم (١/ ٦، ٥٢٩)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

الله القاهر، القهار

من أسمائه سبحانه: «**القاهر**»، و«**القهَّار**»، وقد ورد اسم الله «**القاهر**» في كتاب الله، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١].

فهو سبحانه وتعالى قاهر لخلقه بنفسه، ويقهرهم بملائكته.

فأما مظهر هذا القهر في الدنيا فهو واضح في ألوهيته وتدبيره وتصريفه.

وأما في الآخرة فهو أشد وضوحًا، ولهذا يسأل سبحانه في يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ ثم يجيب: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].

وقد ورد اسم الله «**القهار**» في ستة مواضع، كما في سورة يوسف، والرعد، وإبراهيم، وص، والزمر، وغافر كما سبق.

فقهره يظهر، ولا يبقى ثَمَّةَ مجال للجدل أو المناقشة فيه في الدار الآخرة، فهو القاهر سبحانه لعباده، فلا وجود لهم ولا حركة إلا بإذنه؛ لأنه ربهم ومليكهم وخالقهم، ولا حجة بذلك للعباد، فلا يحتج أحد بالقدر وأنه مقهور على فعل الذنوب والمعاصي؛ لأننا نقول: وإن كان الله تعالى هو القاهر وهو القهار وهو الخالق للخلق وما يعملون إلا أن كل عبد يدرك بالضرورة أنه يفعل ما يفعل باختياره، ويترك ما يترك باختياره، فإن هذه الضرورة التي يشعر بها الإنسان وهو يهمُّ بأن يقوم بعمل ما، كأن ينوي السفر أو الإقامة أو الأكل أو النوم، يؤديها وهو يشعر بأنه يؤديها بمحض اختياره وإرادته ورغبته، وأن له الخيار أن يفعل هذا الشيء أو لا يفعله، وأن يختار هذا الشيء أو ذاك،

وهذا الشعور النفسي الذي يحسُّ به كل واحد من البشر فيما يفعلون أو يتركون هو الذي بموجبه يحاسب العباد، أما لو أن إنسانًا قُهِر على عمل من الأعمال، ولم يكن أمامه فيه اختيار، فإنه لا يؤاخذ حينئذ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦].

فالعبد إذا أكره على شيء إكراهًا ليس له معه اختيار ولا قدرة على الامتناع فإنه لا يؤاخذ على فعله في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما يحاسب العبد على ما فعله بطَوْع إرادته ومَحْض اختياره، وهذا الشعور واضح.

وبعيدًا عن الجدل الذي يقع فيه كثير من الناس، كما قال الله تعالى: ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة:٦].

فالكثيرون يطرحون الأسئلة، ومرادهم أن يسوغوا ما يقعون فيه من الشهوات المحرَّمة بالقدر، فإذا وُعِظُوا في ذلك قالوا: هذا قدر الله وإرادته، ولا مناص منها!

وقد تأمَّلْتُ نصوص الكتاب، فوجدتُ الإرادة الإلهية لأفعال العباد مُفَسَّرة في مواضع أخرى بالإذن، وأنه ما كان لنفس أن تؤمن أو تشرك إلا بإذن الله، وأنه سبحانه لو شاء أن يَقْهَرَهم على شيء لفعل، وهذا واضح يحمّل المرء مسؤولية عمله دون تَهَرُّب أو جدال.

إن الله سبحانه وتعالى بحكمته وحُجَّته على عباده قد جعل في قلب كل واحد منهم دليلًا لا يستطيع الفكاك منه، وهو شعوره بأنه يفعل باختياره، ولهذا فإن من العجيب حقًّا أن يندفع الإنسان في شهوته اندفاع الفاجر الذي لا يرعوي ولا ينزجر، ثم يحتجُّ بعد ذلك بالقضاء والقدر، ويَدَّعي أنه مُجْبَر، فيفعل فعل الأحرار ثم يدعي الإجبار، فالله تعالى أقام الحجة على عباده بهذا المعنى اللطيف الواضح البين.

ومع ذلك؛ فإن الله تعالى هو القاهر فوق عباده عز وجل، وهو القاهر الذي يقهر الجبابرة والمتكبرين والطغاة والمتجبرين، ولذلك فإن المتسلطين على الخلق بغير حق يمنون بالهزيمة النكراء، ويؤول أمرهم إلى الضعف والانهيار، ولو لم يكن من ذلك إلا الموت الذي جعله الله تبارك وتعالى سيفًا مُسَلَّطًا على رقاب الجبابرة يتخطَّفهم وهم في أَوْج قوتهم.

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولَنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزُّلال
عَمِروا الدهر بعيشٍ حسن آمِنِي دهرِهم غيرَ عِجَال
عَصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاك الدهرُ يُودِي بالرجال
وكذاك الدهرُ يودي بالفتى في طِلابِ العيشِ حالًا بعد حال

من معاني «القاهر»: أنه يقهر المعاندين المتكبرين بما أقام من الحجج والدلائل العظيمة على ألوهيته وربانيته، وأنه المستحق للعبادة وحده، فإن في الكون والنفس، من الأدلة الظاهرة ما لا يستطيع الإنسان تَجَاهُل دلالته؛ لأنها تحاصر العقل والقلب، والفطرة تنطق باسم الرب تبارك الله وتعالى، وتؤمن به، وتدل عليه، فما في الأدلة المبثوثة على ألوهيته وعظمته في الكون يدركه العالِم في مختبره بين أبحاثه ودراساته واكتشافاته، كما يدركه الرجل البسيط في مزرعته، وهو يرى البذرة تنمو وتكبر وتثمر ويجري فيها الماء، ويراه الأعرابي في صحرائه وهو يلاحق المطر والغيث.

وهذه الأدلة الربانية جعلها الله تعالى قهرًا لمعاني الشك والريب، ودلالة تحدو الإنسان إلى الإيمان بالله وعبادته.

كذلك من معاني «القاهر» و«القهار»: قهر العباد بحشرهم إليه سبحانه من غير إرادتهم ولا اختيارهم؛ ليقيم بينهم ميزان العدل، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وقرنها هنا بالواحد؛ إشارةٌ إلى أن كمال القهر إنما هو له سبحانه دون سواه، أما البشر فقهرهم محدود في الزمان والمكان والإمكان.

ففي ذلك اليوم العظيم تبدل الأرض غير الأرض، وكذلك السموات، ويحشر الخلق كلهم إلى ربهم سبحانه، على صعيد واحد، لا يجدون عنه محيصًا ولا ملتجأ يفرُّون إليه، بل كلهم محشورون بين يديه، ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؛ أي: ظهروا، والله تعالى يعلم بهم في كل حال، ولكنهم ظهروا ظهورًا لا يجادلون فيه لله الواحد القهار الذي قهرهم في الدنيا بآياته وبعظمته وبقدرته القاهرة، وقهرهم في الآخرة بالحساب الذي ينتظرهم.

والمؤمن يدرك أنه محاسب بين يدي الله عز وجل، ولذلك تعتدل الكفة في يده، وينضبط أمره، ويكون عنده من إيثار الدار الآخرة، وانتظار موعود الله عز وجل ما يجعله يكف عن كثير من الشهوات والمغريات والدوافع النفسية المحرمة، فربما تنازل عن مال، أو تخلَّى عن شهوة، مع أنها قد أتيحت له، وقدر عليها، وتيسَّرت له أسبابها، ولكنه تركها ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة؛ لأنه يعلم أنه موقوف بين يدي القهار جل وتعالى.

«**القاهر**» و«**القهار**»: الذي يقهر الأشياء ويجريها على ما يشاء، حتى لو كانت في ظاهر الأمر متناقضة، يتعجَّب البشر منها، كوجود الروح في الجسد، ونزعه منه؛ فالروح شيء لطيف، لا يحيط البشر به، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

فيتعجب الإنسان من تعلق هذه الروح بالبدن، وكيف تكون؟ وأين توجد؟!

وطالما بحث العلماء وتكلموا، وشرقوا وغربوا، وحاولوا وخمَّنوا، ولكن كل أبحاثهم وعلومهم تنتهي إلى جهل عريض بحقيقة الروح، ويكفي فيها قوله تعالى في أمر الروح: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥]، وكما قال المتنبي:

تَخَالَفَ الناسُ حتى لا اتفاقَ لهم ... إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَجَبِ

فقيل: تخلُصُ نفسُ المرءِ سالمةً ... وقيل: تَشْرَكُ جسمَ المرءِ في العَطَبِ!

كذلك من الأمور التي تثير العجب: كيف يَتَخلَّق الجنين في الرحم؟

فهذا الجسم الغريب الطارئ على الرحم جعل الله تعالى للرحم قابلية لتَقَبُّله، حتى إنه يلتصق بجدار الرحم، ويكون جزءًا منه، ويتغذى بواسطته.

ومثل ذلك: كيف يؤلِّف الله تعالى بين قلوب الأزواج؟! فربما يدخل المرء على فتاة لم يعرفها ولم تعرفه، ولم يكن بينهما سابق علاقة ولا لقاء، ثم يجعل الله تبارك وتعالى بينهما المودة والرحمة، والألفة والانسجام.

هذا جانب من رحمته عز وجل، وجانب من قهره أن يقهر عباده على هذه الأشياء التي جعل فيها مصالح الدنيا ودرجات الآخرة.

الله الوهاب

من أسمائه سبحانه: «**الوهاب**»، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]، وقوله سبحانه: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ [ص:٩]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص:٣٥].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٥٣-٥٤].

إن العبيد يتقلبون في نعيم هباته المتوالية، وربما جحدوها بلسان الحال أو المقال، وقد نفى الله سبحانه وتعالى أن يستطيعوا أن يعدُّوا نعمه، فقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٨]، وقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

فنِعَم الله سبحانه وتعالى لا تأتي على إحصائها قدرات البشر!

مائة تريليون خلية في جسدك ليس معناها مائة تريليون نعمة من النعم! كلا، بل داخل كل خلية العديد من النعم، وكل خلية فهي عرضة لما لا يمكن إحصاؤه من الآفات، والعلل التي من المحتمل أن تصيبها، والله بقدرته ورحمته يحفظها في جسد الإنسان من هذه العوارض.

وهكذا لو ذهب الإنسان يُعَدِّد نعم الله تعالى المُثْبَتَة عليه في بدنه، لوجد أنه غير

قادر على عَدِّها، نعم، قد يبدأ في العدِّ، ولا ينتهي إلى الإحصاء والحصر.

ولكن هَبْ أنه انتهى منها إلى عدد؛ فكيف له أن يعدَّ نعم الله سبحانه وتعالى التي هي عبارة عن نقم دفعها الله تبارك وتعالى عنه، وحماه منها، وربما ابتلي بها بعض عباد الله عز وجل؟! وكيف له أن يعدَّ نعم الله على غيره من السابقين والمعاصرين واللاحقين، وفي الكون والآفاق؟!

ولننظر إلى تذكير الله نبيه ﷺ ببعض نعمه، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: أعطاك الله تعالى في الدنيا وأكثر، وما تركك ولا هجرك ولا قلاك كما يقول عنك الخصوم والأعداء، بل هو قريب منك سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[الضحى:١-٥]، يعطيك من ألوان العطايا والنعم، والفضل والجود، والكرم والإحسان، وقد أعطاه الله الذكر العظيم.

أغرُّ عليه للنبوة خاتَمٌ	من الله مشهورٌ يلوحُ ويَشهدُ
وضَمَّ الإلـهُ اسم النبيِّ إلى اسمـه	إذا قال في الخمس المؤذِّنُ: أشهدُ
وشقَّ له من اسمه لِيُجِلَّه	فذو العـرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وأعطاه الله: الأتباع الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم!

وأعطاه الله: الأمة العظيمة، التي تظل قائمة إلى قيام الساعة!

وأعطاه الله: الوحي والقرآن، والذكر والحكمة!

وأعطاه الله: الخلق العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٤]!

وأعطاه الله سبحانه وتعالى: المنزلة الكبيرة العظيمة عنده؛ فهو أفضل الأنبياء وإمامهم وخاتمهم، وأولهم دخولًا الجنة، وأعظمهم منزلة، فله من المنزلة في الدنيا والآخرة عند الله تبارك وتعالى ما لا يبلغه غيره من الخلق قط، ومع ذلك سماه الله: عبدًا. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، وقال سبحانه:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء:١].

فسماه: عبدًا، وميَّزه بهذه النعم العظيمة.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [الضحى:٦]؛ حيث كان عليه الصلاة والسلام في يُتم، فأبوه مات قبل ولادته، وماتت أمه في صباه.

ثم آواه الله تبارك وتعالى، وتكفَّل برعايته وحفظه، وكلأه بعينه، حتى وصل إلى ما وصل إليه، وحفظه من كل ما كان عليه أهل الجاهلية.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى:٧].

إن النبي ﷺ لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى عليه هذا الوحي، وهذا القرآن، وهذا الروح من أمر الله عز وجل.. فهدى به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، وبصَّر به من العمى.. وأصبح أتباعه سادة الأمم، وقادة التاريخ، وبُناة المجد والحضارة..!

ثم قال سبحانه: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى:٨].

لقد كان ﷺ متقلِّلًا من الدنيا، مات ودرعه مرهونة عند يهودي(١)، ولم يكن عنده مالٌ، بل قال ﷺ: «**لا نُورَثُ، ما تركناه صدقة**»(٢).

وقد جاء عمر رضي الله عنه إلى بيته، بل إلى غرفته الخاصة؛ فوجد فراشًا بسيطًا، ووجد شيئًا قليلًا من الأُهُب(٣) مُعَلَّقة، وقبضات من شعير لا تبلغ الصاع، حتى بكى عمر رضي الله عنه(٤).

ليس في هذه البيوت ألوان من ألوان ما يتمتع به الناس اليوم، بل كانت في غاية التواضع والبساطة، ومع ذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾، فقد

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٤٤٦٧)، وصحيح مسلم (١٦٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٣) الأهب: الجلد قبل دبغه.

(٤) ينظر: صحيح البخاري (١٩١٣، ٢٤٦٨)، وصحيح مسلم (١٤٧٩).

فُتِحت الدنيا على النبي ﷺ، وجاءته ألوانها وصنوفها، ولو أحب أن تأتيه الجبال ذهبًا لدعا ربه فأعطاه ذلك، لكنه ﷺ رضي أن يكون عبدًا رسولًا.

ولما جاءته الدنيا وفُتِحت عليه بأموالها، وإبلها، وغنمها، وذهبها وفضتها.. وَزَّعَهَا على الناس، وقسمها عليهم، وفي الحديث الصحيح، عن عقبة رضي الله عنه قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلم، ثم قام مسرعًا، فتخطَّى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم عجبوا من سرعته، فقال: «**ذكرتُ شيئًا من تِبْرٍ عندنا، فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته**»[(١)].

فلم يكن ﷺ يمسك شيئًا من هذه الدنيا أو يتعلق به، بل كان يحب أن ينفق ذلك في سبيل الله عز وجل، حتى إنه قال: «**ما أحب أن لي مثلَ أُحُدٍ ذهبًا أنفقه كلَّه إلا ثلاثة دنانير**»[(٢)].

وسأله الأعراب وهو راجع من حنين، حتى اضطروه إلى سَمُرة -وهي شجرة طويلة- فخطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ، فقال: «**أعطوني ردائي، فلو كان عددُ هذه العِضاهِ نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا**»[(٣)]. فكان هذا من شكر نعمة ربه تبارك وتعالى.

أفادتكم النَّعْماءُ منِّي ثلاثةً يدي ولساني والضميرَ المحجَّبا

فكان يحمد ربه عز وجل بقلبه حمد الشاكر المعترف بالنعمة، وأن الله سبحانه وتعالى خالقها ورازقها ومُوليها ومسديها، وهي منه وإليه سبحانه وتعالى.

وفي هديه ﷺ وسيرته من ألوان التبتل إلى الله عز وجل والثناء عليه الشيء الكثير، فكان يقول: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت،**

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥١). والتبر: الذهب الذي لم يضرب.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٨)، ومسلم (٩٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٨).

وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرْت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله غيرك»[١].

ويقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[٢].

ألوان من التَّبَتُّلات والابتهالات للربِّ العظيم الخلَّاق الرزَّاق، وَرِثها عنه أصحابه والمؤمنون من بعده.

ثم الجوارح والأعضاء تُوَظَّفُ في استخدام هذه النعم في طاعة الله تبارك وتعالى؛ فإن النبي عليه الصلاة والسلام كانت حياته كلها لله عز وجل، كما أمره ربُّه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فكان عليه الصلاة والسلام في قيامه وقعوده، ويقظته ومنامه، وحركته وسكنته، وإقامته وسفره، وغناه وفقره، وتَقَلُّب أحواله، مثال العبد المؤمن الشاكر لله عز وجل، وهذا من معاني قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى:٦-٨].

ثم بيَّن سبحانه وتعالى الحق المترتِّب على هذه النعم، فقال: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى:٩]؛ أي: كما كنت يتيمًا؛ فهكذا ارحم الأيتام، واعطف عليهم، وامسح على رؤوسهم، وتلطّف معهم، وكن خَلَفًا للأيتام بعدما فقدوا آباءهم.. وتذكَّر أنك كنت يتيمًا فآواك الله عز وجل؛ فآوِ عباد الله من اليتامى.

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى:١٠] فإذا جاءك فقير أو سائل وعليه علامات الذُّلِّ والفقر والمسكنة والحاجة فلا تنهره، ولا تتكبر عليه.. فإن وجدت شيئًا فأعطه، وإلا فاصرفه بهدوء وسلام.

وهكذا إن جاءك سائل يستفتي أو يسأل عن حكم الله عز وجل أو عن شيء أَشْكل

---

(١) صحيح البخاري (٦٣١٧)، وصحيح مسلم (٧٦٩).

(٢) صحيح مسلم (٤٨٦).

عليه؛ فلا تنهره ولا تقهره، ولا تغضب عليه ولا تزجره؛ وإنما علِّمه، كما علمك الله سبحانه وتعالى.

ثم قال: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١]؛ أي: حدِّث بهذه النعم العظيمة التي أكرمك بها ربُّك تبارك وتعالى، وتحدَّث عنها ليس على سبيل التعاظم بهذه النعم؛ لأنها ليست منك، وإنما هي محض فضل من ربِّك عز وجل، وإلا فإن العبد لا يستحقُّ على ربِّه شيئًا أصلًا!

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبُ ... كلاَّ ولا سعيٌ لديه ضائعُ

إن عُذِّبوا فبِعَدْله أو نُعِّموا ... فبفضلِه وهو الكريمُ الواسعُ[1]

فالله تبارك وتعالى قد أعطاك وأكثر، وهو الغني؛ يرضى عنك أن تأكل الأكلة فتحمده عليها، أو تشرب الشربة فتحمده عليها..

فحدِّث بنعمة الله سبحانه وتعالى، واشكر ربَّك كلما عايشت نعمة من نعمه، أو وجدت فضلًا من فضله، وما أنت إلا بعض نعمه وفضله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣].

قرأتُ في مقالة للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: أن رجلًا أسلم لما سمع سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:١-٣]، فتعجبت من سورة يحفظها الصغار ثم لا يفقهها الكبار كيف تهزُّ قلبًا خاويًا ليعود مشرقًا بالإيمان، فراجعت كتب التفسير فوجدت ما يقضي منه العجب، وحسبك كلمة (الكوثر) والتي تشمل كلَّ ما أعطاه ربُّه من خير في الدنيا والآخرة، في النفس والأهل والأصحاب والأتباع.. فسبحان من لا رادَّ لفضله، ولا مانع لعطائه.

تأمَّل صنيعك في نعم الله عز وجل، ومدى شكرك لهذه النعم، وصَرْفك لها في طاعة الله تبارك وتعالى، واعلم أن لله سبحانه وتعالى حقًّا في كلِّ نعمة أعطاك:

(١) ينظر: العقيدة الطحاوية (ص: ٢٢٩)، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (٢/ ٤٣٣)، وبدائع الفوائد (٢/ ٣٩٠)، ومدارج السالكين (٢/ ٣٣٩)، وطريق الهجرتين (ص: ٤٧٠).

فللفقير حقٌّ في مالك..

وللضعيف حقٌّ في بدنك..

وللعاجز حقٌّ في قدرتك..

وللجاهل حقٌّ في علمك..

ولكل أحد من الناس حق فيما تستطيع ولا يستطيعون.

فاحمد الله سبحانه وتعالى الذي أقدرك على ما هم عنه عاجزون، واعتبِرْ أن من شكر هذه النعمة أن تجعل لهؤلاء فيها حظًّا ونصيبًا، وأن تعلم أن هذه النعمة إما أن ترحل عنك يومًا من الأيام، أو أن ترحل أنت عنها!

فليكن حسن ضيافتك لها أن تشكر الله سبحانه وتعالى عليها حقَّ الشكر، وأن تُوَظِّفها في طاعته، وألا تقول كما قال قارون حينما قال له عقلاء قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾. فردَّ عليهم: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٦-٧٨].

إن العبد يتقلب في نِعَم لعله لا يلتفت إليها إلا إذا فقدها أو شارف على فقدها، وكم من الأجهزة والأعضاء والقدرات والمواهب في المخ والقلب والجسد، في الظاهر والباطن، في الروح والمادة، في النفس والمال والأهل والولد.

ثم كم من النعم من حولك: الأسرة، والقرابة، والأصدقاء، والأعمال، والجاه، والعلاقات، والآمال والأحلام، بل وهذا الكون العريض المهيأ للحياة بكل ما تحتاجه، فنجد كواكب ضخمة هائلة بحجم الأرض مرات، ولكنها قفر يابس مظلم لا حياة فيها ولا أنيس، لأنها لا تصلح للحياة ولا يعيش عليها الناس.

وها هو الإنسان وصل إلى سطح القمر، وصارت صور رُوَّاد الفضاء تُوَزَّع في الوكالات، وتُعْرَض في القنوات، ثم صدَّ الناس عنها وصارت الصورة كأنها تنتمي إلى عصر سابق بائد لا تثير فضولًا ولا تحرك ساكنًا.

فالحمد لك يا خيرَ مَنْ مَلك بعدد آلائك ومواهبك وعطاياك، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه يوافي نعمك ويكافئ مزيدك، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا!

الله الرزاق، الرازق

من أسماء ربنا جل وعز: «**الرَّزَّاق**»، و«**الرَّازق**»، وهو «خير الرَّازقين».

وقد ورد اسم الله «**الرَّزَّاق**» في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨]، وفي قراءة أخرى: «الرَّازق»[١]. وعلى صيغة الجمع «**خير الرَّازقين**» في خمسة مواضع.

وإذا كان الناس يَرزُق بعضهم بعضًا؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو رازقهم كلهم، كما قال: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المؤمنون:٧٢].

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق الرزق، وخالق الإنسان، وخالق السبب الذي بموجبه يصل الإنسان إلى الرزق ويحصل عليه.

ورزق الله ينقسم قسمين:

الأول: الرزق العام، وهو للبشر كلهم؛ مسلمهم وكافرهم، بَرِّهم وفاجرهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود:٦].

وكم هي الدواب على ظهر هذه الأرض، وفي الفضاء والأفلاك، بل وفي أعماق البحار، كلها تكفَّل الله برزقها جميعًا، ويسَّر لها أسبابها، من حيث تحتسب ومن حيث لا تحتسب، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ

(١) ينظر: معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (٩/ ١٤٣).

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]، فالله تعالى تكفَّل برزق الخلق كلهم.

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: فأرزقه، وأمتعه متاعًا دنيويًا.

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص:٦١].

أما القسم الثاني: فهو الرزق الخاص: وهذا يختص الله تعالى به نخبة من عباده يختارهم ويصطفيهم، وهو الرزق الإيماني، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى، والتعرُّف إليه، والالتزام بأمره، والوقوف عند حدِّه؛ لينال العبد رضا ربه.

وقد جعل سبحانه وتعالى في قلوب عباده المؤمنين من الروح والإيمان والسعادة من عاجل بشراهم ما يمهِّد للجنة والرضوان في الدار الآخرة، وهو ما أنزله في كتابه من الآيات والحكمة، وما بعث به رسله عليهم الصلاة والسلام.

ولذا فإن من أسماء الله سبحانه وتعالى: «**الوهَّاب**» الذي يَهَب لعباده ويمنحهم ويفيض عليهم الرزق، كما سبق.

ومن أسمائه: «المقيت» الذي يعطي العباد قوتهم، وقيل: المقتدر على كل شيء، كما سيأتي.

ومن أسمائه سبحانه وتعالى: «المنَّان»، الذي يَمُنُّ على عباده بالعطايا، ويجود عليهم بها، كما سيأتي.

إن الذي يمنح الرزق هو الله عز وجل وحده؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]، فكل ما يراه الإنسان من مظاهر الرزق والعطاء والكرم والجود فهو خلق الله سبحانه وتعالى وفضله؛ وهو الذي أودع في هذه الأشياء جودتها، وطعمها، ومكانتها، وسهولة

الوصول إليها؛ فيصل الإنسان إليها بيسر وسهولة.

وأما البشر فهم أدوات يَنْفُذ من خلالهم قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، فعلى العبد أن يتوكل على الله عز وجل؛ فإن الله تعالى هو خالق البشر، وخالق الأسباب، وهم فاعلون لها على الحقيقة، وإن أمسك الله عن العبد رزقه، فلا أحد يرزقه بعد الله سبحانه وتعالى، كما قال عز من قائل: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ [الملك: ٢١].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعْطيَ لما منعْتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**»[1].

فلا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، ولا ينفع الناس جَدُّهم وغناهم ومالهم من الله تبارك وتعالى، إنما تنفعهم أعمالهم الصالحة؛ فإنه لا فاتح لما أغلق سبحانه وتعالى، ولا مُغْلِق لما فتح، ولا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، فهو مدبر الأمور كلها دقها وجلها، سرها وعلانيتها، كبيرها وصغيرها، أولها وآخرها.

ولا عتب على الإنسان في أن يفعل الأسباب المادية، أو يحاول بناء العلاقة المعتدلة المتوازنة مع الناس، ويبذل جهده وعقله في الوصول إلى ما يريد مما أحل الله سبحانه، لأن هذا من رزق الله تعالى الذي يَسَّره للعباد، وأقدرهم عليه، وأوصلهم إليه.. لكن لا يجعل الإنسان اعتماده على هؤلاء، وإنما يجعل اعتماده على الله عز وجل، ويسعى دائمًا وأبدًا إلى تعميق صلته بربه، ويوقن أن مفاتيح الرزق بيده، وأن خزائن السموات والأرض بيده، بل إن قلوب العباد وعقولهم بيده.

تأمَّل كيف يرزق الله تعالى الجنين في بطن أمه، من خلال الحبل السري الذي يوصل إليه الرزق، ويحفظ قوته وحياته!

تأمَّل كيف يرزق الله سبحانه وتعالى الثعبان في جحره!

تأمَّل كيف يرزق الطير في وكره!

تأمَّل كيف يرزق السمك في بحره!

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٤، ٦٣٣٠)، ومسلم (٤٧٧، ٥٩٣).

تأمَّل كيف يرزق مِن التمساح، وهو حيوان ضخم هائل، يأكل بعض الحيوانات الكبيرة بشراهة وتوحش، ومع ذلك مكَّن الله سبحانه وتعالى العصفور؛ ليدخل في فم التمساح، ويأخذ بقايا الطعام من بين أسنانه؛ ليقتات بها، والتمساح يدعه يدخل ويخرج لا يعرض له، فانظر هذا العقد العجيب بين هذا التمساح الضخم وهذا العصفور الصغير، وكيف أن الله تبارك وتعالى بلطفه وحكمته جعل رزق العصفور من بين أسنان هذا التمساح؟!

هذه عبرة لكل عبد؛ أن يعلم أن رزق الله سبحانه وتعالى مكتوب، لا تدفعه كراهية كاره، ولا يجلبه حرص حريص، وأن الأمر كله من عند الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من أصبح منكم آمنًا في سِرْبه، معافًى في جسده، عنده قوتُ يومِه، فكأنما حِيْزَت له الدنيا**»(١).

فعلى العبد أن يجمل في الطلب، وأن يقتصد ويرضى باليسير..

إن الإنسان إذا كان آمنًا في بيته، معافًى في بدنه؛ فإنه يجد من أثر الطعام والشراب ولذَّتها ولذة الحياة الشيء الكثير، حتى في الأشياء البسيطة التي تعوَّد عليها، كأن يجلس إلى زوجه، ويداعب أطفاله، ويستمتع بالطعام البسيط المتواضع. أو يتأمل الجو اللطيف الذي جعل الله تعالى فيه الراحة والأمن والعافية في البدن والصحة.. عندها يشعر بشيء عظيم من المتعة والسرور.

ولو كان عنده من الأموال والخزائن وألوان الطعام والشراب الشيء الكثير؛ ولكنه في حالة من القلق أو الخوف، أو التوتر أو الانفعال؛ فإنه لا يكون لهذه الموجودات قيمة عنده، كما لو كان يعاني من أمراض حِسِّية بدنية، أو أمراض نفسية معنوية.

فإذا رُزِق الإنسان طعامًا يشبعه، ولباسًا يواري سوأته، وشرابًا يروي ظمأه، وسكنًا يأوي إليه، فإن هذه من أعظم النعم، ولا تثريب على الإنسان أن يطلب ما وراء ذلك ما دام في حدود الحلال؛ فإن الله تعالى قد قسم بين الخلق أرزاقهم ووزَّعها.

فمن الناس من لا يصلح له إلا الغنى؛ فإذا أغنى الله العبد، فليجعل في ماله حظًّا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، وابن حبان (٦٧١).

للفقير والمسكين وابن السبيل والقريب والجار، وليتواضع لعظمة الإله العظيم الجبار الذي هذا بعض رزقه:

خبز وماء وظِلٌّ ... ذاك النعيمُ الأجلُّ
كفرْتُ نعمةَ ربي ... إن قلتُ: إني مُقِلُّ

إن رزق الله تبارك وتعالى عظيم، ومن رزقه: العافية، والعقل، والطعام، والشراب، والولد، والمال، والجمال، والشباب، والقوة، والفتوة، والطبيعة، والإلهام.

وقد اعتاد كثير من الناس أن تحصل لهم كل هذه الأشياء بشكل طبيعي معتاد؛ ولا يتفطَّنون إلى حقيقة كونها نعمة من عند الله تبارك وتعالى، بينما الإنسان صاحب القلب الحي يدرك هذا المعنى ويتأمله.

جاء رجل يشتكي إلى حكيم الفقرَ، فقال له: هل تبيع لي بصرك بمائة ألف دينار؟ قال: لا. قال: هل تبيع سمعك بمائة ألف دينار؟ قال: لا. قال: فيدك، فرجلك، فعقلك، فقلبك، فجوارحك،... وهكذا عدَّد له، حتى بلغ الأمر مئات الألوف من الدنانير، في هذا الإنسان. فقال له: يا هذا! عليك ديون كثيرة، وحقوق مُثْبَتة، فمتى تؤدي شكرها؟ ومع ذلك تطلب الزيادة، إن ربك تبارك وتعالى عَفُوٌّ كريم!

لَكِسْرةٌ من رخيصِ الخبز تُشْبِعُني ... وشربةٌ من قَرَاح الماءِ ترويني
وخرقةٌ من زهيدِ الثوبِ تَسترُني ... حيًّا وإن مِتُّ تكْفِيني لتكْفِينِي
ولا أُردَّدُ في الأبوابِ مُضطهَدًا ... كما يُرَدَّدُ ثورٌ في الفـدادينِ
لأجعلنَّ حياةً قد فُتِنْتُ بها ... فداءَ عِرضي والدنيا فِدا ديني

وقد صحَّ في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكْلَةَ فيحمده عليها، أو يشرب الشَّرْبَةَ فيحمده عليها**»[(١)].

فَمِنْ شُكْر هذه النعم كلها أن تقول: الحمد لله. وقد تواطأ قلبك ولسانك وجوارحك على هذا المعنى العظيم؛ الذي هو حمد نعمة الله سبحانه وتعالى عليك.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

فهل من اليسير أن تعيش وأنت معافىً في بدنك، فيك الصحة والعافية والقوة والفتوة؟!
وهل من اليسير أن تعيش مرزوقًا مكفولًا بإذن الله تبارك وتعالى، عندك من الطعام والشراب والسكن واللباس والمركب وألوان التقلب في الحياة الدنيا الشيء العظيم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤].
إنك تشرب الماء، وتستنشق الهواء، وتسير على قدميك، وتسمع بأذنيك، وترى بعينيك، وتدرك بعقلك، وتحسُّ بقلبك، وتستمتع بكل هذه النعم العظيمة، سواءً وعيت ذلك أو لم تَعِه، سواء كنت يقظان أم نائمًا، غافلًا لاهيًا أم مقبلًا واعيًا، فكل هذا بعض رزق ربك تبارك وتعالى:

مالي ومال الأغنياءِ وأنت يا ... ربِّي الغنيُّ ولا يُحَدُّ غناكا
مالي ومال الأقوياءِ وأنت يا ... ربِّي وربَّ الناسِ ما أقواكا
مالي وأبوابَ الملوكِ وأنت مَنْ ... خَلَقَ الملوكَ وقَسَّم الأملاكا
فليرضَ عنِّي الناسُ أو فَلْيَسْخَطوا ... أنا لم أَعُدْ أسعى لغيرِ رضاكا

إن رزق الله تبارك وتعالى ونعمته ينبغي أن تُقَابَل بالشكران لا بالكفران، فالنعم إذا شُكِرت قرَّت، وإذا كُفِرت فرَّت: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١].
ومن جميل الرزق أن يُرْزَقَ العبد الطمأنينة والهدوء والاستقرار النفسيَّ والأُسَرِيَّ وسكينة الروح والعقل.
أذكر أنني قرأت للأديب الرافعي مقالة حول قول النبي ﷺ عن خديجة رضي الله عنها: «**إني رُزِقْت حبَّها**»[1].
فيا لجمال الرزق حين يكون حبًّا لنفس تستحقُّ الحبَّ كخديجة!
ويا لسَعَةِ الرزق حين يكون عطاءً من الغنيِّ الكريم!
ويا لديمومة الرزق حين يكون مصحوبًا بالثناء والعرفان!

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه أخرجه مسلم (٢٤٣٥)، وابن حبان (٧٠٠٦)، وينظر: صحيح السيرة النبوية (٣٨).

الله الفتاح

من أسماء الله سبحانه وتعالى «**الفتّاح**»، وهو «**خير الفاتحين**». وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦]، ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩]، ومن هاتين الآيتين يتبين لنا أن الله تبارك وتعالى هو «**الفتّاح**»، وهو سبحانه «**خير الفاتحين**».

من معاني اسم الله: «الفتاح»:

أولًا: «الفتَّاح» الذي يفتح مغاليق القلوب بالهدى والإيمان؛ فتلين وتُذْعن، ويسهل انقيادها بعدما عارضت وشاكست ورفضت وتمنَّعت، كما نجد ذلك في تاريخ الرسالات كلها، بل في تاريخ البشرية كلها، فهذا الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يصل به الحال إلى أن يضع القطن في أذنيه، خشية أن يسمع شيئًا من كلام النبي ﷺ، ثم قال في نفسه: والله إني امرؤ ثبت، ما تخفى عليَّ الأمور حسنها وقبيحها، والله لأسمعن منه، فإن كان أمره رشدًا أخذت به، وإلا اجتنبته. فيستمع فيؤمن بالله ورسوله في مجلسه ذاك[١].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الرجل القوي الشديد، كان يؤذي المؤمنين الأولين بمكة، ثم سمع شيئًا من القرآن، فأقبل الله بقلبه إليه، وجاء إلى النبي ﷺ يطرق باب الأرقم بن أبي الأرقم، وفي قلبه عزيمة على أن يتبع الحق، ويؤمن بالله عز وجل،

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٥).

ويخرُّ ساجدًا مؤمنًا من ساعته، مُخبتًا لرب العالمين، ويعلن إيمانه على الملأ من غير تردد ولا تَلَجلُج، ولا ضعف ولا عجز[(١)].

وهكذا كثير من الناس، فعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه بلغ به الحال أن يهرب من النبي ﷺ عندما فتح مكة، ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يقوده إلى الإيمان والإسلام، فإذا به يصبح من سادات المسلمين وشجعانهم وشهدائهم.

وهكذا، لو قلبتَ التاريخ، أو نظرتَ في واقع الناس اليوم؛ ستجد كثيرًا من الناس كانوا طغاة معتدين أو ملحدين، ثم فتح الله عز وجل بفضله ورحمته مغاليق قلوبهم بالنور والهدى، فأشرقت بإذن ربها عز وجل بنور الإيمان والعلم والبصيرة والحكمة، وتابت وأنابت إلى الله تبارك وتعالى، والله يفرح بتوبة عبده، كما أخبر عن ذلك رسوله عليه الصلاة والسلام[(٢)].

ولقد عرفتُ في حياتي أناسًا كانوا مثال التمرُّد والعناد والنفور من التَّدَيُّن والعبادة، فما مرَّ بهم طويل وقت حتى صلح حالهم، وأصبح المرء يتمنى أن يكون مثلهم، فسبحان مُقَلِّب القلوب!

ثانيًا: «الفتّاح» الذي يكشف الغمة عن عباده، ويسرع بالفرج، ويرفع الكرب، ويجلي العماية، ويزيل الضراء، ويُفيض الرحمة، ويفتح أبواب الرزق، فالله سبحانه هو الفتاح العليم، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك**»[(٣)]. إشارة إلى أن أبواب الرحمة عند الله تعالى، والمساجد من مظان الرحمة؛ ولهذا ناسب هذا الدعاء عند دخول المسجد، إشارة إلى أنه دخل مكان التعبد لله عز وجل، ففيه يحصل السجود والخضوع بين يديه، والإخبات والانكسار له، فناسب الدعاء

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٧-٢٦٩)، وفضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٧١)، وصحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق (ص:٢٣)، وعمر بن الخطاب لعبد الرحمن البكري (ص:٢٠-٢٤)، وفصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب لعلي بن محمد الوصابي (١/ ١٨-٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٧١٣). وأخرج أحمد (٢٥٢١٢)، والترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١) نحوه.

بفتح أبواب الرحمة، فالله عز وجل يسرع إلى عباده بالفرج.

ومن رحمته سبحانه أنه لا يطيل على عباده أمد الشدة والكرب؛ ولذلك يقال: (الشِّدَّةُ بَتْرَاءُ، لا دوامَ لها). وطالما وقع الإنسان في الشدائد، وظن أنه لا نهاية لها، وادْلَهَمَّت عليه ظلماتها؛ ولكن الله تبارك وتعالى يأذن بالفرج، ولو كان أبعد ما يكون عن الإنسان، وكلما اشتدت ظلمة الليل كان ذلك أقرب إيذانًا بطلوع الفجر، فعلى العبد إذا أَلَـمَّت به الشدة أن يتذكر اسم الفتاح العليم، وأن يعلم أن الله تعالى هو خير الفاتحين، فيناديه بهذا الاسم العظيم؛ ولذلك فإن المؤمن لا ينقطع أمله في الله عز وجل، ولا يتسرب اليأس إلى قلبه، وإنما لسان حاله يقول:

عسى الكَرْبُ الذي أمسيتُ فيه ... يكونُ وراءَه فرجٌ قريبُ
فيأمن خائفٌ ويُفَـكُّ عـانٍ ... ويأتي أهلَه النائي الغريـبُ
ألا ليت الرياحَ مُسَخَّرَاتٌ ... بحاجتنا تباكرُ أو تَؤوبُ
فتخبـرَنا الشَّمالُ إذا أتتنا ... وتخبـرَ أهلَنـا عَنَّا الجَنُوبُ
بأنـا قد نزلنـا دار بـلوى ... فَتُخْطِئُنا المنايا أو تُصِـيبُ

ثالثًا: «الفتَّاح» الذي يفتح لعباده أبواب العلم والحكمة، والمعرفة والبصيرة في شؤون دينهم؛ ولهذا تجد العلماء يتفاوتون في منازلهم ودرجاتهم.

أخبر النبي ﷺ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه يأتي يوم القيامة أمام العلماء برَتْوَة[1]. فهو يتقدمهم بمسافات طويلة في المنزلة والمكانة والعلم، أو المقصود أن ذلك يوم القيامة، فالله تبارك وتعالى يفتح لعباده العلم، وعلى سبيل المثال اقرأ كتاب الله تعالى العظيم، وتأمَّل معانيه، وقِفْ عند آياته، وابحث عن أسرارها ومعانيها البديعة،

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٧)، ومسند أحمد (١٠٨)، والآحاد والمثاني (١٨٣٣)، وتاريخ المدينة لعمر بن شبة (٣/ ٨٨٦)، ومعجم الطبراني الصغير (٥٥٦)، والمعجم الكبير (٢)، وحلية الأولياء (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، وتاريخ دمشق (٥٨/ ٤٠٤-٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١/ ١٠، ٤٤٦). والرتوة: رمية سهم. وقيل: ميل. وقيل: خطوة.

وعندما تقرأ في بعض كتب التفسير تجد البون الشاسع في استنباطات العلماء ومداركهم واستخراجاتهم من كتاب الله تعالى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فالله تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح من كنوز المعرفة والعلم وأسرار الوحي والقرآن لمن شاء من عباده.

رابعًا: «الفتَّاح» الذي يفتح لعباده في شؤون دنياهم ما يصلح به عيشهم؛ وتستقيم حياتهم، فليست المعرفة حِجْرًا محجورًا، ولا حِرْزًا مخبأ عن العباد، وإنما الله يحفّز عباده إلى الإبداع والكشف والاطلاع والعلم، ويثيبهم على ذلك، ويقرر في كتابه قانون التسخير: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣]. ولهذا كان النبي ﷺ إذا خرج من المسجد قال: «**اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك**»[(١)].

إشارة إلى أنه قد خرج من المسجد الذي هو مكان العبادة إلى السوق، أو المنزل، أو طلب الرزق وطلب فضل الله؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة:٩].

ثم قال في الآية التي بعدها: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠]، وقال في شأن الحج: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، فأشار إلى الفرق بين طلب الفضل وطلب الرحمة، فالفضل المقصود به -والله تعالى أعلم- في هذه المواضع ما يتعلق بمصالح الحياة الدنيا؛ ولهذا ناسب أن يقول عند خروجه من المسجد: «**افتح لي أبواب فضلك**»، وبذا تبدو الحياة مزرعة للآخرة، وليست نقيضًا لها، وليس الفرق هو بين من يريد الدنيا فحسب، أو يريد الآخرة فحسب، وإنما الفرق هو بين من يريد الدنيا فحسب، أو يريد الدنيا والآخرة معًا، فيصيب الحسنيين.

خامسًا: من معاني «الفتَّاح»: أن يفتح الله تعالى على عباده اكتشاف قوانين المادة، وما يُسَهِّل تسخيرها، وألوان التقدم المادي، والتقنية الحديثة التي ينتفع بها العباد. ولو أنك قرأت تاريخ العلوم والثورات العلمية لطال عجبك مما تضجُّ به الحياة من حولك من

(١) أخرجه أحمد (٢٥٢١٢)، والترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١).

المنجزات والمبتكرات من المعارف الهائلة المتراكمة، حتى تجاوزت البشرية كثيرًا من الـمُسَلَّمات، وغَزَتِ الفضاء، وطَوَّرت وسائل الاتصال، وحَدَّثت الصناعة، وأبدعت في التسخير الإلكتروني، وقطعت شوطًا طويلًا في ثورة الجينوم، وها هي مزارع الخلايا الجِذعية في مراكز البحث في أمريكا وبريطانيا تقدِّم للعالم كلَّ يوم كشفًا جديدًا مذهِلًا، فسبحان مَن علَّم الإنسان ما لم يعلم!

ولعل من أسرار هذا: ربط «الفتاح» بـ «العليم» في غير ما موضع، فالعلم مفتاح للكثير من المشكلات والمعضلات، وهي دعوة للإنسان أن يتعلم؛ ليحصل على مفاتيح الحياة، وهكذا تبدو الشريعة حافزة للعلم داعية إليه، وليس كما تصوِّره الأساطير اليونانية أن اقتباس العلم تم على غير إرادة الآلهة المدعاة !

هذه بعض من آثار هذا الاسم العظيم، ولو أن البشر ارتبطوا بمعنى الألوهية والربوبية، وباسم الله العظيم الذي ينطلق العلم منه، كما قال سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق:١-٢]؛ لكان هذا العلم مولودًا صالحًا للرسالات السماوية، ولكان خادمًا أمينًا للأغراض البشرية والمصالح الإنسانية، بعيدًا عن كل ما يضر بالإنسان، وإلا فما الحاجة إلى أن يكتشف العلم القنابل النووية أو الأسلحة الخطيرة التي إذا استخدمت قتلت عشرات الآلاف، وأفسدت الحرث والنسل؟!

ما الفائدة في أن يكتشف الإنسان بعض الأشياء، ثم يعبث بها عبثًا يضُرُّ بالحياة البشرية، أو يدمِّر الإنسانية، أو يضر بأجيال وأمم أخرى، ليست ممن اكتشف هذا العلم، ولا ممن ساهم في تدبيره؟!

سادسًا: من معاني «الفتَّاح»: أنه يفتح الممالك والأمصار لعباده الصالحين المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح:١]، وقال سبحانه: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٣]، فوعد الله تعالى المؤمنين بالفتح والنصر، وبشَّرهم بذلك، والله تعالى لا يخلف الميعاد.

وهكذا، فإننا نجد أن دعوة الإسلام بعد النبي ﷺ امتدت خلال ربع قرن شرقًا

وغربًا في أنحاء الأرض كلها، حتى دان كثير من أهل بقاع المعمورة لهذا الدين، ودخل الناس في دين الله عز وجل أفواجًا، وكان الفتح الإسلامي يفتح القلوب قبل أن يفتح البلاد؛ فدخل في الإسلام العجم والبربر والفرس وغيرهم، وتكونت من هذه الأمم الأمةُ الإسلاميةُ التي وحَّد الله تبارك وتعالى قلوب أتباعها على الإيمان، وألَّف بين قلوبهم: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣].

إنه لم يكن فتحًا عسكريًّا ولا توسُّعًا إمبراطوريًّا، بل كان نشرًا للعدالة وانتصارًا للفضيلة والحرية، وقضاءً على الظلم والقهر والاستبداد في عالم لم تكن تحكمه قوانين عادلة، ولا أنظمة راقية، فالفتح اسم على مسمى، فهو يعني: فتح القلوب الموصدة، والعقول المغلقة الآسنة، والبيئات المريضة، وإعادة تأهيل الإنسان؛ ليؤمن بدين رب العالمين.

وما فتئ الزمانُ يَدورُ حتَّى ... مضى بالمجد قومٌ آخرونا
وأصبح لا يُرى في الرَّكْبِ قومي ... وقد كانوا أئمَّتَهُ سِنينا
وآلمني وآلَمَ كُلَّ حُرٍّ ... سؤالُ الدهر: أين المسلمونا؟!

واليوم أصبح بمقدور المسلم أن يستخدم وسائل التقنية والإعلام؛ لإيصال رسالته إلى الناس، وفتح القلوب والعقول لها، متى ملك المعرفة والجرأة، وتحرر من عقدة الخوف والتردد!

وهذا جزء من موعود الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

إن المؤمن يطمع في المستقبل من فضل الله تعالى وعطائه ورحمته وكرمه، يرجو أن تؤمن كثير من شعوب العالم، وأن يوجد من يحمل هذا الدين، ويدافع عنه، ويدعو

إليه، ولا ييأس أن يفتح الله تعالى لهذه الأمة، وهو خير الفاتحين.

لعل توظيف الإعلام الحُرِّ والفضاء الإلكتروني والتواصل الإنساني؛ لإشاعة القيم الإسلامية، ونشر النموذج الصادق بالحجة اللسانية البيِّنة، وبالقدوة الإنسانية الصادقة هو جزء من مفهوم (الفتح) الذي يظن الكثير من الناس أنه يعني النصر العسكري فحسب، وما النصر العسكري إلا وسيلة وأداة من أدواته التي تتغير حسب ظروف الزمان والمكان.

سابعًا: «الفتاح»: الذي يفتح ويحكم بين عباده بالحق في الآخرة؛ فمهما طال الليل، وادْلَهَمَّ الْخَطْب، فإن الله يفتح بين عباده، ويحكم بينهم، كما قال الله عز وجل حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩]، وهو الفتاح الذي ينتصر للمظلوم من الظالم مهما طال ليل الظلم وادْلَهَمَّ.

يا صاحبَ الهمِّ إن الهمَّ مُنفرِجٌ	أبْشِر بخيرٍ فإن الفارجَ اللهُ
اليأسُ يقطعُ أحيانًا بصاحبه	لا تيأسَنَّ فإن الكافيَ اللهُ
اللهُ حَسْبُك مما عُذْتَ منه به	وأين أمنعُ مِمَّنْ حَسْبُه اللهُ؟
يا نفسُ صبرًا على ما قدَّر اللهُ	وسلِّمي تَسْلَمي فالحاكمُ اللهُ
يا رُبَّ مُسْتَصْعَبٍ قد سهَّل اللهُ	ورُبَّ شرٍّ كثيرٍ قد وقى اللهُ
إذا بُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بهِ	إن الذي يَكْشِفُ البلوى هو اللهُ

فيا فتاح افتح لعبادك مغاليق الأسباب والأبواب، واكشف كروبهم، ونَوِّرْ دروبهم، واغفر ذنوبهم، وافتح لهم أبواب فضلك ورحمتك وعطائك وأنت خير الفاتحين.

○ ○ ○ ○

الله العليم، العالم، العلام

ورد اسم الله «**العليم**» في مائة وسبعة وخمسين موضعًا من القرآن الكريم، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٧٠]، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦].

وورد بلفظ «**العالِم**»: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام:٧٣]، وقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ:٣] ثلاث عشرة مرة.

وورد بلفظ «**العلَّام**»، وهي صيغة مبالغة تدل على كمال العلم وسعته: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩] في أربعة مواضع.

والعلم يقتضي نفي الجهل، وعلمه سبحانه علم شامل كامل، محيط بالماضي والحاضر والمستقبل، وعلم مطابق للواقع: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ولهذا يُسمَّى (علمًا) ولا يسمى (معرفة)؛ لأن المعرفة تكون بعد جهل بخلاف العلم.

فهو الذي أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، لا يَخْفَى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، وكما أن علمه لا يسبقه جهل فلا يلحقه نسيان: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢]، ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف:٧].

وهو يعلم الدقائق والتفاصيل والظواهر والبواطن، والكليات والجزئيات، والمعاني والماديات، وقد كتب مقادير كل شيء في كتاب عنده، ولذا يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم

﴿ مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:٨٥]، ويقول: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه:١١٤]، ويقول: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق:٥].

فهذا العلم يُوجِب الخشية منه وتعظيمه، ولذا قيل: «من كان بالله أعرف كان منه أخوف».

ويوجب مراقبته؛ لأن كل شيء بعلمه وسمعه وبصره وتحت سلطانه.

ويوجب محبته؛ لأن كمال العلم محبوب للنفوس الشريفة التَّوَّاقة.

ويوجب محبة العلم والسعي فيه وتحصيله والتلذذ به؛ لأن الله يحب العلم والعلماء، ويكره الجهل والجهلاء.

ويوجب الصبر على التعلم وذُلِّه؛ لأنه عبادة.

ومن لم يَذُقْ ذُلَّ التعلُّم ساعةً ... تجرَّعَ كأسَ الجَهْلِ طُولَ حياتهِ

وعلم الشريعة والوحي والآخرة محبوب؛ لأنه يُثْمِرُ المعرفة به والقرب منه، ومعرفة ما يريد، وما يحب، وما يكره سبحانه وتعالى.

وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان، وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة؛ لأنها تزيد العبد بصيرة بخلق الله وقدرته وحكمته وعظمته، وتُيسِّر الانتفاع بهذا الكون: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ [الجاثية:١٣].

فليس العلم البشري معانِدًا للعلم الإلهي، ولا الدين جاء يحجب الناس عن العلوم، بل أول ما نزل من القرآن: هذه الآية: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:١]، فربط القراءة باسمه «الأكرم»، ومن كرمه سبحانه أن منح الإنسان العقل والمواهب والقدرات، وغرس فيه الرغبة في الاكتشاف والتطلع للمعرفة، وحفَّز على معرفة البدايات والأسرار، حتى في خلق الإنسان: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ [العلق:٢]، ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١].

وفي الكون والأفلاك والمجرات والعوالم الظاهرة والخفية: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس:١٠١].

ولن يُحَصِّل العلم إلا الجادون الصابرون:

إذا كان يُؤذيك حرُّ المصيف ويُبْسُ الخريف وبردُ الشتا
ويُزهيك حسنُ زمانِ الرَّبيع إذًا أَخذُك العلمَ قل لي متى؟!

إن هذا الاسم الشريف العظيم يولِّد في النفس تسليمًا لما يفعله الله في كونه، وأنه بعلمه وإرادته وحكمته، فالحكمة هي من العلم، والقدرة هي قرين العلم: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤]، فكل شيء بقَدَر، وكل قَدَر بحكمة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]، وهو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى، ويسلِّم، كما قال علقمة بن قيس رحمه الله[(١)].

إن الإيمان بالرب «**العليم**» يجعل العبد أقرب إلى ربه، وأكثر استشعارًا لمعيَّته.

وجاءت خَوْلة بنت ثعلبة رضي الله عنها تشكو أمرها وزوجها إلى رسول الله ﷺ، وعائشة في ركن الدار ولا تسمعها، وسمعها الله، فأنزل قوله سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[(٢)] [المجادلة:١].

هو العليمُ أحاطَ علمًا بالذي في الكونِ من سرٍّ ومِنْ إعلانِ
وبكل شيءٍ عِلمُه سبحانَه قاصي الأمور لديه مثل الداني
لا جَهلَ يَسْبِقُ علمَه كلا ولا يَنسى كما الإنسان ذو نسيانِ

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢)، والبيهقي في الشعب (٩٩٧٦)، وغيرهما.

(٢) ينظر: مسند أحمد (٢٣٠٦٤)، وسنن النسائي (٣٤٦٠)، وسنن ابن ماجه (١٨٨، ٢٠٦٣).

الله القابض، الباسط

القَبْض خلاف البسط، والانقباض خلاف الانبساط، وقبضت الشيء؛ إذا أخذته بجميع الكف، وتناولته تناولًا[١].

والبَسْط: نقيض القَبْض، وهو النَّشْر والسَّعَة.

ويقال: فلان بسيط الجسم؛ أي: فيه سعة وامتداد وزيادة: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة:٢٤٧].

وقد ورد ذكر الاسمين الجليلين «**القابض**» و«**الباسط**» في حديث أنس رضي الله عنه قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! لو سعَّرت؟ فقال: «**إن الله هو الخالق القابض الباسط، الرازق المسعِّر، وإني لأرجو أن أَلْقى اللهَ، ولا يطلبني أحدٌ بِمَظْلَمَةٍ ظلمتُها إياه في دم ولا مال**»[٢].

ووردا على قبيل الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥]، وكذا على لسان رسوله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل**». رواه مسلم[٣].

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ١٨٢)، لسان العرب (٧/ ٢١٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦١٣)، وأبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠)، وابن حبان (٤٩٣٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٥٩).

وقوله ﷺ: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»[1].

ومعنى قوله تعالى: ﴿يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾؛ أي: يُضيِّقُ على من يشاء، ويوسِّعُ على من يشاء بمقتضى حكمته.

و«**الباسط**» سبحانه هو الناشر فضله على عباده، يرزق، ويوسِّع، ويجود ويفضل، ويمكِّن، ويخوِّل، ويمكن أكثر مما يحتاج إليه.

و«**القابض**» سبحانه هو الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على عباده.

و«**الباسط**» الذي بسط الأرواح في الأجساد، وهو سبحانه يَقبض الصدقات من الأغنياء، ويَبْسط الرزق للضعفاء، ويبسط الرزق على الأغنياء ويُفيِضُه ويوسعه، ويقبضه عن الفقراء فيقدر عليهم أقواتَهم وأرزاقهم.

ويبسط القلوب بما يُفيضُه من بِرِّه ولُطْفه وإنعامه، ويَقبضُها فيُضَيِّقُها حتى تضيق على أصحابها أنفسهم، وتضيق عليهم الأرض بما رحبت.

فهو سبحانه يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الأرزاق والقلوب.

هو قابضٌ هو باسطٌ هو خافضٌ ... هو رافعٌ بالعدلِ والميـزانِ

وثبت عن النبي ﷺ أنه دعا ربه وأثنى عليه بذكر قبضه وبسطه، كما في «المسند» وغيره، أنه لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «**استووا حتى أُثني على ربي**». فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: «**اللهم لك الحمدُ كلُّه، اللهم لا قابضَ لما بسطتَ، ولا باسط لما قبضتَ، ولا هادي لما أضللتَ...**» الحديث[2].



---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٤٥)، والبزار (٣٧٢٤)، والحاكم (٣/ ٢٣).

الله السميع

من أسماء ربنا سبحانه: «**السميع**»، وقد ورد في الكتاب العزيز في خمسة وأربعين موضعًا، قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

تقول عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وَسِع سمعُه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة إلى النبي ﷺ -وأنا في ناحية البيت- تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[1].

«السميع»: السامع للأصوات كلها، سرها وعلانيتها، كما قال سبحانه: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠]، فالأصوات عنده سبحانه كلها سواء، والسر عنده علانية، والنجوى إليه مفضية، بل حديث الإنسان في نفسه؛ فالله تبارك وتعالى مطَّلع عليه، فكل الأشياء ظاهرة له عز وتعالى؛ لأنه خالقها ومبدعها والمتصرِّف في جزئياتها وتفاصيلها. فهذا من معاني السميع الذي يسمع الأصوات كلها.

وأيضًا من معاني «السميع»: الذي يستجيب دعاء عباده إذا سألوه، ودعوه، وتضرَّعوا إليه، فإنه سبحانه يسمع ويجيب.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٦٤)، والبخاري معلقا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨، ٢٠٦٣).

فهو يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من دعاء لا يُسْمَع[1]، أي: لا يستجاب له، كما قال القائل:

دعوتُ اللهَ حتى خِفْتُ ألَّا يكونَ اللهُ يسمعُ ما أقولُ

يعني: لا يستجيب لي، وليس معناه أنه يشك في سمع الله تبارك وتعالى؛ ولهذا يقول المصلِّي: «سمع الله لمن حمده». إذا رفع من الركوع، ومعناها: أن الله تعالى استجاب لمن حمده وذكره ودعاه؛ ولهذا يشرع للعبد أن يدعو في صلاته في مواضع: بعد تكبيرة الإحرام، وقبل الركوع أحيانًا، وفي الركوع، وبعد ما يرفع من الركوع، وفي السجود، وبين السجدتين، وفي آخر الصلاة قبل السلام، فهذه سبعة مواضع من مواضع الدعاء في الصلاة.

الله تعالى يسمع كل المسموعات، وفي ذلك إثارة للخشية، وتجنُّب قَالَةِ السوء، والفحش في القول والعمل، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٢-٢٣].

وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قليلٌ فِقْهُ قلوبِهم، كثيرٌ شَحْمُ بطونِهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ...﴾»[2].

○ ○ ○ ○

---

(١) ينظر: مسند أحمد (٦٢٧٣)، وسنن أبي داود (١٥٤٨)، وجامع الترمذي (٣٤٨٢)، وسنن النسائي (٥٤٦٧)، وسنن ابن ماجه (٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

الله البصير

من أسمائه سبحانه وتعالى: «**البصير**»، وقد ذُكِر في القرآن الكريم في اثنين وأربعين موضعًا، كما في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٥]، وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤].

معاني اسم الله: «البصير»:

«**البصير**»: الذي يبصر الأشياء كلها ويراها، فهو بكل شيء بصير.

«**بصير**» بمعنى أنه عالم بالأحوال كلها، فهو إذ يخلق أو يرزق، أو يحيي أو يميت، أو يهدي أو يضل، أو ينصر أو يخذل، فإن هذا وِفْقَ حكمة وبصر وعلم تام لا يغادر قليلًا ولا كثيرًا.

إن العبد بمرأى ومسمع من الله عز وجل بكل حال، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦١]، فالله تعالى له العلم المحيط الشامل، وهو السميع البصير.

وقد ذكر الله تعالى عن بعض منافقي أهل الكتاب أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا. وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم؟ فعقب الله ذلك بقوله: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[1] [البقرة: ٧٧].

(١) ينظر: الدر المنثور (١/ ٤٢٨-٤٣١).

وجلس عُمير بن وَهْب الجُمَحي وصفوان بن أُمَيَّة عند الكعبة يخططون لاغتيال النبي ﷺ، فأخبر الله تعالى رسوله بكيدهم[1].

فالله تعالى هو السميع البصير، وفي هذا عزاء للمؤمنين؛ وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩]، ففي نصبكَ وتعبكَ واجتهادِكَ وعبادتِكَ وذكرِكَ لله تعالى؛ فهو يراك.

فهذه الرؤية، وهذا السمع يجعل المؤمن طيب البال، مرتاح النفس، هادئًا راضيًا؛ لأنه يعلم أن الله تعالى يسمعه ويراه، وفي ذلك تصبير للداعين، كما قال سبحانه لموسى وهارون حينما أمرهما بالذهاب إلى فرعون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، فيقع لقلب المؤمن من جَرَّاء ذلك الرضا بالله تعالى والصبر واليقين، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، فيكون بذلك تثبيت وتصبير للمؤمنين، وفي ذلك تهديد للكافرين والمجرمين، والمتمادين في طغيانهم وعدوانهم، كما قال عز وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت:٤٠]، فقوله سبحانه: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ أي: أن الله تعالى معهم بسمعه وعلمه وإحاطته، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم، وسيجازيهم يوم القيامة بما كانوا يعملون، وفي ذلك أيضًا رُقِيٌّ بالعبادة، ورقي بالعمل، وإنجاز وإحسان إلى الخلق، فإن الذي يعلم أن الله تعالى يراه سوف يكون محسنًا في عبادة ربه، محسنًا إلى الخلق؛ ولهذا قال النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام الشهير المتفق عليه، عندما سأله عن الإحسان: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

وهذا يقتضي الإحسان؛ لأن العابد إذا علم أن الله تعالى يراه اجتهد في العبادة على أحسن ما يكون.

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٤/ ١٩٩)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٦٧)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص:١٤٠)، وأسد الغابة (١/ ٨٧٦)، والإصابة (٤/ ٧٢٦).

(٢) صحيح البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، وصحيح مسلم (٨، ٩).

تأمّل المُوَظَّفَ حينما يكون المدير قائمًا عليه؛ فإنه سوف يكون مجتهدًا على أن يكون العمل على أفضل ما يتحقق من الإنجاز؛ فكيف لو تصورت عظمة الباري جل وتعالى؟ إن العبد بكل أحواله هو في نظر الرب، وفي سمعه وفي بصره، فإذا عبد ربه اجتهد في العبادة أن تكون في خشوعها وركوعها، وسجودها وطهارتها، وإقبال العبد عليها على أحسن ما يستطيع؛ لينال بذلك رضا ربه جل وتعالى، وإذا عمل العبد عملًا دنيويًّا في تجارة أو وظيفة لا يعتبر أن القضية هي رقابة المسؤول عليه، وإنما يدرك رقابة الإله العظيم الذي لا تخفى عليه خافية، فيكون للعبد بذلك الإنجاز والاجتهاد في العمل، والمحافظة على الأمانة على أكمل وجه وأَتَمِّه؛ ولهذا رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[1]. يعني: أن ينجزه على أفضل ما يقدر، وعلى أفضل ما يستطيع.

إن معايير الجودة الشاملة تتحقق في العمل الدنيوي أو الوظيفي أو العائلي أو التعبدي؛ حينما يستشعر المؤمن أنه لا يغيب عن ربه لحظة ولا طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأن الله يحب منه الإنجاز والضبط والأداء الجيد، ويكافئه عليه في الآخرة، فضلًا عن فوائد الدنيا وعائداتها.

إن معرفة العبد بسمع الله تعالى وبصره يَعْصِمه مِن الذنوب والمعاصي، وإن العبد إذا أدرك رقابةَ الله تعالى عليه؛ عَلِمَ أنه لا مَفرَّ مِن الله إلا إليه.

أذكرُ في قصيدةٍ لابن القيم رحمه الله قوله:

فأين يفرُّ العبدُ منه بذنبه   إذا كان تُطوى في يديه المراحلُ

ومما يروى لأبي العتاهية وغيره، وكان الإمام أحمد رحمه الله يرددها، هذه الأبيات:

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٥٣١٣، ٥٣١٤)، وينظر: السلسلة الصحيحة (١١١٣).

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فلا تقل: خلوتُ، ولكن قل: عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ولا أن ما تُخْفِي عليه يَغيبُ
لَهَوْنَا عن الأيام حتى تتابعت ذنوبٌ على آثارِهنَّ ذنوبُ
فيا ليت أن الله يغفرُ ما مضى ويأذنُ في توباتنا فنتوبُ
إذا ما مضى القرنُ الذي أنت فيهمُ وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنت غريبُ

○ ○ ○ ○

الله اللطيف

من أسمائه تعالى: «**اللطيف**»، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم سبع مرات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:٦٣]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف:١٠٠].

وهذا الاسم العظيم له معان، منها:

أولًا: الرفق، فهو يرفق بعباده، ولا يعاجلهم بالمؤاخذة على الذنب.

ومن لطفه تعالى: إيصاله العبد إلى ما يحب ويرضى سبحانه وتعالى بلطف خفي لا يدركه العبد.

ثانيًا: تسخير الخلق بعضهم لبعض، فسخَّر الأبوين للأولاد، والأولاد للأبوين، بل سخَّر لهم الملائكة؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧].

ثالثًا: البِرُّ والتفضُّل، فهو يكرم ويهدي ويعطي؛ ولذلك تقول: جاء فلان بلطائف جيدة. أي: هدايا جميلة نالت الإعجاب.

فالله تعالى لطيف بعباده فيما يعطيهم، كما هو لطيف بهم فيما يمنعهم، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى:١٩].

ولذلك فإن من لطفه سبحانه وتعالى: أن يعطي عباده إذا كان العطاء خيرًا لهم، ويمنعهم إذا كان المنع خيرًا لهم، وِفْق مقتضى حكمته ورحمته وعَدْله عز وجل!

رابعًا: الخفاء، فهو سبحانه لا تدركه الحواس، ولا تراه الأبصار؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ومع ذلك فهو واضح في أدلة العقل والنقل، ولكن الأبصار لا تستطيع أن تدركه في هذه الحياة الدنيا.

ولهذا لما قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾، قال له الله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

لكن يراه المؤمنون يوم القيامة، وذلك فضلٌ منه وتَكَرُّمٌ، وهذا فضل عظيم من الله تعالى أن يَمُنَّ على المؤمنين بمنحهم القدرة على رؤيته عز وجل؛ ويكون في ذلك من النعيم ما لا يخطر على بال، ولا يتصوَّره خيال، ولا يدركه وَهْم؛ فإن الله سبحانه وتعالى له من الجلال والجمال والكمال غايته ومنتهاه.

ولو أن الإنسان رأى في الدنيا بعض مظاهر العظمة والإبداع الإلهي في الكون حوله، لطال منها عجبه وهيبته لربه وتعظيمه له. فكيف إذا رأى ونظر إلى هذا الإله العظيم الذي حوى الكمال من كل وجه؟!

فلذلك امتنَّ الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين في الدار الآخرة برؤيته، وحجب عنها المنافقين والكفار، قال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥].

خامسًا: ومن معاني «اللطيف»: الذي لا تخفى عليه الأشياء، ولا تغيب عنه، مهما تناهت في الدقة وبلغت في الصغر، إلا أن الله سبحانه وتعالى محيط بها، ولهذا كان من وصية لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:١٦].

فهو يدرك كل الأشياء سبحانه، ويعلمها علمًا تامًّا، كما قال سبحانه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فلله تعالى العلم التام الشامل المحيط بكل الأشياء، دقها وجلها، سرها وعلانيتها: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٧].

سادسًا: من معاني «اللطيف»: العلم بدقائق المصالح وخفيِّها؛ فإنه يخلق هذه

المصالح الدقيقة الخفيَّة، وييسِّرها للعباد من حيث يعرفون أو لا يعرفون، ومن حيث يحتسبون أو لا يحتسبون.

فمن لُطْفه سبحانه وتعالى: أن يخلق الجنين في بطن الأم، فلا يرفضه الرحم، مع أنه مادة أجنبية عنه؛ لكن الله تعالى يهيئ استقباله والتقبُّل له في هذه اللحظة!

ومن لُطْفه سبحانه وتعالى: أنه خلق الجنين في ظلمات ثلاث، ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن، ويجعل له من أُمِّه غذاءً، يصل إليه ويناسبه، وجوًّا يلائمه.

ومن لطفه سبحانه وتعالى: إلهام الجنين أن يلتقم الثدي بعدما يخرج إلى هذه الحياة الدنيا، وأن يصيح ويتألم كلما جاع أو احتاج إلى شيء أو أصابه شيء؛ ليكون ذلك منبِّهًا إلى تغذيته ومعالجته والاهتمام به.

ومن لطفه سبحانه وتعالى: أن يُعِدَّ الإنسان للتعلم؛ فيرزقه من القوى والقدرات ما يجعله خليقًا بالمعرفة، ولهذا لما خلق الله آدم عليه السلام، قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]، فقال الله سبحانه وتعالى لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [البقرة:٣٤]، ويبيِّن لهم فضل آدم عليهم بأمرهم بالسجود له، وبيّن فضله -أيضًا- بأن علَّمه الأسماء كلها، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، حيث سأل الملائكة، فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢]، فقال لآدم: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣].

ثم قال ربنا جل وعز: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣].

فجعل للإنسان القدرة على المعرفة، وهذا وَرِثه الناس عن أبيهم آدم عليه السلام، فالإنسان عنده القدرة على معرفة الأشياء، وعلى معرفة اللغات، وعلى التفكير والإدراك، وهذا من فضله جل وعز ورِفْقه ولُطْفه، حيث أعدَّ الإنسان للتعلُّم والتنقُّل من حال إلى حال منذ أن كان صبيًّا صغيرًا.. فشابًّا.. فكهلًا.. فشيخًا، وهذا جزء من معنى قوله سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى:١-٤]، فقَدَّر للأشياء مقاديرها وغاياتها ومقاصدها، وهَدَى الخلق

إلى ذلك، فهدى الذكر للأنثى، والأنثى للذكر في الحيوان والإنسان، وهدى لسُبُل الاكتشاف والتعرُّف، وزوَّد الإنسان بخصائص تناسب عيشه وكوكبه ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥].

ومن لطفه سبحانه وتعالى: تزويد الإنسان بالأجهزة المتنوعة لقوام بدنه، واستمرار حياته من الهضم والتناسل والتفكير وغيرها، وتأهيله للاكتشاف والاختراع والإبداع، ومعرفة السنن والنواميس، وقراءة الكون من حوله، والاستفادة من ذلك، ونحن نرى بعض تجلياته ومظاهره فيما وصل إليه الناس من ألوان التيسيرات والخدمات البشرية، التي سهَّلت الحياة البشرية في جوانب كثيرة، في العلاقات والسفر، والاتصالات والمواصلات، وجميع مجالات الحياة.

وإن كانت هذه الخدمات في الجانب الآخر أضرَّت؛ بسبب سوء الاستخدام، وبسبب انفصال العلم عن اسم الله تبارك وتعالى، فأصبحت بعض هذه العلوم تُوَظَّف في قتل الإنسان وتدميره، أو في التلاعب بالجينات البشرية، أو في ألوان من العبث بالحياة الإنسانية.. لكن الله سبحانه أقدر الإنسان على هذا الاختراع والاكتشاف، وتعبده أن يجعله في طاعة الله، ووِفْقَ ما فيه مصلحة العباد في العاجل والآجل.

ومن لطفه سبحانه وتعالى: أن نوّع الأرزاق للناس؛ في مآكلهم ومشاربهم ومشاهداتهم..

فكم في البَرِّ من مخلوقات الله عز وجل؟!

وكم في الغابات من ألوان الأشجار والحيوانات؟!

وكم في البحر من ألوان الأسماك التي لو رآها الإنسان لتعجَّب واندهش، ولم يملك إلا أن يُسَبِّح لله اللطيف الواحد القهار؟!

ومن لطفه سبحانه وتعالى: تسخير الحيوانات للإنسان، خاصة ما يحتاج إليه منها، فنراها سهلة الانقياد له؛ كالإبل، والخيل، والفِيَلة، وغيرها مما يُرْكب أو يُؤكل.

وكذلك البحار التي ذلَّلها الله سبحانه وتعالى، فلو رأيت البحر وهو يهدر، والأمواج

وهي تتلاطم؛ لشعرت بالخوف، لكن الله سبحانه وتعالى قهره بالنواميس والسنن التي أودعها فيه!!

ومن لطفه سبحانه وتعالى: أنه ضبط نظام الكون والحياة، فلو أن الشمس ابتعدت عما هي عليه، لتجمَّد الناس! ولو أنها اقتربت أكثر مما هي عليه، لأحرقت الناس، وكذلك لو زاد الأكسجين أو نقص، وكذلك لو جعل الليل أو النهار سرمدًا إلى يوم القيامة، لاختلَّ نظام الحياة.

وكذلك الآلام والابتلاءات، فإذا رزق الله سبحانه وتعالى العبد الصبر عليها والرضا بعدها والتقوى بها؛ فإنها تكون خيرًا!

ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى لنا قصة يوسف عليه السلام، وما جرى له على أيدي إخوانه، ثم ما جرى له في الجُبِّ، ثم ما جرى له في قصر العزيز، وما آلَ إليه الأمر من الملك والقوة والتمكين والسلطان، وفي نهاية المطاف كان عليه السلام يقول: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

فكثير من المصائب التي تقع على نطاق الفرد أو الجماعة أو الأمة تجد الناس يتذمَّرون منها؛ لأنهم لا يرون منها إلا المشهد الأول، حتى إذا مرُّوا بالمشاهد كلها، واكتملت فصول الحادثة أدركوا حينئذ جانبًا من عظمة اللطيف الخبير جل وعز.

ومن لطفه سبحانه وتعالى: أن يسَّر الشريعة لعباده: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٧].

فكان التيسير من أصول الشريعة وقواعدها، وإذا ضاق الأمر اتَّسع، وفي الأثر: «ما خُـيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين، أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا»[1].

ولو تأمَّل العبد مظاهر اللطف في نفسه وما حوله، لتذلَّل لسانه لَهَجًا بالتسبيح للطيف الخبير.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠، ٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

فعلى العبد كلما ضاقت عليه الأمور، وحَزَبَتْه الصعاب، واشتدت من حوله الظلمات وادْلَهَمَّت، أن يتذكر اللطيف الخبير؛ فيهتف باسمه: يا لطيف. الطف بي، ونجني مما أخاف.

○ ○ ○ ○

الله الخبير

ورد اسم الله «الخبير» في خمسة وأربعين موضعًا من الكتاب العزيز مفردًا ومقرونًا، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم:٣]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤].

و«**الخبير**»: من الخَبَر، والخِبرة، بمعنى العلم، فهو العالم بكل شيء، ويطلق على العلم بالخفايا والسرائر، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

وتدخل في هذا الباب: النصوص الواردة في علم الله وسَعته وإحاطته بالعوالم العلوية والسفلية، والدنيوية والأخروية، الظاهرة والباطنة، الحاضرة والغائبة، المادية والمعنوية، لا يخلو عن علمه مكان، ولا يَندُّ عنه زمان، ولا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، لا يغفل ولا يسهو ولا ينسى، علوم الخلق كلهم على سعتها وتنوّعها وتكاثرها إذا قورنت بعلم الله اضمحلت وتلاشت.

وقد أخفت عن النبي ﷺ بعضُ أزواجه حديثًا، فسألها عنه، فكتمته، فقال: «**لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**»(١). فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون، ويحيط بالحركة والسكون.

ومِن تابع الخبرة: أنه يعلم أحوال عباده، فيجازيهم عليها في الدنيا والآخرة، ويطّلع

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤).

على دخائل نفوسهم وأسرار قلوبهم، فيوافيهم بها يوم تُبلى السرائر: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ [العاديات:٩-١١].

خبير بأعمالكم الصالحة، فاستكثروا منها.

خبير بضعفكم، فيُسْرِع إليكم بالفرج.

خبير بخطاياكم، فتداركوها بالتوبة والاستغفار.

خبيرٌ بكيد الكائدين ومكر الماكرين: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [البروج:٢٠]، فيُحبط ما مكروا ويُبطل ما دبّروا.

خبيرٌ بالحقائق والمعاني عليمٌ لا يُمارَى أو يُجارَى
محيطٌ لا يفوتُ عليه شيءٌ ولا يَـخْفى عليه ما توارى

وقال عز وجل: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: اسأل عنه خبيرًا.

قيل: هو محمد ﷺ، فهو أخبر الخلق بربِّه وربِّهم عز وجل.

○ ○ ○ ○

الله الحليم

من أسمائه سبحانه وتعالى: «**الحليم**»، وقد ورد في القرآن إحدى عشرة مرة، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٣].

و«**الحليم**»: مأخوذ من الحلم، وهو ألا يعاجل الإنسان بالأخذ والعقاب، بل يتأنَّى به، فالله تعالى يتأنّى بعباده ويصبر عليهم، ولا يعاجلهم أو يؤاخذهم أو يعاقبهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر:٤٥]؛ ولهذا يقول الإنسان في دعائه: «يا حليمًا على من عصاك»؛ لأن الخلق يعصون الله تبارك وتعالى، ويبارزونه بالمعاصي والذنوب، ولا يزال يمهلهم، ويَحْلُم عليهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة.

ولو تأمَّلت اللحظة، وتخيَّلت الدنيا كلها، وامتداد البشر فيها في الشرق والغرب، وتصوَّرت كم معصية تقع الآن في الدقيقة والثانية مِن غِشٍّ وظُلْم وكذب وشرْك وسرقة وفواحش؛ لأدركت جانبًا من حلم الله تعالى وصبره على عباده.

ولا يوصف بالحلم إلا من كان عنده القدرة، فأنت تقول عن إنسان ما: إنه حليم. إذا كان يستثار فلا يغضب، ويملك نفسه، ويحافظ على هدوئه واعتداله، ويكفُّ يده عن معاقبة الآخرين، والانتقام منهم مع قدرته على ذلك لو أراد.

أما حين يكون عاجزًا مقهورًا ذليلًا، ثم يتحمَّل الأذى والقهر والظلم، دون أن

يَدْفَعَه؛ فهذا لا يُسمَّى حليماً؛ لأنه عاجز ذليل، وإنما الحِلْم مع القدرة، كما قال المتنبي:

كلُّ حِلْمٍ أتى بغير اقتدارٍ حجةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ

وقال آخر:

لن يبلغَ المجدَ أقوامٌ وإن كَرُمُوا حتى يذِلُّوا وإن عزُّوا لأقوامِ

ويُشْتَموا فترى الألوانَ مُسْفِرةً لا صَفْح ذلٍّ، ولكن صَفْح أحلامِ

فليس صَفْحُهم وحِلْمهم عن ذُلٍّ أو عجز، أو أنهم قد تعودوا على الذل والرضا به؛ وإنما لأنهم حلماء حكماء، أهل صبر، يعرفون قيمة الحلم، وهذا يعني رقيًّا في خلق الإنسان وشخصيته ومكانته ومنزلته، وترفُّعًا عن أن يسافه السفيه، أو أن يردَّ عليه السيئة بمثلها؛ فيرتفع إلى درجة العفو والصفح والتواضع لله تعالى، والعفو عن عباده.

فالحلم مقرون بالقدرة، ولذلك كان من أسمائه سبحانه «**الحليم**» الذي لا يعاجل عباده بالأخذ والعقاب والنَّكال مع قدرته جل وتعالى على ذلك، فهو يصبر على عباده وهم يعصونه ويكفرون به، بل يتلطَّف بهم ويدعوهم، ويرزقهم ويغنيهم، ويصحِّح أبدانهم.

لو تأمَّل العاصي أنه يعصي الله تعالى بوسائل وأعضاء وقدرات هي خلقه سبحانه، وهي مما يشهد عليه يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، لكفى بذلك زاجرًا له عن المعاصي والذنوب.

ومن حلمه سبحانه أن جعل للعباد أجلًا ينتهون إليه، ويُحَاسَبون فيه، وهو يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل:٦١]، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:١١].

والأمر الغريب والعجيب أن بعض العباد من جراءته ووقاحته، وقلة أدبه مع ربه، يستعجل عقاب الله، فإذا ذُكِّروا بالله عز وجل، أو خُوِّفوا عقابه ربما استعجلوه، وقالوا: لِمَ لَمْ ينزل علينا عقابه؟ ويظنون أن إمهال الله لهم يعني أنه غافل عنهم، أو لن يعاقبهم،

وهذا من الجهل العظيم، وقلة الخوف؛ ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال:٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣]، فالله تعالى يرفع العذاب عن عباده، ولا يعاجلهم به؛ لأسباب كثيرة، منها:

أنه يمهلهم؛ لعلهم يتوبون وَيْرعَوُون، وكم مِنَ الناس مَنْ قد يكون قضى معظم عمره بعيدًا عن الله، ثم أَذِن الله بتوبته، واستعمله في عمل صالح قبل أن يموت، فتدارك نفسه، وأناب إلى الله؛ فخُتِم له بعمل صالح، وهذا كثير، بل إنك تجد أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم جُلَّهم ممن قضوا ردحًا من أعمارهم في الجاهلية، وكانوا في الشرك والوثنية، وما فيها من الذنوب والمعاصي، والمخالفات الأخلاقية والدينية، ومع ذلك فإن الله تاب عليهم، فكانوا الفئة المختارة، والجيل العظيم الذي أجرى الله تعالى على يديه الخير للبشرية كلها.

فالله تعالى يمهل عباده ويُنْظِرهم؛ لعلهم يتوبون ويعودون إليه؛ ولذلك كان من أسمائه «**الصبور**»، وهذا عند قوم من أهل العلم الذين عدُّوا الأسماء الحسنى، وإن لم يكن ورد بهذه الصفة لا في القرآن ولا في الحديث النبوي؛ وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه: «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل**»(١). فالله تعالى هو أصبر من كل أحد على الأذى الذي يسمعه من عباده، فهو يرزقهم ويعافيهم، وهم يزعمون أن له صاحبة، وأن له ولدًا.

و«**الحليم**» جل وتعالى يحب الحلم، ويثيب عليه، ويأمر به ويحب أهل الحلم؛ ولهذا جعل الله تعالى الحلم صفة للكثير من رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهذا محمد عليه الصلاة والسلام لما أخرجه المشركون وسبُّوه وسَخِروا منه، وقال قائلهم: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟! وقال الآخر: أنا أمزق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك! وقال الثالث نحو ذلك، وردوه ردًّا سيئًا، ومع ذلك قال له ملك الجبال: إن الله قد سمع قولَ قومك لك، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك، فما شئتَ، إن شئتَ أن أُطْبِقَ عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

الأخشبين. فقال ﷺ وهو في موقف من الحزن العظيم الذي غطى على روحه وقلبه: «**بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده، لا يشـرك به شيئًا**»[(١)].

تأملتُ هذا الحديث، فأشرق على قلبي أن النبي ﷺ تجاوز حلمُه الأحياءَ إلى النُّطَفِ التي لم تـُخْلَق، وهذه قِمَّة العناية بالطفولة أن تنشأ في جوٍّ إيمانيٍّ لطيف، لا يحفل بذكريات الموت والدمار والهلاك، وهذا ما جرى حيث أسلم كثير منهم، أما مَن كانوا في أصلابهم فوُلِدوا وعاشوا في الإسلام، وماتوا فداء دين محمد عليه الصلاة والسلام!

وجبذه أعرابي بردائه، وقال له: «مُرْ لي من مال الله الذي عندك»! [(٢)].

وقال آخر: «إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله!» [(٣)]. مع أنه ﷺ ما ادَّخر لنفسه شيئًا، ومات وليس عنده شيء من الدنيا قط، ولا ورَّث دينارًا ولا درهمًا، ولا بيتًا ولا عقارًا، ولا شيئًا من ذلك، ومع ذلك قال الأعرابي ما قال!

وكان ﷺ حليمًا لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، كما جاء في صفته عليه الصلاة والسلام.

فمن أحب أن يحلم الله تبارك وتعالى عليه، فعليه أن يحلم على الناس، فاحلم على زوجك، وولدك، واحلم على مرؤوسيك، واحلم على العامل الضعيف والفقير، وعلى زميلك في العمل؛ ولا تبادر الناس بالغضب، ولا تعوِّد لسانك سرعة الانطلاق في سب أو شتم أو تَنَقُّص؛ ولهذا قال النبي ﷺ لأشج عبد القـيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[(٤)].

(١) ينظر: صحيح البخاري (٣٢٣١)، وصحيح مسلم (١٧٩٥)، وكتاب مع المصطفى ﷺ (ص:٤٦-٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧)، و ينظر: سنن أبي داود (٤٧٧٥)، وسنن النسائي (٤٧٧٦)، وكتاب مع المصطفى ﷺ (ص:١٥٦).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (٦١٠٠)، وصحيح مسلم (١٠٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٧-١٨).

وقد رُوي أن النبي ﷺ قال: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم**»[1]. والأقرب أنه موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه، فيستطيع المرء أن يتدرب على الحلم حتى ولو كان غضوبًا، فإنه مع التدريب يتعلم كيف يضبط نفسه وانفعالاته، ويقتبس صفة الحلم ويكتسبها.

وأرى علم التنمية البشرية اليوم أصبح فنًّا ذا شأن في دراسات وبرامج ودورات لصناعة التغيير الإيجابي في النفوس.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (٢)، والطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، وفي مسند الشاميين (٢١٠٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٠١)، (٩/ ١٢٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٣، ١١٨٤)، وفي سنده اختلاف، ورُوي موقوفًا. و ينظر: علل الدارقطني (١٠/ ٣٢٦-٣٢٧)، والسلسلة الصحيحة (٣٤٢).

● الله العظيم

جاء اسم الله «**العظيم**» في القرآن الكريم تسع مرات مفردًا ومقرونًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩].

والعظمة والعظموت: الكبرياء.

والعِظم خلاف الصِّغر، فهو الكبير الذي لا يَحُدُّه حَدٌّ، ولا يحيط بعلمه بشر، ولا يَقْدِرُ قدره إلا هو سبحانه، فهو عظيم بذاته وصفاته.

وهو عظيم بمعنى: معظَّم؛ أي: يُعظِّمه خلقه وملائكته وأنبياؤه ورسله، والفاقهون من عباده، ويعظمه كونه وسماؤه وأرضه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقد كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب ويقول: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم**»[١].

وقال ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[٢].

و«**العظيم**» هو الواسع في ذاته، الكامل في صفاته، العزيز المجيد، الكبير الخبير.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

ورُوي أن النبي ﷺ أرشد من كان يخاف من ظُلْم ظالمٍ، أو بطش حاكم، أو تَسلُّطِ ذي سلطان أو رئاسة أن يقول: «**اللهم رب السماوات السَّبع، ورب العرشِ العظيم، كن لي جارًا مِنْ شرِّ فلان بن فلان، وشرِّ الجن والإنس، وإخوانهم، وأتباعهم، أن يَفْرُطَ عليَّ أحد منهم أو يطغى، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله إلا أنت**». ووقفه أشبه[1].

ومن عظمة الله تعالى: أن قدره جاوز حدود الإدراك والخيال والعقل، حتى لا يتصور أحد الإحاطة بكُنْهِهِ وحقيقته.

ومن تعظيمه سبحانه: الوقوف عند حدِّ الإيمان، والخضوع لعظمته؛ حتى يسجد العقل ويتحيَّر، ويسكن القلب ويستسلم، وتلين الجوارح، وتنساق الأبدان لمراده.

ومن تعظيمه: تعظيم كتابه وكلامه، ورسله ومقدساته، وشرائعه ومناسكه، فلا تكون محلًّا للسخرية، ولا ميدانًا للاقتحام والابتداع، بل يقف مذهولًا، فلا يتجاوز، ولا يتعدَّى، ولا يقتحم، ولا يهجم.

ومن تعظيمه: طاعة أمره، ومباعدة نهيه، والاستغفار عن التقصير، والاعتراف بالجميل.

ومن تعظيمه: التألُّه له حبًّا وخوفًا ورجاءً، واستحضارًا دائمًا لمجده ولكبريائه، واستعدادًا للقائه، وحسن الظن به جل وتعالى.

○ ○ ○ ○

---

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٩٩٢)، والطبراني في الكبير (٩٧٩٥)، والدعاء (١٠٥٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٣٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.
و أخرجه ابن فضيل في الدعاء (٤٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٢٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٠٧) موقوفًا.

الله الشكور، الشاكر

ورد اسم الله «**الشكور**» في القرآن الكريم في أربعة مواضع مقرونًا في بعضها بالغفور: ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠]، وأخرى بالحليم: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧].

وأما «**الشاكر**» فقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

ومن معاني الشكر: قبول اليسير والثواب عليه، وهو سبحانه يقول: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

يقبل اليسير، ويغفر الذنب الكبير، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها[١]، ويعاقب على السيئة بمثلها أو يغفر، ومن تاب تاب عليه، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب الرب إليه ذراعًا، ومن تقرب إليه ذراعًا تقرب إليه باعًا[٢]، ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، وقال: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧].

وثوابه سبحانه محض فضلٍ وتكرُّم، ولو أن الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا من أعمالهم، كما في الحديث المأثور[٣].

---

(١) كما في صحيح البخاري (٣٤١٨)، وصحيح مسلم (١١٥٩).

(٢) كما في صحيح البخاري (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٦٢٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن حبان (٧٢٧).

ومن شكره سبحانه: أن يُثْنِي على المحسِن الشاكر بذكر إحسانه في الدنيا وفي الآخرة، كما قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

وهو الشَّكورُ فلن يُضَيِّعَ سعيَهم ... لكنْ يضاعفه بلا حُسبانِ

ما للعبادِ عليه حَقٌّ واجبٌ ... هو أوجب الأجرَ العَظِيمَ الشَّانِ

كلاَّ ولا عَمَلٌ لديه ضَائعٌ ... إن كان بالإخلاص والإحسانِ

إن عُذِّبُوا فَبعَدلِهِ أو نُعِّمُوا ... فَبِفَضلِهِ والحَمدُ لِلمَنَّانِ

○ ○ ○ ○

● الله العلي، الأعلى، المتعال

من أسمائه سبحانه: «**العلي**»، و«**الأعلى**»، و«**المتعال**».

وقد ورد اسم الله «**العلي**» في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢].

وورد اسمه «**الأعلى**» في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل:٢٠].

وورد اسمه «**المتعال**» في قوله: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩].

فجميع معاني العلو ثابتة له سبحانه، علو الذات، وعلو القدرة، وعلو القهر والغلبة، وعلو الحجة، فهو علو ذات، وعلو صفات، ولذا وصف نفسه بأنه ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥].

وقد جُبلت الفطر على الإيمان بعلوِّه، فلا نجد داعيًا ولا مبتهلًا إلا يتوجه بقلبه ووجهه ويديه إلى السماء، قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك:١٦]، وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل:٥٠].

فالعلو الكامل له وحده سبحانه!

والعلو الدائم له وحده سبحانه!

ولهذا قال النبي ﷺ: «**حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**»[1].

ومن علوه: أن جعل الرِّفعة والعلو لكتابه ولدينه ولأوليائه الصادقين، كما قال: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:٤].

وقال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين**»[2]. ومع علوه سبحانه فهو قريب مجيب سميع، ولذا يناديه العبد نداءً خفيًّا: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣].

ويخبر عن نفسه أنه يسمع السر وأخفى، والسر ضد الجهر، وما هو أخفى من السر فهو الخطرات التي لا يعيها صاحبها، ولا يدركها، والمعاني المكنونة التي لا يحيط المرء بها حتى عن نفسه وذاته، فهناك عالم الأسرار، وهناك اللاشعور واللاوعي، وهناك الخفايا الخلقية التي لم يصل إليها العلم، وهناك الخفايا المستقبلية، فهو مع علوِّه واستوائه على عرشه محيط بذلك كله، لا تخفى عليه خافية.

ولذا سمَّى نفسه بذي المعارج ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾، وفسَّره بقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣-٤]، وذكر نزول الملائكة والروح ونزول الوحي، كما ذكر ارتفاع الأشياء وصعودها إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وَكَمْ للهِ مِنْ لُطْفٍ خَفيٍّ	يَدِقُّ خَفَاهُ عن فَهْمِ الذَّكيِّ
وكم يُسْرٍ أتى من بعد عُسْرٍ	ففرَّجَ كُربةَ القلبِ الشَّجيِّ
وكمْ أَمْرٍ تُسَاءُ بهِ صباحًا	وتأتيك الـمَسَرَّةُ في العشيِّ
إذا ضَاقَتْ بِكَ الأحوالُ يومًا	فثقْ بالواحِدِ الصَّمَدِ العليِّ

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧).

الله الحفيظ، الحافظ

من أسمائه سبحانه وتعالى: «**الحفيظ**»، و«**الحافظ**»، وقد ورد اسم الله «**الحفيظ**» في القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ:٢١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الشورى:٦].

وورد اسم الله «**الحافظ**» في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف:٦٤].

وورد بصيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء:٨٢].

فهو الحافظ لكل شيء، يحفظ أعمال عباده، ويحفظ خَلْقه، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١].

وهو المُحْصي الذي يحصي على العباد كل شيء، ويجازيهم به يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

الله المقيت

جاء اسم الله «**المُقيت**» في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء:٨٥]، وهو بضم الميم.

ومعناه: الذي أوصل إلى الموجودات والمخلوقات أقواتها وأرزاقها، وخلق لها ما به تقتات وتعيش، وما يمسك رمقها ويحقق حياتها.

و«**المُقيت**»: الحافظ الشاهد الحسيب.

و«**المُقيت**»: المقتدر.

و«**المُقيت**»: المجازي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

ومن الإيمان بهذا الاسم: التوكل على الله، وبذل الأسباب المادية من الضرب في الأرض، وَتَدَبُّر أمر الرزق والمعيشة بالكسب والتجارة مع الدعاء، والإيمان بأن الأمر بيده سبحانه، وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[١].

ويشمل الإيمان بذلك: الإيمان بقدرته سبحانه على كل شيء، كما قيل:

(١) أخرجه مسلم (١٠٥٥).

وذي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النفسَ عنهُ وكنتُ على مَساءَتِهِ مقيتا

أي: قادر.

ومن معاني «المُقيت»: أنه يعطي عباده المعرفة التي بها حياة قلوبهم وأرواحهم، وكشف مصالح الدنيا والآخرة لهم، كما قال القائل:

فَقوتُ الروحِ أَرواحُ المَعاني وَلَيسَ بِأَن طَعِمتَ وأن شَرِبتا

الله الحسيب

جاء اسم الله «**الحسيب**» في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٨٦]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٦]، [الأحزاب:٣٩].

وفي السنة إرشاد النبي ﷺ مَنْ مَدَح إنسانًا بأن يقول: «**أحسِب فلانًا والله حسيبه، ولا أُزَكِّي على الله أحدًا**»[1].

فالله هو «**الحسيب**» أي: الكافي، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه من كل شيء، ولذا يُشرع لمن خُوِّف بغير الله أن يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل»، كما ذكره الله تعالى عن سيدنا محمد ﷺ وصحبه الكرام، لَـمَّا قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم. فزادهم إيمانًا وقالوا: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقِيَ في النار[2]، فهو سبحانه حسبنا، أي: كافينا، فهو كافي عباده، كما قال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ ﴾ [الزمر:٣٦].

ومنه: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤]، وقوله: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأنفال:٦٢]، أي: يكفيك من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).

(٢) كما في صحيح البخاري (٤٥٦٣).

أذى الكافرين والمنافقين، فالله هو حسبك، وكذلك حسب المؤمنين المتبعين لك الله أيضًا، وهذا اختيار كثير من المفسرين، وعليه فلا يقال: «حسبك». إلا لله، فلا تقول: حسبك فلان. بمعنى الكفاية التامة، أما قول: حسبك به، فتقتضي الثناء عليه، وأنه أهل لما يُراد منه، وتطلق على العباد، والله أعلم.

وجاء اسم «**الحاسب**» في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وهو بمعنى المحاسب الذي يحسب على عباده، ويحصي عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، فهو على هذا مأخوذ من الحساب، فهو مُطَّلع على الدقائق الخفيَّة من الأعمال والأحوال وغيرها، ومحصيها عليهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، فهو على هذا مشتق من الحساب، كما قال: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]، أي: محاسبًا.

وهذا يتضمن العلم الدقيق والإحاطة للأجزاء والتفاصيل، والظواهر والخفايا!

إن كنتَ أزمعْتَ قِلَى دائمًا والنَّأْيَ والْهَجْرَ فصبرٌ جميلْ
وإن عَزَمْتَ الشرَّ في حقِّنا فحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلْ

○ ○ ○ ○

● الله الجميل

جاء في «صحيح مسلم»: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(١).

ومما يَلْحَظه المتأمِّل أن بعض الصالحين لا يستشعرون قيمة الجمال، وأنها من مقاصد الشريعة، كما هي من مقاصد الخلق، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل:٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل:٨]، وذكر تعالى الزينة في خلق السماء والنجوم والحدائق وسواها.

والجمال: هو الحسن الذي هو ضد القبح، وهو الجميل في ذاته، الجميل في أسمائه، الجميل في صفاته، الجميل في أفعاله سبحانه وتعالى.

ولذا كان أعظم نعيم في الجنة هو النظر إلى وجهه الكريم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وكذلك أسماؤه سبحانه كلها حسنى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وصفاته كلها عليا.

وأفعاله تعالى جميلة؛ لأنها دائرة بين الإحسان والفضل، والنعمة والـمِنَّة، وبين العدل والحكمة، فليس في أفعاله عبث ولا مَشَقَّة، ولا سُدى ولا ظلم: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام:١١٥]، وهو تعالى قد أحسن كل شيء خلقه، وخلق الإنسان في أحسن تقويم.

(١) صحيح مسلم (٩١).

ومن الدليل على جماله سبحانه: جمال الأكوان التي خلقها في دار الدنيا من البر والبحر، والخضرة والنضرة؛ فإنه مانح الجمال، وخالقه أولى به جل وعز. وهكذا الجنة، فهي دار الزينة والحسن والجمال!

وجماله سبحانه مما لا تحيط به العقول، ولا تدركه الأبصار، كما قال النبي ﷺ: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»(١).

وفي الحديث الآخر الصحيح: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(٢).

هو الجميلُ على الحقيقةِ كيف لا ... وجمالُ سائرِ هذه الأكوانِ
من بعض آثارِ الجميلِ فربُّها ... أولى وأجدرُ عند ذي العرفانِ

والإيمان بهذا الاسم يزيد المؤمن حبًّا له وتألُّـهًا إليه، واشتياقًا إلى لقائه، كما قال ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك**»(٣).

كما يحفِّز هذا الاسم على الاتِّصاف بالجمال في اللباس والهيئة، والأفعال والأقوال، فهذا مما يحبه الله، وهو سبحانه يحب أن يَرى أثر نعمته على عبده(٤)، خاصة مع ضميمة سبب الحديث لما قال الصحابة رضي الله عنهم: «إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة». فهذا سبب وروده.

وفيه: اتِّصاف الصحابة بذلك وهم خير القرون، فالتربية النبوية ولَّدت فيهم هذا الحب، حتى الجمال في الثوب والنعل.

ثم يُعَقِّب النبي ﷺ بقوله: «**إن الله جميل يحب الجمال**». فهو يحب الجمال ويُثِيب عليه،

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (١٧٩). وسبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه.
(٣) أخرجه أحمد (١٨٣٥١)، والنسائي (١٣٠٥)، وابن حبان (١٩٧١).
(٤) كما في المسند (٧٧٥٩، ١٩٠٨٧)، وجامع الترمذي (٢٨١٩)، وصحيح ابن حبان (٥٤١٦، ٥٤١٧).

ويحب أهله، كما يحب العلم، ويحب الكرم، ويحب العفو، ويحب الطهارة.

والجمال مقصود في هذا الكون، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل:٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل:٨]، وقال سبحانه: ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ [النمل:٦٠]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴾ [الكهف:٧]، وقال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾ [الحديد:٢٠].

ونبي الله يوسف عليه السلام قد أُعطي شَطْرَ الْحُسْن[١]، وهكذا نبينا محمد ﷺ كان أزهر اللون، وكان أحسن الناس وجهًا[٢]، كان وجهه مثل القمر، وقد وصفه أبو طالب فقال:

وأبيضَ يُسْتَسقى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمالُ اليَتامى عِصْمَةٌ للأَرامِلِ

وكذلك كان حُسْن خُلُقه وأدبه وحيائه وصبره، وتسامحه حتى مع الكفار المعلِنين، فضلًا عن المنافقين، فضلًا عن عباد الله المؤمنين.

نبيٌّ رماه اللَّهُ بالحسنِ يافعًا على وجْهِهِ من كلِّ مَكْرُمَةٍ سُوَرْ
كأن الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في جبينه وفي خدِّه الشِّعرَى وفي وجههِ القَمَرْ
ولما رأى المجد استُعيرت ثيابُه تَرَدَّى رداءً واسعَ الثوبِ واتَّزَرْ

○ ○ ○ ○

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٦٢).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٣٥٤٧)، وصحيح مسلم (٢٣٣٠)، وكتاب مع المصطفى ﷺ (ص:٩-٢٦).

• الله الكريم، الأكرم

من أسماء الحق تبارك وتعالى «**الكريم**»، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨]. أي: ألا تشكر وتذكر وتسبح وتحمد؟

ويقول تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠].

وقال سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، وذلك على قراءة من رفع «الكريمُ» على أنه صفة للرب، وأما من قرأها بالكسر «**الكريم**»، وهي قراءة الجمهور، فهي نعت للعرش[١].

و«**الأكرم**» وهو أفعل تفضيل، أي: الأشدُّ كرمًا، وقد ورد في قوله سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥].

فتأمَّل كيف وصف نفسه سبحانه بالأكرم. أي: الأكثر كرمًا، وذكر من ذلك أنه علَّم بالقلم، فرزق الإنسان القدرة على التعلُّم وعلى الكتابة التي كانت سِجِلًّا حافلًا لتاريخ البشرية وحضارتها وعلومها، وألوان المعلومات التي ظفرت بها، ولهذا قال سبحانه: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

---

(١) ينظر: معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (٦/ ٢١٧).

هذه الجوارح وهذه القوة والملكة، والعقل والملاحظة هي الوسيلة التي استطاع الإنسان بها أن يتعلم ما لم يكن يعلم، والله تعالى رزقه القدرة على هذا التعلم، ولذلك قال هنا: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣].

أي: علَّمه ما لم يكن يعلمه من قبل؛ لأن الإنسان خرج من بطن أمه جاهلًا، غير قادر على شيء، ولا يعلم شيئًا، ولكن الله تعالى وضع فيه القدرة على تحصيل هذه المعلومات، وليتأمل الإنسان حجم المعلومات الهائلة في الدنيا منذ أن خلق الله تعالى الإنسان، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكيف تراكمت المعلومات في حضارة البشر في جميع ألوان العلوم والفنون والمعارف، من لغة وتاريخ، وصناعة وبناء، ومدنية وإدارة، وألوان العلوم الأخرى التي لا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى، وكم تقذف المطابع اليوم، وكم تُخْرِج دُور النشر، وكم في المكتبات، ومراكز المعلومات، ومواقع الإنترنت، وغيرها من المعلومات الهائلة المذهلة التي لا يأتي عليها حصر، ولا يمكن للإنسان أن يحيط بجزء قليل منها، فضلًا عن الإحاطة بها كلها، فهذا فقط جزء قليل من سَعة فضل الله تبارك وتعالى وكرمه على عباده، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٤-٥]، فضلًا عن المعارف الحياتية التفصيلية التي يتعاطاها الناس دون انتباه، فهم يعرفون ما يؤكل وما لا يؤكل، ويدركون المزروعات والمصنوعات، والمشمومات، والمخلوقات التي حولهم، ويُوَظِّفُونها توظيفًا صحيحًا، ولك أن تتخيل كم يحتاج الإنسان البدائي من الوقت حتى يتعرف على تفاصيل الأشياء التي نجدها اليوم متاحة لنا، وقد تعرفنا بتلقائية إلى خصائصها واستعمالاتها.

فهذا من بعض إشراقات اسمه «**الأكرم**».

أما «الكريم» فله معان عدة:

أولًا: الجود والتفضُّل، فينعم على عباده ويعطيهم، والإنسان يوصف بأنه كريم إذا كان جوادًا، يحب بذل المال، ويفرح بذلك، وربما يبدأ بالنوال قبل السؤال- كما يقال- وكم أثنى الشعراء بالكرم، حتى قال قائلهم:

تَراه إذا ما جئتَه مُتهلِّلًا كأنك تعطيه الذي أنت سائلُه
ولو لم يكن في كفِّه غيرُ رُوحِه لجادَ بها؛ فليتَّقِ اللهَ سائلُه

وكما قال الآخر:

ما قال: لا قطُّ إلا في تَشَهُّدِه لولا التَّشَهُّدُ كانت لاؤُه نعمُ
إذا رأته قريش قال قائِلُها: إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ

وأجدر من وُصِفَ بهذا هو نبينا محمد ﷺ، فإنه أكرم الناس، وهكذا الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، كما في الصحيح، أن النبي ﷺ سُئل: من أكرم الناس؟ فقال: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**»[(١)].

فالله تعالى كريم، يجود ويتفضَّل على عباده، ويعطيهم ويمنحهم ويرزقهم، ويعطي بغير سبب، فقد منحنا الحياة وكنا عَدَمًا، فتفضَّل بها علينا من فضله ومَنِّه وإنعامه، ثم رزقنا سبحانه قبل أن نسأله، فرزقنا السمع والأبصار، والأفئدة والجوارح، والقوة والملكات الظاهرة والخفية، والتي لا نستطيع عدَّها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤]، جاد بها علينا دون أن نسأله وقبل أن نسأله، وهذا من كرمه جل وتعالى.

والله عز وجل يجود بنعمه على المؤمن والكافر، والبَرِّ والفاجر، والعالم والجاهل، تفضلًا منه وإنعامًا قبل أن يسألوه، ودون أن يشكروه على ذلك.

ومن العطاء الواسع العقل الذي ركَّبه الله تعالى في الإنسان، ونحن لا نستطيع أن ندرك كيف يعمل هذا العقل، ولا كيف يدرك الأشياء، وإنما تفسيراتنا لذلك مجرد ظنون، فهذا العقل يقول عنه العلماء: إن القَدْر الذي يعمل منه ربما لا يتجاوز (١٠٪) من قدرة المخ الموجودة، وتأمل كم في هذا العقل من المعلومات والذكريات

(١) ينظر: صحيح البخاري (٣٣٩٠، ٣٤٩٠)، وصحيح مسلم (٢٣٧٨).

والإحصائيات وغير ذلك، والإنسان غافل عن ذلك، لا يعرف كيفية عمله وتصرُّفه.

ثانيًا: الكريم سبحانه هو الذي يعطي ويثني، فالله تعالى له محض الكمال المطلق والغنى المطلق، فهو الغني عما سواه، والخلق كلهم مفتقرون محتاجون إليه، وكل ذَرَّة في جسد العبد، بل كل ذرة في الكون تصيح بحاجتها وفقرها الضروري الذاتي المطلَق لربها، الذي خلقها وسوَّاها، وأنشأها وأحياها، وجعلها في مكانها ومدارها، ومع إنعامه وفضله سبحانه فإنه يُنْعِم ويعطي ويثني، كما قال بعض السلف لما قرأ قوله تعالى عن أيوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، فقال: «تبارك الذي يعطي ويثني»[1].

انظر كيف أعطى هذا العبد، ومَنَّ عليه، ثم ابتلاه سبحانه في بعض ما أعطاه، وله ما أخذ، وله ما أعطى، ثم أثنى على أيوب عليه السلام وقال: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، فأثنى عليه بالصبر بعد الابتلاء، وهكذا تجد في القرآن الكريم ثناء الله تبارك وتعالى على رسله وأنبيائه الكرام، وعلى الصالحين من عباده، فيُثْني عليهم بـ: المؤمنين، المتقين، الصابرين، المحسنين، التوابين، المتطهرين، فهكذا الكريم سبحانه يعطي ويثني، وكما قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩].

ثالثًا: الكريم هو الذي يعطي قبل أن يُسْأل، وقد كان الناس يعدُّون من الكرماء من يعطي إذا سُئل، وهناك من يبدأ بالعطاء قبل السؤال، وهذا أكمل، ولذلك كان أُمَيَّة يقول:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك؟ إن شيمتَك الحياءُ
وعِلْمُك بالأمور، وأنت قَرْم ... لك الحسب المهذَّبُ والسَّناءُ
كريم لا يُغَيِّرُه صباحٌ ... عن الخُلقِ السَّنيِّ ولا مَساءُ
فأرضُك كلُّ مَكْرُمةٍ بناها ... بنو تَيمٍ، وأنتَ لها سماءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا ... كفاهُ من تَعَرُّضِهِ الثناءُ

(١) ينظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي (ص:١٠٦).

فمجرد الثناء يجعل الكريم يعطي ويجود، وكثير من نعم الله وفضله ابتدأ بها عباده قبل أن يسألوه؛ لأنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين جل وعز.

رابعًا: الكريم هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، ولا شك أن الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين في الدنيا والآخرة بألوان من الفضل والخير، والنعم والعطاء، والكرم والجزاء الحسن، وهو سبحانه وتعالى لا يُخْلف الميعاد، في حين أن ما توعَّد الله تبارك وتعالى عباده العاصين مُعَلَّق بمشيئته، إن شاء عاقبهم، وهم للعقوبة مستحقون، وإن شاء تجاوز، وعفا عنهم؛ فضلًا منه سبحانه، كما قيل:

ولا يَرْهَبُ ابنُ العمِّ والجارُ سَطْوَتي ... ولا أنثني عن صولةِ المتوعِّدِ
وإنِّي وإن أَوْعَدْتُه أو وعدتُه ... لَمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ موعِدي

فالإنسان الكريم من البشر إذا وعد بخير وفى، وإذا توَعَّد بِشَرٍّ عفا، والله تعالى أجدر وأحرى بذلك كله، وهو سبحانه أكرم وأجود من عباده.

خامسًا: الكريم هو الذي لا يردُّ سائلًا، كما جاء في الحديث، أن النبي ﷺ قال: «**إن ربكم تبارك وتعالى حَيِيٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفْرًا**»[1].

فالله عز وجل يُثيب عباده على السؤال، ويأجرهم على مجرد السؤال؛ لأن الدعاء عبادة، كما قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[2]. ويجيبهم إلى ما سألوه، ويعطيهم ما طلبوه.

سادسًا: ومن كَرَمه سبحانه وتعالى: ما جاء في الصحيحين مرفوعًا عن النبي ﷺ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن هَمَّ بحسنة، فلم يعملها، كتبها**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن حبان (٨٧٦)، والحاكم (١/ ٤٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧)، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (١/ ٤٩٠-٤٩١).

الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها، فعملها، كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة، فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها، فعملها، كتبها الله سيئةً واحدة»[1].

سألني طالب عن سرِّ الفرق بين قوله سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وطالعت كثيرًا من كتب التفسير، ثم ظهر لي -والله أعلم- أن سرَّ الفرق في التعبير أن قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ في الحسنات التي للإنسان أنها تكتب له، حتى لو لم يعملها، بل لمجرد النيَّة، أما في السيئات فعبر بقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾؛ لأنه لا يُعَاقَب إلا بالفعل، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق ظاهر في ذلك، فعبَّر بالاكتساب الدالِّ على المعالجة والفعل وليس مجرَّد النيَّة.

ومِنْ كرمه وجوده سبحانه وتعالى أنه يثيب العبد على الحسنة إذا نواها، ولو لم يعملها، ولا يعاقِب العبد على سيئة نواها، ثم صرف النظر عنها.

ومن كرمه سبحانه وتعالى أنه يكرم عباده في الدنيا والآخرة، وجعل الله تبارك وتعالى التقوى سببًا للكرامة منه سبحانه، كما قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وهو الذي يرزق بعض عباده التقوى ويمنحهم إياها، وهذا أيضًا من كرمه وجوده، وهو الذي يثيب ويجزل لعباده الأجر في الدار الآخرة.

❍ ❍ ❍ ❍

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٩١)، وصحيح مسلم (١٣١).

الله الرقيب

من أسمائه سبحانه «**الرقيب**»، وقد ورد في الكتاب العزيز في قوله سبحانه حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:١١٧]، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، فهو مراقِب لعباده، محيط بهم، عالم بأحوالهم: سرهم وعلانيتهم، أقوالهم وأعمالهم، والعبد إذا استحضر هذا المعنى، أدرك جانبًا كبيرًا مما يجب عليه من حق الله عز وجل.

إن العَالَمَ اليوم يعتني بالرقابة الإدارية والمالية، ويعدُّ الرقابة الذاتية أعظم صفة تبعث على الإنجاز والعمل والأداء، وتحمي الموظَّف من الفساد والرشوة والتلاعب والتحايل، ولا شيء يبني هذه الرقابة كالإحساس برقابة الله وعلمه المحيط بالظواهر والخفيات، وأنه لا يَنِدُّ عنه شيء.

ومن العجب أن تجد مُوَظَّفًا يصلي لله، ثم يخون، أو يخادع، أو يتحايل للتهرُّب من المسؤولية، فصلاته تدل على إيمانه بربه، وأنه يناجيه سرًّا، ويدري أنه يسمعه ويراه، فَلِمَ لَمْ تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، خاصة فيما يتعلق بحقوق العباد، من الأموال والأعراض، من الأقارب والأباعد.

إن الإيمان الحق بهذا الاسم لخليق أن يضع إحساسًا حيًّا بالرقابة الإلهية، وخجلًا من الله أن يخالف أمره، أو يرتكب نهيه وهو يراه!

بحثت عن سرِّ التفاوت في العمل والأداء بين المسلمين وبين الأمم الأخرى، فظهر لي أن الرقابة أصبحت عادة شخصيَّة واجتماعيَّة تنطلق من الذات، قبل أن تكون رقابة الكاميرات المنصوبة، أو الأجهزة الأمنيَّة، أو الإدارات المختصَّة، فكيف لو أضيف لهذه الرقابة الذاتيَّة الإحساس برقابة الله وحسابه والاستعداد للآخرة، كم سيكون هذا حافزًا للعمل والعطاء والإنجاز، ومانعًا من الغشِّ والرشوة والتَّهرُّب والفساد وإضاعة الوقت والمال فيما لا يحمل ولا يحلُّ.

إن القيم الدينية -وأعظمها الإيمان بالله وأسمائه وصفاته- يمكن أن تبني مجتمعًا حيًّا مُنتجًا مُنضبطًا، شريطةَ أن تتحوَّل من معلومات نظريَّة جامدة إلى إحساس قلبيٍّ فعَّال.



الله القريب

من أسماء ربنا جل وعز: «**القريب**»، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وقوله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

و«القريب» له عدة معان:

القريب ممن دعاه، وقد سأل الناسُ رسولَ الله ﷺ عن ربهم، أقريب فيناجونه، أم بعيد فينادونه؟ فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[1].

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: فقل لهم: إني قريب؛ لأنه سبحانه حيث هو قريب خاطب عباده مباشرةً بالجواب على سؤالهم، فقال لهم جميعًا: إني قريب. ثم قال سبحانه في تفسير معنى القرب هنا: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾.

فمن قربه سبحانه أنه يجيب دعوة السائلين، ويَلْطُف بهم، ويرفع ضرَّهم، ويكشف كربهم، ولهذا لما قيل لعلي رضي الله عنه: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٢٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٦٧)، والعظمة لأبي الشيخ (١٩٠).

مستجابة[١].

فالدعوة الصالحة يرفعها الله تبارك وتعالى ويستجيب لها.

وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض تبتغي	مَـحَلًّا ولم يقطعْ بها البِيدَ قاطعُ
سَرَتْ حيث لم تُحْدَ الرِّكابُ ولم تُنَخْ	لِورْدٍ ولم يَقْصُرْ لها القَيْدَ مانعُ
تمرُّ وراءَ الليل، والليلُ ضاربٌ	بجثمانه، فيه سمَيرٌ وهاجعُ
إذا وردت لم يردُدِ الله وَفْدَها	على أهلها، والله رَاءٍ وسامعُ
تَفَتَّحُ أبوابُ السموات دونَها	إذا قرعَ الأبوابَ منهنَّ قارعُ
وإني لأرجو اللهَ حتى كأنني	أرى بجميل الظنِّ ما اللهُ صانعُ

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فالذين يريدون من الله تبارك وتعالى أن يسرع لهم بكل خير، وأن يجيب سؤالهم ودعوتهم، وأن يكشف عنهم الكرب والضر والبلاء، عليهم أن يستجيبوا لربهم، وأن يكونوا مؤمنين به، وأن يتقوه سبحانه ويؤمنوا به لعلهم يرشدون، ويتحقق لهم ما وعد الله به عباده المؤمنين من إجابة سؤالهم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هلَّلنا وكَبَّرْنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس، ارْبَعوا على أنفسكم** -أي: اهدؤوا ولا ترفعوا أصواتكم، ولا تبالغوا في الصياح- **فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنه معكم إنه سميع قريب**». وفي لفظ: «**إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[٢].

فهذا الحديث دليل على قرب الله تبارك وتعالى من عباده، وإجابته لهم في السؤال،

---

(١) أخرجه الدينوري في المجالسة (٢٤٦٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ١٠٠)، وينظر: الإبانة لابن بطة (٣/ ١٨٧).

(٢) صحيح البخاري (٦٦١٠)، وصحيح مسلم (٢٧٠٤)، واللفظ لأحمد (١٨٧٧٤).

وأن المؤمن حَرِيٌّ به حينما يتضرَّع إلى الله تعالى أن يدعوه بصوت خاشعٍ مبتهِل متضرِّعٍ، بعيدًا عن الصياح والصراخ ورفع الأصوات.

«**القريب**»: بمعنى قربه ممن تاب إليه وأناب، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

فذكر سبحانه أنه قريب ممن استغفروه وتابوا إليه، فإذا استغفر العبد ربه وتاب وأناب، أثابه الله تعالى خير الثواب، وتَقَبَّل منه وغفر له، ولهذا كان من معاني «القريب»: أنه قريب من عباده بالمغفرة لهم، والاستجابة لاستغفارهم، ومحو الذنوب عنهم.

قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠].

فالله سبحانه وتعالى يخبر هنا أن النبي ﷺ إذا اهتدى فإنما يهتدي بما يوحي إليه الله السميع القريب من عباده، فالهداية للعباد حاصلة من قربه سبحانه وتعالى منهم، فلأنه قريب منهم، يَمُنُّ عليهم بالهداية، والله تعالى يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، وهم الذين اختارهم الله تبارك وتعالى؛ ليكونوا من الأبرار الأطهار الأخيار في ظاهرهم وباطنهم وسلوكهم وعبادتهم، فمنحهم وتفضَّل عليهم، وهو الذي أَهَّلَهُم برحمته وفضله لمثل هذا، فَمِنْ قُرْبِه سبحانه أن يختار من عباده من يجعلهم أهلًا لهذا البِرِّ والخير وهذه الهداية، ولهذا قال سبحانه في الحديث القدسي: «**إذا تقرَّب عبدي مني شِبرًا، تقرَّبتُ منه ذراعًا، وإذا تقرَّب مني ذِرَاعًا، تقرَّبتُ منه باعًا، وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولةً**»[1].

فتأمل هذا المعنى الراقي العظيم، وهذا المنُّ، وهذا التفضل، وهذا الكرم والجود من القريب المجيب، حيث إن العبد إذا تقرب إلى الله تعالى خطوة، آتاه الله تعالى أكثر من ذلك، وقرب منه وأعانه، وسدَّده ووفَّقه سبحانه، وجعل في قلبه من الورع والإيمان، والسرور والنعيم ما يعينه على مواصلة هذا الطريق، وقارن هذا بالنظرية الفلسفية التي تقول: إن الله خلق الكون ثم اعتزله! كم تجد بينهما من البون الشاسع والفرق الواسع، بين من

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

يتصوَّر خالقًا يُبْدِع هذا الإبداع، ثم يَدَعُ الأمر يمضي وكأنه لا يعنيه، وبين الحقيقة القرآنية التي تُجَلِّي قرب الله من عباده بالهداية والرحمة والقبول والإجابة والحفظ وكل خير.

ومن معاني «القريب»: الـمُطَّلع على أحوال عباده، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧].

فهو القريب منهم بعلمه، والقريب بإحاطته، فلا تخفى عليه منهم خافية، فهو العليُّ في دنوِّه، القريب في علوِّه، فمع أنه فوق السموات وعلى العرش، إلا أنه قريب من عباده، محيط بهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

وفي حالة الاحتضار يقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥].

فالله أقرب بملائكته، وعلمه، وقُرْبُه تعالى قُرْبٌ حقيقي، كما هو ظاهر هذه النصوص، ولكنه قرب يليق بجلاله وعظمته تعالى، وليس كقرب المخلوقين بعضهم من بعض، ولهذا نقول: إن الله تعالى قريب قربًا حقيقيًّا من عباده، ولكن هذا القرب لا يقتضي ملابسةً أو حلولًا.

ومن معاني «القريب»: القريب بلطفه وحِفْظه ونُصْرته، وهذا قرب ومَعِيَّة خاصة لعباده المؤمنين، فالله تعالى مع الأنبياء والصالحين والمتقين والمؤمنين، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وهذا قرب ومعية خاصة بهم، تقتضي الحفظ والعون والتسديد والرعاية، والعناية واللطف.

ومن معاني «القريب»: الذي يرجع العباد إليه، ولهذا قال سبحانه في آية الاحتضار: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥].

ففي ذلك إشارة إلى أن هذا العبد أصبح أقرب إلى الدار الآخرة، وأقرب إلى الرجوع إلى الله تعالى وإلى ما وعد عباده.

ومن معاني «القريب»: الذي تأنس إليه النفوس، وتَهَشُّ إليه القلوب، فسَلْوة الطائع

وأُنْس العابد بالقرب من الله ومناجاته، وذِكْره وشكره وعبادته، واستشعاره القرب من الرب سبحانه، فيقع في قلب الإنسان من المعاني الرفيعة والسرور واللذة والمتعة الشيء الكثير، لا يدركه ولا يشعر به أكثر أهل الدنيا، الذين استأسروا اللذَّات الحِسِّيَّة من مطاعم ومشارب، ومنافع وألوان الشهوات، في حين أن كمال اللذة والمتعة، وكمال السرور والنعيم هو في القرب من الله تبارك وتعالى، والقرب منه إنما يكون بذِكْره سبحانه وشُكْره وعبادته واستشعار هذه المعاني.

فليعوّدِ العبد نفسه أن يأنس بالله تبارك وتعالى أكثر مما يأنس بالمخلوقين، ولا بأس أن يأنس الإنسان بأحبابه وأصحابه، فهذا شيء طبيعي، ولا تثريب عليه، بل هذا مقتضى الجِبلَّةِ البشرية، لكن عليه أن ينظر إلى ما وراء ذلك من الأنس بالله تبارك وتعالى؛ بمناجاته، وسؤاله، ودعائه، والثناء عليه، حيث يُحْدِث ذلك في القلوب من روائع المعاني ما يجعل العبد يشعر بألوان من اللذة لا عهد لأهل الدنيا بها.

إذا كان حبُّ الهائمين من الورَى ... بليلَى وسلمى يسلُبُ اللُّبَّ والعقلا

فماذا عسى أن يصنعَ الهائمُ الذي ... سَرَى قلبُه شوقًا إلى الملأ الأعلى

قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**وأنا معه إذا ذكرني**»[(١)].

فإذا ذكر العبد ربه، كان الله تبارك وتعالى معه، فإذا سبح الله وحمده، فإن الله تبارك وتعالى يكون معه بحفظه ومثوبته.

ماذا يكون حال العبد والله تعالى معه قريب منه، راض عما يفعل!

هذا يجعل المؤمن مسرورًا في حياته الدنيا، يتقلَّب في ألوان اللذَّات والمَسَرَّات والحُبُور، حتى ولو كان محرومًا من بعض متاع الدنيا.

إن استشعار القُرْب من الله يجعلُ العابدَ يستحضر معنى الألوهية، ويرتقي به إلى مقام الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»، فهو لا يراه بعينه، ولا يسمعه بأذنه، ولكن

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

قلبه وعقله يجتمعان على ترسيخ معنى العبادة للإله الخالق القريب الـمُتَّصف بصفات الكمال، كما يقول الشاعر المصري المبدع محمود حسن إسماعيل في مقطوعة حاول فيها تحقيق معنى القرب الإلهي مع البراءة من معتقدات الحلول ووحدة الوجود المنحرفة عن المعتقد الصحيح:

إِلَهِي رَأَيْتُكْ
إِلَهِي سَمِعْتُكْ
رَأَيْتُكَ فِي كُلِّ شَيء
سَمِعْتُكَ فِي كُلِّ حَيّ
تَعَالَيْتَ لَمْ يَبْدُ شَيءٌ لِعَيْنَيَّ
تَبَارَكْتَ لَمْ يَنْبُ صَوْتٌ بأُذُنَيَّ
وَلَكِنَّ طَيْفًا بِقَلْبِي يُهَلُّ
وَمِن طَيْفِه كُلُّ نُورٍ يُطِلُّ

إنها عبادة تُكرِّس الفرق بين الخالق العظيم وبين المخلوق الضعيف المفتقر إلى ربه، فلا تَختلِطُ الحدود، ولا تُمحى الفوارق، فالعبد عبد والرب رب: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩].



الله المجيب

من أسماء ربنا جل وتعالى: «**المجيب**». وقد ورد في القرآن الكريم في قوله سبحانه:

﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

و«**المجيب**» الذي يجيب دعاء السائلين، ويغيث الملهوفين، ويؤمِّن فزع الخائفين، حتى إنه يستجيب للذين كفروا به وما عرفوه ساعة من نهار، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس:٢٢-٢٣].

مجيبَ السائلين حملتُ ذنبي — وسرتُ على الطريق إلى حِماكا

ورحتُ أصيحُ باسمك مُستجيرًا — ومُعتَذِرا ومُنتظِرًا رِضاكا

دعوتُك يا مفرِّجَ كلِّ كربٍ — ولستَ تردُّ مكروبًا دعاكا

وتبتُ إليك توبةَ من تراه — غريقًا في الدموع ولا يراكا

هو الذي أجاب دعوة نوح عليه السلام، حينما كان في الشدة، كما قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات:٧٥].

فنجاه الله تعالى والفئة المؤمنة معه في الفلك، وأغرق القوم الظالمين.

سمع ضراعة أيوب عليه السلام، ففتح لها أبواب السماء، حينما شكا إلى ربه عز وجل، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

واستجاب جل وتعالى ليونس عليه السلام، الذي قال الله عز وجل في شأنه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وزكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، تضرَّعوا إلى ربهم، فاستجاب لهم، وحَفِظَهم وتَوَلَّاهم، وأكرمهم، وَقَبِلَ ضَرَاعتهم إليه، وهذا من فَضْله الواسع سبحانه.

فمن معاني «المجيب»: أنه يستجيب لعباده إذا توسلوا إليه ودعوه وسألوه ورجوه، وهو المدعو المسؤول، المرجو وحده تبارك وتعالى، فلا يسأل إلا هو.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠].

وقد أمر الله بالدعاء، ووعد بالإجابة، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: «إني لا أحمل هَمَّ الإجابة، ولكني أحمل هَمَّ الدعاء».

فإذا وُفِّق العبد للدعاء فقد رُزِقَ الإجابة. وقد نَجَّى الله تبارك وتعالى عبيده المؤمنين من الكروب والـمُلِمَّات والخطوب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٤].

الدعاء أحد الأسباب في دفع المصائب والبلايا، وجلب المنافع والمصالح، ولكنه ليس هو السبب الوحيد، فهناك أسباب شرعية وأسباب عادية، وهناك حكمة الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى وعد بالإجابة، ويظل الدعاء أحد الأسباب التي أذن الله تعالى أن يكون لها أثر فيما يقع للناس وفيما يواجهونه، وهذه الإجابة هي ضمن السنن والنواميس، ولذلك فإن العبد قد يجاب في ما دعا به وسأل، وقد يُدْفَع عنه من الشَّرِّ نظير ما دعا به، وقد تُؤجَّل الإجابة له إلى يوم الحساب، فيثيبه الله تعالى على الدعاء الذي هو عبادة.

فالإجابة بمعنى أن يُكتب له أجر الدعاء، وأن يرفع الله تعالى بذلك ميزانه، وأن يدَّخر له الأجر يوم القيامة، وهذا حاصل لكل من دعا الله تعالى بصدق وإخلاص، وأما إجابة الدعاء في الدنيا بأن يتحقق للعبد ما رجا وسأل فهذا يقع غالبًا، كما نراه في حياة الأنبياء، وفي حياة نبينا محمد ﷺ في دعوته لعدد من أصحابه، كدعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»[١]. ودعائه لأنس بن مالك رضي الله عنه بطول العمر وكثرة الولد[٢]، ودعائه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يعز الله تبارك وتعالى به الإسلام[٣]، ودعائه لقبائل من العرب، ودعائه لآخر هذه الأمة ولأولها.

والذي يقرأ في السير يجد صورًا كثيرة من إجابة الله للدعاء، بل إن هذا من الأمور الضرورية، فإنك لا تكاد تجد قومًا يؤمنون بالله تعالى - حتى لو كانوا فُجَّارًا أو ضُلَّالًا- إلا وجدت منهم من يذكر كيف أن الله تعالى أجاب دعاء سائل، أو كشف ضرَّ مضطر، أو فرَّج كرب مكروب، فهذا من الأمور الضرورية التي يعلمها العباد، وهو من الأدلة على وجود الله عز وجل وعظمته، وقُرْبه من عباده، وبِرِّه وجوده ورحمته، وهذه من الحجج على العباد فيما يرونه ويعلمونه، ولذلك لا تجد أحدًا زَحَمَتْهُ الأمور، وحَزَبَتْه الصعاب واشتدت عليه، إلا ويلجأ إلى الله تعالى، ويصيح هاتفًا باسمه العظيم، داعيًا متضرِّعًا إليه جل وعز.

وها هنا أمور ينبغي أن يتفطن لها العباد في سؤال الله عز وجل، فالدعاء له آداب، منها:

الأول: أن يكون الدعاء في حدود المشروع والوارد، ولهذا قال النبي ﷺ فيما يتعلق بالدعاء آخر الصلاة بعد التشهد: «**ثم ليتخيَّر من الدعاء أعجبَه إليه، فيدعو**». وفي لفظ: «**ثم ليتخيَّر من المسألة ما شاء**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٣١)، والبخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٦٦٠، ٢٤٨٠).

(٣) أخرجه أحمد (٥٤٣٧)، والترمذي (٣٦٨١)، وابن ماجه (١٠٥)، والحاكم (٣/ ٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

والمسألة هي الدعاء، فأشار ﷺ إلى أن العبد يتخيَّر من المسألة ما شاء، واللفظ الآخر: «**أعجبه إليه**». يعني: من الوارد عن النبي ﷺ، نحو: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**»[1].

ونحو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمَغْرَم**»[2].

ونحو: «**رب إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[3].

فينبغي أن يكون دعاء العبد بالدعاء الوارد في القرآن الكريم، أو الوارد عن النبي ﷺ، وهو أفضل الدعاء، وبه يضمن العبد أن يكون دعاؤه صوابًا في لفظه ومعناه ومقصوده، وأن يكون بعيدًا عن الاعتداء في الدعاء، فإنه ربما سأل العبد ربه سؤالًا فيه اعتداء، والله سبحانه وتعالى أمر بالدعاء، وقال: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

فعلى العبد أن يدعو بما ورد في القرآن والسنة، أو بما كان في معناهما؛ لأنه ليس كل أحد يُتْقِن هذه الأدعية الواردة في القرآن والسنة.

وقال رسول الله ﷺ لرجل: «**ما تقول في الصلاة؟**». قال: أَتَشَهَّدُ، ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أُحسِن دَنْدَنَتَكَ ولا دَنْدَنَةَ معاذ! فقال النبي ﷺ: «**حَوْلها نُدَنْدِنُ**»[4]. ولم يَعِب عليه أنه ابتكر صيغة في الدعاء من قبل نفسه؛ لأنها في معنى الدعاء الوارد، فإن سؤال الجنة والاستعاذة من النار، وسؤال خير الدنيا والآخرة، والاستعاذة من شَرِّ الدنيا والآخرة في معنى الدعاء الوارد.

الثاني: الثقة بالله سبحانه وتعالى، وألا يكون دعاء العبد على سبيل الاختبار

(١) صحيح البخاري (٤٥٢٢)، وصحيح مسلم (٢٦٨٨، ٢٦٩٠).

(٢) صحيح البخاري (٨٣٣)، وصحيح مسلم (٥٨٩).

(٣) صحيح البخاري (٨٣٤)، وصحيح مسلم (٢٧٠٥).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٣٣٣، ١٩٧٧٨)، وأبو داود (٧٩٢)، وابن ماجه (٩١٠، ٣٨٤٧).

أو التجريب، فإنك تسأل ربًّا غنيًّا قادرًا: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

فالله يحب من عباده أن يسألوه، وأن يتعرَّضوا لرحمته ولنفحاته، ويغضب إذا أعرضوا عن سؤاله، وهو سبحانه غني جَوَاد كريم، لا ينقص ما عنده، ولا تنفد خزائنه، فيجب أن يكون العبد في سؤال ربه تعالى واثقًا به عز وجل.

وكلما عظمت ثقة العبد بربه سبحانه، وأيقن أن الله تعالى سوف يجيبه، كانت الإجابة أسرع وأضمن، ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاَهٍ**»[١].

الثالث: طيب المطعم. ولذلك لما قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. قال له النبي ﷺ: «**يا سعد، أَطِب مَطْعَمَك تكن مستجاب الدعوة**»[٢].

وذَكَرَ النبي ﷺ -كما في الصحيح- الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك[٣].

فعلى العبد الذي يرجو من الله تعالى أن يجيبه، وأن يكون معه في الشدائد، أن يتأمل فيما يأكل ويشرب ويلبس، وفيما يُطْعِم زوجه وأولاده، ألا يكون من حرام، أو غش، أو رشوة، أو ربا، أو ظلم، فإن من كان هذا حاله خليق بألا تستجاب دعوته.

الرابع: عدم الاستعجال، فإن البعض يقول: دعوت فلم يُسْتَجَب لي. والله تبارك وتعالى له الحكمة البالغة، ولو شاء لأجاب الناس كلهم في لحظة واحدة، ولكنه يعلم وأنتم لا تعلمون، فلذلك يستجاب للعبد ما لم يَعْجل[٤]، فعلى الإنسان أن يدعو كثيرًا،

---

(١) أخرجه أحمد (٦٣٦٨)، والترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وغيرهم.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٥)، و ينظر: السلسلة الضعيفة (١٨١٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٤) كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يستجب لي**». أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

وألا ييأس ولا يَمَلَّ، وعليه أن يعلم أنه على خير، والله تعالى يعلم بالعبد ويراه، ويعلم حاجته، ولكنه يحب أن يرى تضرعه.

الخامس: تحرِّي الأوقات الفاضلة للإجابة، كساعات السَّحَر، وآخر ساعة من الجمعة، وعند دخول الخطيب، وفي أوقات الصلوات قبل السلام، وفي وقت السجود، فإنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فادعوا، فَقَمِنٌ[1] أن يستجاب لكم، وهنا يجتمع اسم «**القريب**» مع اسم «**المجيب**»، فلقُرْب العبد من ربه في السجود، شُرِع له بعد تسبيح الله تبارك وتعالى أن يدعو؛ لأنه خليق وقَمِنٌ به أن يستجاب له، ومثل ذلك ما ورد من الأوقات الفاضلة التي يطول المقام بذكرها.

هذا الاسم العظيم «**المجيب**» عرفه السجين الذي أغلقت وراءه الأبواب، وانقطعت الأسباب، فلم يجد إلا باب الله تعالى، فتوجَّه إليه باللَّهَج الصادق والدعاء الصالح، فأسرع الله تبارك وتعالى له بالفرج، وكشف ما به من ضر.

عَرَفه الأعرابي في صحرائه، وقد انقطعت به السبل، وتعذَّرت عليه الوسائل، فتضرَّع وتوسَّل إلى ربه، فأغاثه ربه، وجاد عليه وتفضَّل.

وعرفه البَحَّار وهو في ظلمات البحر، وقد جاءه الموج من كل مكان، وظن أنه أحيط به فصاح: يارب، يارب! فكشف الله تبارك وتعالى ما به من ضر، وأنجاه إلى البَرِّ بفضله ومَنِّه وكرمه.

وعرفه المريض، وقد تبرَّأ منه الأطباء، فحاروا في علاجه، واعتذروا له، فتوجَّه إلى الله تبارك وتعالى بقلب صادق متضرِّع، فشفاه وعافاه.

وعرفه المظلوم الذي دعا الله تعالى من كرب يعانيه ويقاسيه، فقال الله تعالى لدعوته: «**وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين**»[2]. وهذا يشهده كل عاقل يتأمل بديع صنع الله تبارك وتعالى في خلقه.

❍ ❍ ❍ ❍

(١) أي: فجدير وحقيق.

(٢) أخرجه أحمد (٧٧٠٠، ٩٣٦٦)، والترمذي (٢٥٢٥، ٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وابن خزيمة (١٩٠١)، وابن حبان (٨٧٤، ٧٣٨٧)، والطبراني في الكبير (٣٧١٨).

الله الواسع

جاء اسم الله «**الواسع**» في تسعة مواضع من القرآن الكريم مقرونًا ومفردًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٣٠]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

قال أبو عبيدة: «جواد يَسَع لما يسأل»[(١)].

«الواسع» معناه: الذي يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال، والجود والتدبير، فيدخل فيه الْجُود والكرم، والعلم والإحاطة، والحفظ والتدبير.

ومن معاني «الواسع»: الكامل في الأسماء والصفات، فلا يُحْصي أحدٌ ثناء عليه، واسع العظمة والملك والسلطان والفضل والإحسان، هو كما أثنَى على نفسه، ومهما وصفه الواصفون من خلقه فلن يبلغوا كُنْهَه، ولن يحيطوا به علمًا.

وإذا كان الشعراء يقولون في وصف ممدوحهم، كما قاله المتنبي:

تجاوز حدَّ المدحِ حتى كأنه ... بأحسن ما يُثْنَى عليه يعابُ

أو قوله:

استوجب الحمدَ حتى ما لِـمُفْتَخِرٍ ... في الحمد حاءٌ ولا ميمٌ ولا دالُ

فماذا عسى أن يقول القائل في الثناء على الواسع العظيم؟

وفي صحيح السنة عن عائشة رضي الله عنها، كما في حديث المجادلة، قالت: «الحمد

(١) غريب القرآن (ص:٤٧٨).

الله الذي وَسِع سمعُه الأصواتَ؛ لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ...﴾ [المجادلة:١]»[1].

وقد جاء اسم «**الواسع**» في سياق الإنفاق والبذل والعطاء في سبيل الله؛ تحفيزًا للنفوس على التخلُّص من الشُّحِّ، والمسارعة في البذل، وانتظارًا للجزاء الأوفى من الواسع العليم.

إن سعة هذا الكون العظيم جزء من آثار هذا الاسم العظيم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات:٤٧-٤٨].

وما وراء هذه العوالم مما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال، هو أثر من هذه العظمة في الخلق والقدرة والإبداع.

كما أن التوسعة في الشرع والتيسير في الديانة هو من سعته جلَّ وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨]، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢].

وفي الحديث الصحيح: «**إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه**»[2]. فجعل الدين سعة في العبادات والرخص والمعاملات والتيسيرات والفتوى وسائر ما شرع.

وما لحق بالدين من ضيق أو شدة فهو طارئ عليه من أثر البيئة التي تعاملت معه، أو العقل الذي انفعل به، وتبقى شريعة الله في بحبوحتها وسعتها فوق البيئة والمذهب والرؤى والاجتهادات الخاصة.



---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٢٤١)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، والحاكم (٢/ ٤٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩).

الله الحكيم، الحكم، الحاكم

من أسماء ربنا جل وتعالى التي عَرَّفَ بها نفسه إلى عباده، وذكرها في كتابه، وعلى ألسنة رسله وأنبيائه: «**الحكيم**»، وقد ورد هذا الاسم «**الحكيم**» أربعًا وتسعين مرة في القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢]، ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٣٠].

ويقول تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام:١١٤].

فهذا دليل على أن اسمه أيضًا: «**الحكم**».

وبمعناه: «**الحاكم**»، وقد جاء في خمسة مواضع بصيغة الجمع، منها: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف:٨٧]، ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود:٤٥]، ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:٨].

و«**الحكيم**»: هو الذي يُحْكِم الأشياء، ويتقنها، ويضعها في موضعها، كما قال سبحانه: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:٨٨]. فـ «الحكيم» هو الذي يضع الشيء في موضعه بِقَدَرِه، فلا يتقدَّم ولا يتأخَّر، ولا يزيد ولا ينقص، مع ما له في ذلك من الحِكَم البالغة العظيمة، التي لا يأتي عليها الوصف، ولا يدركها الوَهْم.

ومن معاني الحكمة: حكمته سبحانه في خلقه، ومن ذلك ما تراه في جسد الإنسان وعقله وروحه من حكمته جل وعز، حيث خلق الإنسان في أحسن تقويم، كما قال

تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ولو نظرت للإنسان في هيئته وصورته، أو نظرت في قُدْراته وإمكانياته، أو نظرت في عقله وروحه، لوجدت الحكمة العظيمة البالغة.

ولهذا قال تعالى واصفًا هذا الخَلْق الذي خَلَق الإنسان عليه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، والمقصود بقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ما يكون للإنسان بعدما يَكْبَر ويَهْرَم، وتضعُف قواه، ثم قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، فوعدهم بالأجر العظيم في الدار الآخرة، فهم وإن جرت عليهم السنن والنواميس التي تجري على العباد في الدار الدنيا، إلا أن الله عز وجل وعدهم بالأجر العظيم الذي لا ينقطع في الآخرة، ثم قال سبحانه: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: أيها الإنسان! ما الذي يحملك على أن تكذب بالدين.. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٤-٨].

ألم تر أن الله تعالى قد خلقك في أحسن تقويم؟ أليس في هذه الآيات البينات، وفي النفس والآفاق ما يدل على حكمة الله عز وجل، ووجوب الإيمان به وعبادته، والاعتقاد بالدينونة له؟

إن من الدين: الرجوع إلى الله تعالى للحساب في الدار الآخرة، وهذا كله من دلائل حكمته جل وتعالى.

ومن معاني حكمته سبحانه وتعالى: اختلاف اللغات التي يتكلم بها الناس على اختلاف أجناسهم، فكم فيها من الإعجاز، وكم فيها من العجائب، حيث أَقْدَر الله تعالى الإنسان عليها، وجعلها سببًا في الفهم والتفكير، والعلم والتعلم والتعليم.

ففي هذه اللغات معانٍ عظيمة، ودلالة على ربوبية الله تعالى وألوهيته وعظمته وحكمته، وفضله في خلق هذا الإنسان وتزويده بالبيان، ولهذا امتنَّ الله سبحانه على الإنسان بتعليمه هذا البيان، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤].

ومن معاني حكمته سبحانه: النوم الذي لا يشعر به الإنسان حينما يتلبَّس به، ولا

يعلم تلك اللحظة التي أخرجته من عالم اليقظة إلى عالم المنام، فإذا غَشِيَه النوم أصبح على حال تُشْبه الموت، ولذا سماه الله وفاة، ولكنه وفاة صغرى، وربما يرى في نومه الرؤى التي يُشرِّق فيها ويُغرِّب، ويرى فيها الأحياء والأموات، والقريب والبعيد، ثم بعد هذا كله يستيقظ، وقد استعاد حيويته وقوته ونشاطه. وفي هذا تتجلى حكمة الله تبارك وتعالى.

فهذا كله من الحكم الربانية التي تقع للإنسان حال نومه، فإذا تأمل الإنسان هذا النوم، وكيف لا يستغني عنه، لو تأمل الإنسان هذه النعمة وحكمة الله فيها، لتبين له عظمة خالقه وبالغ حِكْمته، وهذه من بعض حِكَم الله تعالى وأسراره في هذا المخلوق العجيب: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ... ﴾ [الروم:٢٣].

ومن معاني حكمته عز وجل في خَلْقه: أنه خَلَق الْخَلْق لحكمة وغاية ومقصد، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فالخلق لم يوجد عبثًا، ولن يُتْرك سدًى، ولهذا قال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥].

ومن معاني حكمة الله تبارك وتعالى: الشرع الذي أنزله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولهذا وصف الله تعالى القرآن بأنه حكيم، كما في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران:٥٨]، وقوله: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس:٢]، فتشريعاته حكمة في مقاصدها وأسرارها ومآلاتها، فشريعته حكمة، وخلقه وقدره حكمة، حتى وإن عجزت بعض العقول عن فهم أبعادها، فإن من الحوادث والشرائع ما لا يُتَبَيَّن مداه إلا بعد أجيال وعصور، ولا زال العلم البشري يكتشف الشيء بعد الشيء، وليس يصحُّ أن يكون الجهل أو عدم الإدراك في وقت أو مكان أو بالنسبة لفرد أو جماعة سببًا في عدم القناعة بما جاء عن الله؛ لأنه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، وخير الرازقين، وأحسن الخالقين.

فالحكيم الذي لا يدخل تدبيره ولا شرعه خلل ولا زلل، وأفعاله وأقواله تقع في

مواضعها بحكمة وعدل وسداد، فلا يفعل إلا الصواب، ولا يقول إلا الحق.

والقرآن الحكيم فيه الحلول الصادقة والمناسبة الملائمة، والأحكام الصحيحة التي بها قوام حياة الناس، وحَلُّ مشكلاتهم التي يواجهونها اليوم، سواء على صعيد الفكر، أو الاقتصاد، أو السياسة، أو المجتمع، وقد وضع الأُطُر العامة التي تهدي الناس إليها، ولكن من المعلوم أن استنباط هذه الحِكَم والسُّنن ليس في متناول الناس كلهم، إنما يستنبطه العلماء والفقهاء العالِمون بأسرار التنـزيل ومعاني التأويل، بيد أن المسلمين اليوم قعدت بهم هِمَمُهم عن فهم هذا الكتاب، وتنزيل هدايته على واقع الناس، مع أن فهم القرآن واحد من الواجبات الكفائية التي يجب على أولي العلم والفهم أن يُقْبِلوا عليها، ويجتهدوا فيها، فيستخرجوا من القرآن الكريم الأدوية المناسبة لأدواء العصر وأمراضه على صعيد الفرد والجماعة، ولاشك أن أصول الهداية الكلية موجودة في القرآن الكريم، فإنه تضمن الأصول العامة التي تَصْلُح بها حياة الناس، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

وهذا دليل على أن الحكمة تعني: السنة، فمن حكمته عز وجل أن يرسل الرسل الذين يختارهم من البشر، كما قال الله عز وجل ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

فيختار سبحانه من الرسل أفضل البشر ممن لهم الكمال البشري في علومهم وعقولهم وأفهامهم ومداركهم وقدراتهم؛ ليتم بذلك البلاغ، وتقوم الحجة على الناس، ولهذا كان النبي ﷺ بالمنزلة العظيمة التي يعرفها كل مَنْ قرأ سيرته، وقد امتنَّ الله سبحانه على الناس ببعثته لهذا الرسول ﷺ، فقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فمن حكمة الله عز وجل أن بعث الرسل، وأنزل الكتب هداية للناس، وإقامة للحجة.

ومن معاني حكمة الله عز وجل: أن يُلْهِم بعض العباد الحكمة، كما قال عز وجل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

فالله تعالى يؤتي الحكمة بعض عباده، فيعرفون كيف يحلون المشكلات، وكيف يخرجون من الـمُلِمَّات والأزمات، وكيف يتعاملون مع المواقف الصعبة، وكيف يضعون الأمور في مواضعها، وهؤلاء يحتاج الناس إليهم؛ لاستشارتهم في أمورهم، وأحوالهم الخاصة والعامة، وهناك حكماء في كثير من أمور الحياة كالأمور الاجتماعية، وعلاقة الناس بعضهم ببعض، والمشكلات الاقتصادية، وباب الاستشارات اليوم أصبح واسعًا، وكثير من الذين يعملون فيه ألهمهم الله تعالى شيئًا من الحكمة والمعرفة والبصيرة، وهي تصقل بالخبرة والتجربة والمران والمراس.

ويجدر بنا أن نذكر أن الحكمة قد تتجزأ وتنفصل، فقد يوجد عند الإنسان لون من الحكمة في جانب، وإن لم يكن مؤمنًا صادق الإيمان، ولا عالمًا ولا خبيرًا، ولا بصيرًا حكيمًا في أمور أخرى.

وكم تمنيتُ أن يكون للعالم الإسلامي مجلسٌ للحكماء الذين حنَّكتهم التجارب، فأصبحوا بيتًا للخبرة والمعرفة والتوقع؛ حتى لا يخبط المسلمون خَبْطَ عشواء، ولا يقعوا ضحيَّةَ المفاجآت والأزمات وهم لا يشعرون.

وأما «**الحَكَم**» فهو من له الْحُكْم والسلطان والقَدَر، فلا يقع شيء إلا بإذنه، وهو الـمُدَبِّر المتصرِّف ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

و«**الحَكَم**» أيضًا من له التشريع والتحليل والتحريم، فالحُكْم ما شرع، والدين ما أمر ونهى، لا معقِّب لِحُكْمه ولا رادَّ لقضائه.

فاجتمع في الاسم (القَدَر) و(الشرع) ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

وحين يقول: «**أحكم الحاكمين**» و «**خير الحاكمين**» فإن ذلك تأكيد على عدله

ورحمته ووَضْعه الأشياء في موضعها، فليس في قَدَره ظلم ولا تَعَسُّف، وليس في شرعه محاباة ولا تحيُّز، بل هو حِفْظٌ للحقوق، حقوق الحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة، والبَرِّ والفاجر، والمسلم والكافر، والقوي والضعيف، وفي كل الأحوال حَربًا وسِلمًا، وعلى كل أحد دون استثناء.

ولذا وجب على كل مسلم تحكيم كتابه وسنة نبيه ﷺ في دقيق أموره وجِلِّها، على الصعيد الفردي والجماعي، والأسري، والخاص والعام، والسياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام، وكل شيء.

ومن حُكْمه وحِكْمته: أنه عَدْلٌ لا يَظْلِمُ أحدًا، ولا يُحمِّلُ هذا وِزْرَ ذاك، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ولا يَدَع محسنًا إلا أثابه على إحسانه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠].

○ ○ ○ ○

الله الودود

ورد اسم الله «**الودود**» في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٤-١٥].

والود: هو الحب. والـمَوَدَّة: هي العلاقة الجميلة التي حكاها الله عن الأزواج فقال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، وارتضاها؛ لتكون نهاية للخصومة والبغضاء والعداوة مع الآخرين: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧].

فالله ودودٌ لعباده الصالحين، يحبهم، ويقربهم، ويرضى عنهم، ويَقْبَل أعمالهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، وهذه مودة خاصة.

ومن وُدِّه لهم: أن يرزقهم محبة الناس، ويحببهم إلى خلقه.

أما المودة العامة لخلقه، فهي الإحسان إليهم والإنعام والإكرام، والاستخلاف والصبر، فالله هو الودود؛ أي: الـمُحِب.

هكذا جاءت مطلقة؛ إشارة إلى قُرْبه من عباده، ومحبته الخير لهم، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

وفي سياق سورة البروج وذِكْر الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا يقول سبحانه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٢-١٤]؛ إشارة إلى حثِّ الناس على الصبر والإيمان، وتحريض الخطَّائين والمعتدين على

التوبة والإنابة، كما قال في السياق ذاته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ [البروج:١٠]، فذكَّرهم بالتوبة؛ رحمة بهم، وبيانًا لهم أنه لا ذنب يستغلق على المغفرة إذا تاب صاحبه وأناب.

ومن معاني الودود: أنه مودود؛ أي: محبوب يحبه عباده ويشتاقون للقائه.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣]، ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] فيه غاية التشنيع والتحذير من هذه الصفات المرذولة التي لا يحبها الودود، ولا يُحب أهلها.

إن هذا الاسم الكريم دعوة لإشاعة الوُدِّ واسمه بين الناس، وخاصة الأزواج والقرابة، والجيرة والمعارف، والأصهار والشركاء، وتصفية القلوب، وإزالة الشحناء، وغسل الضغائن، وتجنُّب الحسد والتباغض والتناحر.

حروفٌ من أبيات قلتُها في معنى هذا الاسم الشريف:

أحبُّك فوقَ كلِّ الحبْـ ... ـبِ حتى يسكنَ القلبُ
فأنت النورُ والهادي ... وأنت الخالقُ الربُّ
ودودٌ أنت لا يَحْجُـ ... ـبُ وُدَّك عنِّيَ الذنبُ
بسطتُ لسانَ مسألتي ... إليك وهالني الخَطْبُ
فأسْرَعَ فيضُكم نحوي ... وجاد السَّلْسَلُ العذبُ

* * *

لساني لا يُطيق لكم ... ثناءً، فهْوَ مُنْعَقِدُ
وفي ذَرَّات أَنْسِجَتي ... مساجدُ ما لها عددُ
ومنك النفسُ والأنفا ... سُ والأموالُ والولدُ
ومنك العقلُ والإيما ... نُ والتنفيسُ والرَّشَدُ
وكلُّ جمائلِ الدنيا ... حباها الواحدُ الصمدُ

* * *

لسانُ الشكرِ لا يقوى وقد قصَّرتُ في التقوى
لك الأُولى لك الأُخرَى وأنت السامع النجوَى
فخذ بيدِي وناصيتي وعاقبتي لما تَرضَى

❍ ❍ ❍ ❍

الله المجيد

جاء اسم الله «**المجيد**» في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود:٧٣]، وقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج:١٤-١٥].

والمجيد هنا: صفة لله، ويجوز أن تكون صفةً للعرش، وكلاهما صحيح.

ومن معاني المجيد: صاحب المجد، وأيُّ مجدٍ أعلى وأتمُّ من مجده سبحانه؟!

والمجد: هو الغاية في أمرٍ محمود.

والمجد: هو الكمال في العلم والقدرة، والحكمة والرحمة، والغنى والسؤدد، والقدر والقهر، وكمال الكمال، وجمال الجمال، وجلال الجلال.

ومِنْ مَجْده سبحانه يستمد العظماء مجدَهم؛ حتى الرسل والأنبياء، ولذا سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نُصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهُمَّ صلِ على محمد وعلى آل محمدٍ، كما صليتَ على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد**»(١).

وكلامه سبحانه أفضل الكلام وأعظمه، ولذا قال سبحانه: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق:١]، فتبارك المجيد الواسع الكريم المعطاء! وتعالى المجيد الشريف في ذاته! الجميل في أفعاله! الجزيل في عطائه ونواله!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

وقد مجَّد نفسه سبحانه في قرآنه المجيد، فكانت أعظم آياته تلك التي احتوت على الثناء عليه وذكر صفاته، كآية الكرسي في سورة البقرة، وهي أعظم آية في كتاب الله[١]، وسورة الإخلاص، وهي أفضل سورة؛ حتى صح عن النبي ﷺ: «**أنها تعدل ثلث القرآن**»[٢].

والاستمساك بهذا القرآن وتَدَبُّره، والعمل به.. علمًا وخشوعًا، وتدبرًا وفهمًا، وعملًا وسلوكًا من أسباب المجد في الدنيا والآخرة، كما في «صحيح مسلم»: أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملتَ على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولًى من موالينا. قال: فاستخلفتَ عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيَّكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[٣].

فاللهم ارفعنا وانفعنا بالقرآن، واجعل مجدنا خالدًا مُسْتَمَدًّا من مجدك يا ذا العرش المجيد!



(١) كما في صحيح مسلم (٨١٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨١١).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

● الله الشهيد

ورد هذا الاسم «**الشهيد**» في الكتاب العزيز ثماني عشرة مرة، في قوله سبحانه فيما ذكره عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧]، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩].

فهو الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء، وهو الحفيظ على كل شيء، فعلمه أحاط بالأشياء، وهو يشهد بالحق، وينصف المظلوم، ويقتص من الظالم.

وفي الاسم إشارة إلى أن ما هو غيب على الإنسان فهو شهادة بالنسبة لله تعالى، فكل شيء مشهود عنده، كما قال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

ومن ذلك: شهادته بالتوحيد: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨].

ومن شأن الإيمان بهذا الاسم: أن يجعل المرء يستحضر مشاهدة الله له في كل عمل دَقَّ أو جَلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

يا صاحِبي قُمْ فَقد أَطَلْنَا ... أَنَحْنُ طُولَ الـمَدى هُجُودُ؟
فقالَ لي: لن نَقُومَ منها ... ما دامَ مِن فَوْقِنا الصَّعِيدُ
تذكُرُ كَمْ لَيْلَةٍ لَهَوْنا ... في ظِلِّهَا والزَّمَانُ عِيدُ

وكَمْ سُرُورٍ هَمَى علَيْنَا سحابةً ثَرّةً تجُودُ
كُلٌّ كأَنْ لم يكُنْ تَقَضَّى وشُؤمُه حاضِرٌ عَتِيدُ
أَحْصَاه مُسْتَوْدَعٌ حفيظٌ وربُّنا حاضِرٌ شهيدُ
يا وَيْلَنَا إِنْ تَنَكَّبَتْنَا رَحْمَةٌ مَن بَطْشُهُ شَدِيدُ
يا ربِّ عفوًا فأنتَ مولى قَصَّرَ في أَمْرِكَ العبيدُ

الله المبين

بيان الشيء: ظهوره ووضوحه، وأبنته: أوضحته، والتبيين: الإيضاح، والبيان: الفصاحة واللَّسَن[1].

و«المبين»: اسم من أسماء الله تعالى الدالة على ذات الله سبحانه، وعلى صفة البيان والإبانة المطلقة لكل معاني الحق، فـ «المبين»: اسم الفاعل من أبان، فهو مبين إذا أظهر، أو بيَّن قولًا أو فعلًا.

وقد ورد هذا الاسم «المبين» في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٥]؛ أي: يعلمون أن الله هو الحق الذي يبيّن لهم حقائق ما كان يَعِدُهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما يعدهم في الدنيا يمترون.

و«المبين»: المبيِّن لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال الموجبة لعقابه، والمبيِّن لهم ما يأتونه ويذرونه.

وهو البيِّنُ أمره في الوحدانية، وأنه لا شريك له، ليس بخافٍ ولا مُنْكَتِم؛ لأن له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى، وهو سبحانه البيِّن الربوبيةً والملكوت، أبان للخلق ما احتاجوا إليه.

(١) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٦٧-٦٨).

و«**المبين**» سبحانه لا يخفى على خلقه بما نَصَب لهم من دلائل وجوده، وبيِّنات سلطانه..

وكيفَ يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ ... إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

و«**المبين**» سبحانه الذي أبان لخلقه سُبل النجاة من عذابه، والفوز بجنته ومرضاته؛ بما فطرهم عليه من التوحيد، وبما أرسل لهم من الرسل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد:٢٥].

وهو «**المبين**» الذي سمَّى نبيه بـ «المبين»، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٤]، وقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩].

وسمَّى كتابه بـ «المبين» في غير ما آية، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].

فـ «**المبين**» سبحانه هو الذي أبان لعباده ما يصلُح لمعاشهم ومعادهم.

○ ○ ○ ○

الله الحق

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥]، وقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام:٦٢]، وقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ﴾ [طه:١١٤]، وقال: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ﴾ [يونس:٣٢] في مواضع عشرة.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد، قال: «**اللهم لك الحمد، أنت قَيِّم السماوات والأرض ومَنْ فيهن، ولك الحمد، لك مُلْكُ السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت مَلِكُ السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت الحقُّ، ووعدك الحقُّ، ولقاؤك حقٌّ، وقولك حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ**»[١].

و«**الحق**» هو الثابت اليقين الذي لا مِرْيَة فيه، ولا شك، فهو حق بذاته، باقٍ لا يحول ولا يزول، وسنته حق باقية بلا تبديل، وشرائعه حق، لا يأتيها الباطل، ووعده حق، لا ريب فيه، وخبره حق لا يتخلَّف.

فهو سبحانه يحب الحق وأهل الحق، ويأمر بالحق، ويوصي بالحق، ويقضي بالحق، ويقول الحق، ويهدي إلى الحق، وينصر الحق، وهو الحق، لا إله إلا هو، ولا رب سواه تبارك وتعالى.

---

(١) صحيح البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧)، وصحيح مسلم (٧٦٩).

فالله هو الحقُّ وما ينتمي إليه حقٌّ، قوله حقٌّ، ووعده حقٌّ، وحُكْمُه حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ.

وهذا الحقُّ هو الثابت المستقرُّ الذي تتغير الدنيا ولا يتغيَّر، وهو المحتكم في النوازل والمشكلات ومواقع الظنون، وهو الـمُعْتَصَم في الـمُلِمَّات والـمُدْلهِمَّات والخطوب.

يتساءل كثيرون في عصر العولمة عن حدود الثابت والمتغير، ولعل أنوار هذا الاسم العظيم ودلالاته تكشف ظلماء هذا الأمر وتُـجَلِّي عمايته، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

الله الوكيل

ورد اسم الله «**الوكيل**» في أربعة عشر موضعًا من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١]، وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص:٢٨].

و«**الوكيل**»: هو المتولي تدبير خَلْقه بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، وهذه هي الوكالة العامة للخلق كلهم، ناطقهم وصامتهم، إنسهم وجِنِّهم، دانيهم وآخرهم.

وللوكالة معنى خاص يتعلق بأوليائه سبحانه وأهل طاعته ومحبته، فييسرهم لليسرى، ويجنِّبهم العسرى، ويكفل أمورهم، وقد جاء في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]»[1].

و«**الوكيل**»: هو القَيِّمُ والكفيل، الذي تكفَّل بأرزاق العباد ومصالحهم وتدبير شؤونهم؛ ولذا فإن من توكَّل على الله كفاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وعند الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: «**لو أنكم كنتم**

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٦٣).

تَوَكَّلُون على الله حق تَوَكُّله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا، وتروح بِطانًا»[1].

فالله تعالى وكيل على عباده كلهم؛ آمنوا أو كفروا، أدركوا أم غفلوا، أقرُّوا أم جحدوا.

إن العبد حين يستشعر معنى اسم الله «الوكيل»، يفوِّض أمره إلى ربه، ويقنع بقضائه، ويلتمس فضله، وبفعل السبب مع التوكل على الله يكون قد أَدَّى عبادةً مِنْ أعظم العبادات، كما قال سبحانه: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩].

وقد نهى سبحانه عن التَّوَكُّلِ على غيره فقال: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٢]؛ فدلَّ على أن التوكل عبادة وتوحيد، لا يُصْرَف إلا لله تعالى وحده.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥)، والترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وابن حبان (٧٣٠)، والحاكم (٤/٣١٨).

● الله الفاطر

جاء هذا اللفظ مضافًا، مثل قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٤]، وذلك في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهو بمعنى خالق السماوات والأرض ومُبْدِئُها ومبدعها من العدم.

ومنه: قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٥١]، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: «كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا ابتدأتها»[(١)]. يعني: هو الذي استحدث حَفْرَها.

ومن معاني الفَطْر: تَشَقُّق السماء بالمطر، والأرض بالنبات، كما في قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠].

وكان النبي ﷺ يدعو بهذا الاسم، كما في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها، أنه كان يقول إذا قام من الليل: «**اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٦١٤)، والطبري في تفسيره (٧/ ١٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٨٢).

(٢) صحيح مسلم (٧٧٠).

وكذلك كان يقول في ابتهاله لربه في أول صلاته: «**وَجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين**». رواه مسلم[١].

ولعل الفَطْر يدل على لحظة انبثاق الخلق وتَكَوُّنه بعد أن لم يكن؛ مما يُحَرِّك القلب؛ لاستشعار القدرة الربانية والحكمة الإلهية في الإيجاد أولًا، وفي التخصيص ثانيًا، فهو مُوجِدُ الأشياء بعد أن لم تكن موجودة، وهو الذي أراد تخصيصها، فخلق هذه سماءً، وهذه أرضًا، وهذا بَشَرًا، وهذا حجرًا، وهذا شجرًا، سبحانه وبحمده، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

○ ○ ○ ○

(١) صحيح مسلم (٧٧١).

● الله القوي

ورد اسم الله «**القوي**» في تسعة مواضع من القرآن الكريم، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود:٦٦]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

و«**القوي**»: هو الغالب القادر التامُّ القوة، الذي لا يعتريه عَجْز ولا نَقْص، ولا يُغَالِبُهُ أحد إلا غلبه، كما قيل:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتغْلِبُ رَبَّها وليُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ

ولذا يقترن كثيرًا باسم «**العزيز**»، ويأتي في سياق الإخبار عن تدمير الظالمين والمكذبين، أو في سياق النصر والتأييد والتفريج للمؤمنين والمستضعفين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، وقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥].

فهو سبحانه قوي لا يَمْنعه مانع، وما له من دافع، لا يعتريه عجز ولا قصور، ولا يأتي عليه وَهْنُ الدهور.

ومن أثر الإيمان بهذا الاسم: أنه سبحانه يحب القوة والأقوياء الـمُقْسِطين، الأقوياء في إيمانهم وفي علمهم وفي تعاطيهم وأخذهم وسائر أمورهم، كما قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير، احرصْ على ما ينفعُك،**

واستعنْ بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قلْ: قَدَرُ الله وما شاء فعل. فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[(١)].

وهو سبحانه يكره القوة المبنية على العَسْفِ والطغيان، كما قال ﷺ: «**لا قُدِّسَت أُمَّةٌ، لا يأخذُ الضعيف فيها حَقَّه غير مُتَعْتَع**»[(٢)].

إنها قوة العدالة والميزان الحق، والإنصاف والمساواة التي تضبط قوة الفرد، فلا يتعدّى ولا يبغي! وهكذا سائر أسمائه وصفاته سبحانه، فإنها صفات كمال، وهو يحب أهلَها، فهو عالمٌ يحب العلماء، عَدْلٌ يحب العادلين، رحيمٌ يحب الرحماء، صبورٌ يحب الصابرين، قُدُّوسٌ يحب المتطهرين والتوابين، جميلٌ يحب الجمال، ويحب لعباده الاستقامة والمصلحة والخير، فلا يُحب الغِنى الـمُطْغي، ولا القوة الباطشة، ولا الجمال المبتذل، فله من الصفات أزكاها وأوفاها وأسماها، وهو يحب أهلَها العادلين.

وحين جاء الأحزاب لحصار المدينة، وتآمروا لكَسْر شوكة المؤمنين، وأحكموا كيدهم سرًّا وعلانية؛ أرسل الله عليهم ريحًا وجنودًا لم يروها: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥].

وقد قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**ألا أدلُّكَ على كنز من كنوز الجنة؟**». فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[(٣)].

والمعنى: لا تَحَوُّلَ مِنْ حالٍ إلى حال، ولا قدرةَ على ذلك إلا بمعونة الله وتسديده وتأييده.

يا مَنْ له الحَوْلُ والطَّوْلُ العظيمُ ومَنْ	هو القويُّ ومَنْ رَجْواه تُرْتَقَبُ
إِذَا رضيتَ فكلُّ العالمينَ رِضًا	عَوْذًا بوجهك أن يغتالَنا الغضبُ

❍ ❍ ❍ ❍

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٦)، وأبو يعلى (١٠٩١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

الله المتين

جاء اسم الله «**المتين**» في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨].

و«**المتين**»: هو الشديد القوي التام القوة، فله العِزَّة جميعًا، وهو الغالب على أمره، وهو القادر الذي لا يَلْحقه عجز جل وتعالى.

ولعله يدل على التناهي في القوة، فهو الشديد الذي لا تنقطع قوته، ولا يمسه لغوب، ولا يعتريه عجز، ولا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كُلْفة ولا تعب، والمتانة: الشدة والقوة، فهو من حيث إنه بالغ القدرة تامُّها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين[(١)].

ولذا وعد المؤمنين بالنصر والغلب والفتح، فقال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠]، وقال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة:٢١].

(١) ينظر: شأن الدعاء للخطابي (ص:٧٧)، والنهاية (٤/ ٢٩٣).

الله الولي، المولى

من أسمائه سبحانه وتعالى: «**الولي**»، و«**المولى**»، وقد ورد اسم «**الولي**» في آيات كثيرة في كتاب الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة:٥٥].

و«**الولي**»: هو الرب والمالك، والسيد والـمُنْعِم والـمُعْتِق، والناصر والـمُحِب.

وورد اسم «**المولى**»، في اثني عشر موضعًا في الكتاب العزيز، كقوله سبحانه: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠]، وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وأصل الوَلَايَةِ: هي القرب. ومنه: الوالي، وهو السلطان.

والولي: القريب وابن العم، والمسؤول، والنصير، والمحب، والصديق، والجار، والمطيع، والتابع، سواء كان القرب قرب مكانٍ أو زمانٍ، أو نسبٍ أو ديانةٍ، أو صداقةٍ أو علاقةٍ، أو مناصرةٍ أو اعتقادٍ؛ فإنه يسمى (ولاءً) وصاحبه (ولي) أو (موالي).

ولله تعالى الولاية العامة على خلقه أجمعين، بمعنى أنه متولٍّ لشؤونهم ومدبرها، وهو القائم على كل نفس بما كسبت. فهذا للبَرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر، والجن والإنس، والإنسان والحيوان، وغير ذلك، وهو بهذا مولى الخلق كلهم أجمعين، كما قال: ﴿ثُمَّ

﴿رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام:٦٢].

وله سبحانه الولاية الخاصة المقتضية للمؤمنين بالنصرة والحفظ، والرعاية والتسديد، والتوفيق والهداية، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١]، فهو حافظهم وناصرهم على عدوِّهم ومتولي شؤونهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠].

وفي الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه؛ فإذا أحببتُه كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمع به، وبَصَرَهُ الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْلَهُ التي يمشي بها...**»[١].

وأذكر أنني قرأتُ للإمام الشوكاني رحمه الله كتابًا جليل القدر حول هذا الحديث ومعانيه، سمّاه: «قطر الولي على حديث الولي».

فهذا يدل على تولِّيه الخاص للمقربين من عباده، وعلى أن الربانية مصدر إلهام وتوفيق وصواب وتسديد عند مَنْ تقرَّبوا إليه سبحانه، يسدِّد عقولهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وحركات جوارحهم وظواهرهم وبواطنهم إلى ما فيه رضاه سبحانه، فالقرب منه سبحانه سبب في تلقِّي الحكمة والظفر بها، والتأهُّل للصواب في القول والعمل والموقف، ولذا قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فهو سبحانه يحفظهم في الـمُلِمَّات، ويقيهم العثرات.

ولما قال أبو سفيان رضي الله عنه يوم أُحد: (لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم). أرشد النبي ﷺ أصحابه إلى أن يقولوا: «**الله مولانا ولا مولى لكم**»[٢].

إن تحصيل الولاية أمر كسبي، يحاوله الإنسان بجهده وعمله وتقواه، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

والوَلاَيَة تُورِث إحساسًا بالقرب، مع الإحساس بالرحمة واللطف، وليس أطيب ولا أجمل من اجتماع هذين المعنيين، وهما لو اجتمعا لمخلوق في شأن من يعظِّمه من أمير أو وزير أو رئيس، فقرَّبه وأحبَّه لكان هذا غاية المطلب، فكيف إذا استشعرها المرء في حق خالقه العظيم الذي بيده كل شيء؟

إن هذا الإحساس يمنح للحياة طعماً غير مألوفات المادة، ويَسْكُب في القلب من الرضا واليقين والطمأنينة ما لا تَحُدُّه الكلمات ولا تنتظمه الحروف: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢].

أَتَيتُكَ راجِيًا يا ذا الجَلالِ ... فَفَرِّج ما تَرى مِن سوءِ حالي
عَصَيتُكَ سَيِّدي، وَيْلي بجَهلي ... وعَيبُ الذَّنْبِ لَم يَخطُر بِبالي
إِلى مَن يَشتَكي المملوكُ إِلّا ... إِلى مَولاهُ يا مَولى الموالي
لَعَمري لَيتَ أُمّي لَم تَلِدْني ... ولَم أُغضِبْكَ في ظُلَمِ اللَيالي
فَها أَنا عَبدُكَ العاصي فَقيرٌ ... إِلى رُحماكَ فَاقبَل لي سُؤالي

○ ○ ○ ○

الله الحميد

جاء اسم الله «**الحميد**» سبع عشرة مرة في القرآن الكريم، وثبت في السنة النبوية، كما في دعاء الصلاة الإبراهيمية: «**إنك حميد مجيد**»[١].

وجاء مقرونًا ومنفردًا، كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧]، وقوله: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]، وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]، وقوله: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج:٨].

و«**الحميد**»: بمعنى المحمود الذي يَحْمَدُهُ خلقه وأهل أرضه وسماواته، كما يقول المصلِّي في دعائه: «سمع الله لمن حمده».

و«**الحميد**»: المستحِق للحمد بجميع صيغه وصوره، ولو لم يحمدوه، فهو أهل الحمد بفضله وجوده وعطائه ورحمته، ولذا كان من أفضل الذكر الوارد: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورِضا نفسه، وزنة عرشه، ومِداد كلماته**»[٢].

و«**الحميد**»: ذِكْر عظيم القَدْر، جليل الشأن، واسع التأثير على النفس والقلب والفكر والسلوك، خاصة إذا تأمله الذاكر واستحضر معناه، وكذلك الباقيات الصالحات: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، فهي من أفضل الذكر، ولا يضرك

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

بأيهن بدأت[(١)].

والحمد أول لفظ في القرآن في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وهو كلام أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥].

وفي حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عند مسلم مرفوعًا: «**الطُّهُور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»[(٢)].

وجميع المخلوقات ناطقة بحمده سبحانه اضطرارًا، والمؤمنون يحمدونه اختيارًا، وكل حمد حَمِده الخلق من الملائكة والأنبياء والرسل والصالحين والإنس والجن وأهل الدنيا والآخرة وأهل الجنة وسائر المخلوقات فهو يسير قليل في جانب عظمته وحقه سبحانه، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: «**وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٣)].

ويفتح الله عليه في يوم القيامة حين يخرُّ ساجدًا تحت العرش بمحامد لم يكن يعلمها من قبل، فيثني بها على ربه، فيقول تعالى: «**يا محمد، ارفع رأسك، وسلْ تعطه، وقلْ يسمع، واشفعْ تشفع**»[(٤)].

والحامدون: هم من ورثة جنة النعيم، وهم الذين يُكْثِرون حمده سبحانه، ويَلْهَجون بالثناء عليه، كلما تجدَّدت لهم نعمة، أو اندفعت نقمة، وفي كل حال.



(١) ينظر: مسند أحمد (١٨٣٧٩)، وصحيح مسلم (٢١٣٧).
(٢) صحيح مسلم (٢٢٣).
(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦).
(٤) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

● الله الحي

ورد اسم الله «الحي» في خمسة مواضع في كتاب الله تعالى، في قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢]، وقوله: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [طه:١١١]، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾ [غافر:٦٥]، وقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فهذه الآية الكريمة من سورة البقرة هي آية الكرسي؛ لأنه ذكر فيها قوله: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾، وصحَّ أن من قرأها عندما يأوي إلى فراشه لم يزل عليه من الله تعالى حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[(١)].

في هذه الآية العظيمة ذكر الله عددًا من أسمائه تعالى وصفاته، فذكر ألوهيته، وأنه الذي لا إله إلا هو، وأنه الحي القيُّوم، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾، وذكر ملكه سبحانه، وأن له ما في السموات وما في الأرض، وأن الشفاعة عنده لا تكون إلا بإذنه، وأنه سبحانه هو العليم الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم ما بين أيديهم

(١) ينظر: صحيح البخاري (٢٣١١)، وسنن النسائي الكبرى (١٠٧٩٥).

مما يأتي، ويعلم ما خلفهم مما مضى، وهم لا يحيطون بشيء من علمه تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]، إلا بما شاء، فلا يعرف العباد ربهم إلا بما عرَّفهم به، فالعقول لا تدركه سبحانه، وإنما يتعرف الناس إلى ربهم جل وعز بما أنزل عليهم في كتابه، ومن ذلك هذه الآية العظيمة.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، وفي هذا إشارة إلى عظمة الله عز وجل، وعظمة هذا الكرسي الذي وسع السموات والأرض.

ولا يؤود الله حفظهما، أي: لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض وما فيهما، وهو العلي العظيم، وفي ذلك إشارة إلى حث العباد على سؤاله ودعائه والتماس ما عنده من الحفظ والكلاءة والجود، فهو الحفيظ القائم على كل نفس بما كسبت، وهذا من أسرار تكرار الآية في كل يوم، وفضيلة قراءتها، وتأمل الفقرات العشر التي اشتملت عليها.

ومن معاني اسم الله «الحي»:

أن الله تعالى له الحياة الدائمة التامة، التي لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه؛ ولهذا قال هنا: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾، والسِّنة هي النعاس.

ومن معاني «الحي»: أن حياته صفة ذاتية، بخلاف المخلوقين، فإن حياتهم من فضل الله عز وجل عليهم، ومعيشتهم من عطائه وجوده وكرمه، فالله تعالى متصف بالحياة، وهي صفة لذاته جل وتعالى.

ومن معاني «الحي»: أنه يمنح الحياة للأحياء في الدنيا، ويمنح أهل الجنة حياتهم الأبدية الأزلية السرمدية التي لا زوال لها، بل هي خلود أبدي بلا موت ولا فناء.

إن ظهور الحياة في المادة الصَّمَّاء آية من آيات الله عز وجل، بل هو من أعظم آياته وأعظم معجزاته.

تأمل الصخرة الصماء، وقارن بينها وبين كائن حي يتحرك، ويتنفس، ويحس، ويشعر. فهذا الإنسان يعقل، ويتكلم، وله إرادة، وله حسٌّ، وفهم، وتفكير، وقدرة، فهو يتميز عن بقية ما خلق الله عز وجل، تأمل الفرق الشاسع والبون الهائل بين المادة

الصماء، وبين المخلوقات الحية المتحركة، وكيف أن الله تعالى تحدى الناس به، وجعل هذا دليلًا على بعث الناس في الدار الآخرة، وعلى مردِّهم إليه عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس:٧٨-٨٠].

وسبب نزولها أن بعض المشركين أخذ عظمًا رميمًا، ففتته بيده، وقال: مَنْ يحي العظام وهي رميم[1]؟! وتساءل في استنكار وتكذيب للبعث بعد الموت! وقوله تعالى: ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ تكفي في الإجابة عن سؤاله: من يحيي العظام وهي رميم؟ لأن الله تعالى ذكَّره بالخلق الأول، فالخلق الثاني أهون من حيث العقل، وإلا فَكُلُّه على الله تعالى هين، ولكن في مقاييس البشر أن الإعادة أهون من البدء، والله تعالى بدأ الإنسان أول مرة؛ ولهذا قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، فإن البدأ والإعادة عند الله سواء، وإنما أمره أن يقول للشيء: كن. فيكون، ولكنه ضرب هذا المثل حُجَّة على البشر، فإذا آمنوا بأن الله تعالى هو الذي بدأ الحياة، وهو الذي جعل المادة الصماء تتحول إلى حياة وحركة وحسٍّ وإدراك وشعور وإرادة، بل إلى عقل بصير؛ فإنه سبحانه من باب أولى قادر على إعادة الحياة إليهم مرة أخرى، بعدما بَلِيت عظامهم في قبورهم.

○ ○ ○ ○

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٤٦)، وتفسير الطبري (١٩/ ٤٨٦-٤٨٧)، والمستدرك (٢/ ٤٢٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٥٨٠).

الله القيوم

ورد اسم الله «**القَيُّوم**» في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢]، وقوله: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١١١]، وقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وتلحظ أن اسم «**القَيُّوم**» مرتبط بالحيِّ، فلم يأتِ اسم «القَيُّوم» في القرآن الكريم منفردًا.

و«**القَيُّوم**»: هو القائم على كل نفس بما كسبت، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾ [الرعد:٣٣]، فهو يحفظ على العباد أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم، وكل ما يعرض لهم، ثم يجازيهم عليها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩].

فمن معاني «القَيُّوم»: أنه القائم على عباده، المحصي لأعمالهم وأقوالهم، وأحوالهم وتصرفاتهم، وصواباتهم وحسناتهم، وأخطائهم وذنوبهم ومعاصيهم، فهو الذي يجازيهم عليها في الدار الآخرة.

ومن معاني «القَيُّوم»: القائم بنفسه، الغني عما سواه، بخلاف مخلوقاته، فإن قيامها بربها جل وتعالى، وهي خلقت بإذنه وبأمره وبقدره، وهو ربها ومدبرها ومتولي شؤونها، والمتصرف فيها، أما الله تعالى فهو القَيُّوم القائم بنفسه جل وتعالى.

ومن معاني «القَيُّوم»: المتكفِّل بحياة كل شيء، وحفظه ورزقه وتصريفه، وهو أيضًا القائم الباقي بلا زوال.

إن مدار الأسماء الحسنى كلها على هذين الاسمين الشريفين العظيمين: «**الحي**» و«**القَيُّوم**»، فإن حياته سبحانه مستلزمة لجميع صفات الكمال، وقيُّوميَّته متضمِّنة لغناه وقدرته وربوبيته سبحانه؛ ولهذا قيل: إن «**الحي القَيُّوم**» هو الاسم الأعظم، أو هو من الاسم الأعظم، كما في حديث أنس رضي الله عنه، أن رجلًا صلى وقال: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم...». فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**»(١). وهذا أحد الأقوال في الاسم الأعظم، ولا مانع أن يكون مدرجًا في ضمنها.

وفي السنن والمستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره، أن النبي ﷺ قال: «**من قال: أستغفر الله، الذي لا إله إلا هو الحي القَيُّوم، وأتوب إليه** -وفي رواية: «**ثلاث مرات**»- **غُفر له، وإن كان فرَّ من الزحف**»(٢).

فاستغفرِ الله الذي لا إله إلا هو الحي القَيُّوم، وتبْ إليه، وألزم نفسك أن تحفظ هذه الكلمات، واجعلها ضمن وِرْدك الصباحي والمسائي في كل يوم وليلة.

يا مبدعَ الأكوانِ أنت الواحدُ كلُّ الوجودِ على وجودِك شاهدُ
يا حيُّ يا قيُّومُ أنت المرتَجَى وإلى عُلاك عَلا الجبينُ الساجدُ

مما لاحظته أن هذا الاسم بصيغته «**القَيُّوم**» لا يكاد يُستعمَل إلا في حقِّ الله تعالى، وفي حقِّ المخلوقين يقال عادة: القَيِّم، أو القيَّام. مع أن القاعدة: جواز استعمال ما سوى «الرحمن» و«الله».

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه أحمد (١٣٥٩٥)، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، والترمذي (٣٥٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧)، والحاكم (١/ ٥١١)،(٢/ ١١٨)، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٤١).

● الله الواحد، الأحد

قال عز من قائل: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]، فهو «**الواحد**»، وهو «**الأحد**».

والفرق بينهما: أن «**الواحد**» يدل على الوحدانية والتفرُّد، ويدل على الأوَّلية، فهو الأول، وليس قبله شيء، وهي أخص في الدلالة على وحدانية الذات. أي: ليس معه شريك في خلقه، ولا في عبادته، فهو الواحد، أي: ليس له ثان.

أما «**الأحد**» ففيه خصوصية ليست في «**الواحد**»، وهو أكثر تمكُّنًا في الدِّلالة على وحدانية الذات ووحدانية الأسماء والصفات والمعاني.

وقد ورد اسم الله «**الواحد**» في اثنتين وعشرين آية من كتاب الله، وورد اسم «الأحد» في سورة الإخلاص، وأصل اشتقاق الاسمين واحد فكلاهما من جذر واحد من كلمة (و ح د)، وهي تدلُّ على وحدانية الذات، فلا إله إلا الله، ووحدانية الصفات، فليس له شبيه ولا سَمِيٌّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١].

وتدل على انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه، قال الخطابي رحمه الله: (الواحد: الفرد الذي لم يَزَلْ وحده)[١]. فالقرآن الكريم والسنة أوضحا غاية الإيضاح تَفَرُّد الخالق عن المخلوق.

وفي كتاب الله جل وعز سورة تُسمَّى: «الإخلاص»: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ

(١) ينظر: شأن الدعاء للخطابي (ص:٨٢-٨٣).

﴿ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقد سُمِّيت هذه السورة بالإخلاص؛ لأنها اشتملت على إثبات الكمال لله سبحانه وتعالى، فأثبتت اسمه العظيم وهو: «اللَّه»، وأثبتت وحدانيته، وأثبتت صَمَدِيَّته، ثم نَفَت عنه ما كانوا يَدَّعونه من وجود الوالد أو الولد، أو أن يكون له كُفُو أو شريك أو مُشابِه، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في الركعة الثانية من راتبة الفجر، وراتبة المغرب، ويقرؤها في صلاة الوتر، وركعتي الطواف.

وهذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ يوم كان بمكة، وقد جاءه المشركون، فقالوا له: انسب لنا ربك. فأنزل عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[1].

فـ «الصَّمَدُ»: الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيُورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يُوْرَث.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: لم يكن له شبيه، وليس كمثله شيء.

ولم يَرِد في فضل سورة من القرآن ما ورد في فضل هذه السورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**». فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾. ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبرًا جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله. ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «**إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثُلُث القرآن. ألا إنها تَعْدِل ثلث القرآن**»[2].

وذلك لأن القرآن الكريم أخبار، وأحكام، وعقائد؛ وهذه السورة تتعلق بالعقائد.

وقال بعضهم: لأنه خبر أو إنشاء، والخبر منه ما يتعلق بالأحكام، ومنه ما يتعلق بالعقائد.

أو أن يكون هذا دلالة على فضلها؛ والمهم أن النبي ﷺ ذكر فضل هذه السورة، وأنها تعدل ثلث القرآن الكريم.

(١) أخرجه أحمد (٢٠٢٧٢)، والترمذي (٣٣٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٦٣)، والطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٢٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٤٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠، ٦٠٧)، وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٢).

ولما قرأها رجل من الأنصار، كان يؤمُّ في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة، يقرأ بها افتتح بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلَّمه أصحابه فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بسورة أخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها، وتقرأ بسورة أخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمَّكم بها فعلت، وإن كَرِهتم تركتُكم. وكانوا يرونه أفضلهم، وكرهوا أن يؤمَّهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر. فقال: «**يا فلان، ما يمنعك مما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة؟**». فقال: يا رسول الله، إني أحبها. فقال رسول الله ﷺ: «**إن حبك إياها أدخلك الجنة**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ. فقال: «**سَلُوه لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك**». فسألوه؛ فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[(٢)].

وهذه السورة العظيمة فُتِحت بكلمة: ﴿ قُلْ ﴾، وهي ضِمْن خمس سور في القرآن الكريم افتُتِحت بهذا اللفظ، وضمن ثلاثمائة وعشرين موضعًا من الآيات افتتحت بقوله: ﴿ قُلْ ﴾.

وبتتبع هذه المواضع يظهر -والله أعلم- أن غالبها كان إجابة على أسئلة، وهكذا هذه السورة الكريمة، فقد كان الوثنيون لجهالتهم وجفائهم، يظنون أن الله عز وجل الذي يخبر عنه النبي ﷺ من جنس آلهتهم التي يعبدونها؛ من حجر، أو شجر..، فكانوا يقولون: انسب لنا ربك، هل هو من حجر، أو شجر، أو جماد، أو ما أشبه ذلك؟

فقال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾، وفي هذه الآية إشراقات:

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩٨٢)، والبخاري معلقًا في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة، والترمذي (٢٩٠١)، وابن خزيمة (٥٣٧) وابن حبان (٧٩٢، ٧٩٤)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

أولًا: فيها إشارة إلى أن العقيدة من عند الله سبحانه وتعالى؛ فهو الذي يُلَقِّنها لنبيه ﷺ، ولمن وراءه من الناس، فلا يستطيع العقل والفكر أن يدركها، مع أنه قد يستطيع أن يفهم معاني ما يتعلق بالله عز وجل؛ لكنه لا يستطيع أن يستقلَّ ابتداءً بتقرير هذه المعاني وإدراكها والوصول إليها، كما قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢].

بينما يَشِطُّ الجدل العقلي الفلسفي بالإنسان بعيدًا في مجادلات ومتاهات، لا تأتي بطائل، وقد علم الله أنه سيكون في الفلاسفة والـمُنَظِّرين من تَشْطَح به الفكرة، ويغلو في الفناء حتى يتماهى عنده المخلوق بالخالق، ومن هنا جاء نداء الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

وقد أوضح الله صفاته بما لا لبس فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]؛ لئلا تذهب الأوهال والأوهام والخواطر إلى شيء من المغالطة أو اللبس، كما وقع لأصحاب الحلول والاتحاد، فسبحان الله اللطيف الخبير وتعالى.

ثانيًا: فيها إشارة إلى تَشَبُّع النبي ﷺ بهذه المعاني، وإن كانت في الأصل وحيًا من عند الله عز وجل ابتداءً؛ إلا أن قلب النبي ﷺ تَشرَّبها وآمن بها.

فحينما يقولها النبي ﷺ فإنه يقولها وقد امتلأ بها فؤاده، وفاضت بها نفسه، ثم تكلم بها لسانه ﷺ، وتواطأ ظاهره وباطنه!

ثالثًا: إشارة إلى تزكية النبي ﷺ، وإيمانه بهذه المعاني، كما أخبر عنه ربه عز وجل.

رابعًا: أن قوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾ بمعنى: (واحد) إشارة إلى وحدانية الله تبارك وتعالى، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرًا.

وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ أبلغ من (واحد)، وإن كانت بمعناها، فالله تعالى أحد في ربوبيته، له الخلق، وله الرزق، وله الحياة، وله الموت.

«**الواحد**» لا ثاني له، فهو في الأعداد، و«الأحد» لا شبيه له، فهو في الصفات والأفعال.

فليس هناك من يشارك الله عز وجل في مثل هذه الأمور، وإنما قد يقع لبعض البشر الذين تغيب عنهم أنوار الرسالة، أن يشعروا بالخوف من الصواعق أو من الرياح أو الأعاصير أو البحار، أو غيرها؛ فينسبوها لبعض الآلهة الـمُتَخَيَّلَةِ عندهم، وإلا فإنه لم يَدَّعِ أحد قطُّ أن له شركة مع الله سبحانه وتعالى في خلق الكون وإبداعه، وابتكاره على غير مثال، فهو الواحد في ربوبيته، وملكه، وتدبيره.

وهو الواحد في ألوهيته، المستحق للعبادة وحده جل وعز، فلا يُعْبد بحق إلا الله سبحانه وتعالى، الذي تُصْرَف له مشاعر القلب، وحاجات النفس، وحركة العقل والجوارح!

وهو الواحد في أسمائه وصفاته؛ له من الأسماء ما لا يتسمَّى به الخلق؛ كالله والرحمن!

وله الأسماء التي قد يتسمَّى بها الخلق، لكن لا يشابهونه فيها، كما قال عن نفسه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٣-٤].

فلا أحد من الخلق يقاس بربه عز وجل، ولا يقاس الله تعالى بأحد من خلقه، فلا شبيه له ولا نظير، ولا نِدَّ ولا كفؤ، ولا مثيل ولا سَمِيَّ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

فله من الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ ومن الكمال والجمال والجلال، والعظمة والمجد والكبرياء، ما لا يُشْبِهُه فيه أحد من خَلْقه!

إن الإنسان ينظر إلى الكون، وبعض ما خلق الله فيه؛ فيتحيَّر، ويعجز أمامه، فكيف بعظمة مَنْ هذا خَلْقُه.

تأمَّل في خِلالِ الأرضِ وانظرْ ... إلى آثارِ ما صنعَ المليكُ
عيونٌ من لُـجَيْنٍ شاخصاتٌ ... بأحداقٍ هي الذَّهبُ السَّبيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهِداتٌ ... بأنَّ اللهَ ليس له شَريكُ

إن الله سبحانه وتعالى حينما يصف نفسه في القرآن، أو يصفه رسوله ﷺ في السنة، فذلك يكون على سبيل الإثبات الـمُفَصَّل والنفي المجمل، فإذا كان المقام مقام إثبات الكمال لله عز وجل من الأسماء والصفات والأفعال الجميلة العظيمة؛ فإن ذلك يكون بتفصيل وتطويل، وليس باقتضاب ولا إجمال، بينما إذا كان المقام مقام نفي النقائص

والعيوب فإنه يختصر، وهذا أمر معروف مألوف؛ لأنه من مقتضى الإيمان بالله عز وجل والتَّأَدُّب معه.

ولو أنك مدحت إنسانًا بأنه ليس بخيلًا ولا أحمق ولا فاجرًا؛ لربما قال الناس: ما هذا المديح الذي هو أشبه بالذم منه بالثناء؟

والقاعدة العامة الغالبة: أن القرآن والسنة يكون فيهما إثبات مُفَصّل لصفات الجمال والجلال والكمال لله عز وجل، ويكون فيهما نفي مُجْمَل، أما النفي الـمُفَصَّل فإنه يكون لسبب؛ فينفي الله سبحانه وتعالى عن نفسه ما قد يصفه به بعض خلقه، كما تجد في بيئات لم تتنوَّر بأنوار الرسالة، ولم يكن فيها علم ولا هُدى ولا كتاب منير، ربما يؤمنون بربهم ويوحدونه أيضًا؛ لكنهم ينسبون إليه ألوانًا من النقص.

كما كان اليهود يَدَّعُون أن الله سبحانه وتعالى أدركه التعب والإعياء من خلق السموات والأرض، فاستراح يوم السبت، ولهذا قال الله عز وجل رادًّا عليهم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]، فنفى ما كان يزعمه اليهود في حقه سبحانه وتعالى.

وهكذا عندما قالوا: ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، والنصارى عندما قالت: ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، فنفى ذلك عن نفسه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون:٩١]، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص:٣].

فيكون النفي هنا لبعض النقائص والعيوب التي ينسبها بعض الخلق إلى الله تبارك وتعالى، أو يكون ذلك بسبب سؤال معين من جاهل يستفهم، وليس عنده في ذلك إدراك.

إن هذه السورة القصيرة الوجيزة؛ التي هي بضع آيات، وهي من أقصر سور القرآن الكريم، هي من أعظمها دلالة ومعنى؛ لأنها تمحَّضت في تقرير العقيدة، والتعريف بالله عز وجل، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

وحَرِيٌّ بالمؤمن أن يقرأها، ويتأمل معانيها، ويقف عندها؛ إجلالًا لعظمة الله عز وجل وكبريائه ومجده.

○ ○ ○ ○

الله الصمد

من أسماء الله سبحانه وتعالى: «**الصمد**»، كما قال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص:٢].

وهذا الاسم لم يَرِد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، بينما ورد في غير ما حديث عن النبي ﷺ؛ منها حديث: (الاسم الأعظم)، فعن بُرَيْدة بن الحُصيب رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو، وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**»[(١)].

ومن معاني «الصمد»: الرب، المالك، المدبِّر؛ فهو مالك الأشياء، ومدبِّرُها وربُّها.

ومن معاني «الصمد»: السيد الذي يتوجَّه إليه الناس بحاجاتهم، ويقصدونه في أمورهم. أي: يصمدون ويتوجهون إليه فيما يحتاجونه.

ومن معاني «الصمد»: الكامل. أي: أن لله سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات أكملها وأوفاها، فلا يعتري أسماءه وصفاته نقص بوجه من الوجوه؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره وبيان معناه: «السيد الذي قد كمُل في سؤدده، والشريف الذي قد كمُل في شرفه، والعظيم الذي قد كمُل في عظمته، والحليم الذي

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٧٤)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٨٩٢)، والحاكم (١/ ٥٠٣-٥٠٤)، وغيرهم.

قد كمُل في حِلمه، والغني الذي قد كمُل في غناه، والجبار الذي قد كمُل في جبروته، والعالم الذي قد كمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته، لا تنبغي إلا له»[1].

ومن معاني «الصمد»: الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، ويحتاج إليه كل أحد.

ولذلك فالله عز وجل لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوقون، فالمخلوق يحتاج إلى الأكل والشرب والنوم، بينما الله عز وجل في غنى عن ذلك كله، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤].

وفي قراءة الأعمش: (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يَطْعَمُ)[2]. أي: لا يأكل.

فالله سبحانه وتعالى يُطْعِم عباده ويرزقهم ويُقيتُهم ويغيثهم، ولكنه لا يُطْعَم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

لم يخلق الخلق؛ ليتكثَّر بهم من قلة، ولا ليتعزَّز بهم من ذِلَّة، وإنما خلقهم ليعبدوه، وليبتليهم ويختبرهم.

فلله سبحانه وتعالى الكمال المطلق والغنى التام، فلا يحتاج إلى شيء، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ومن معاني «الصمد»: أنه سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فله من الكمال في صفاته وأسمائه والمجد والعظمة ما لا تَحُدُّه اللغات ولا تحيط به العقول.

وفي هذه الآية العظيمة ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ معانٍ وأسرار نذكر منها الآتي:

أولًا: أن العبد إذا كان يؤمن بأن لله الغنى التام، وبيده كل شيء، والأمر إليه، وهو السيد الذي يُقْصَد في الحاجات، كان لجوؤه وافتقاره إليه وحده، ولذلك قال ابن عباس

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٧٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٩٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٨).

(٢) ينظر: معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (٢/ ٣٩٥).

رضي الله عنهما: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات؛ احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظِ اللهَ تجدْه تُجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجَفَّتِ الصحف**». حديث حسن صحيح، رواه أحمد، والترمذي، وغيرهما[1].

إن هذا التوجيه النبوي الكريم صدر لشاب يافع في مُقْتَبَل عمره، وهو خليق أن يكون توجيهًا لكل أحد، فحينما يشعر بالحاجة، فإنه يستعين بالله تبارك وتعالى، ويتوجَّه إليه بسؤاله في حاجاته، ومُلِمَّاته، ورغبته ورهبته، وخوفه ورجائه، ويقظته ومنامه، وأمور دينه ودنياه، وصغير أموره وكبيرها، حتى يسأل الإنسان ربه كل شيء: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:٢٠١]، ومع أن الإيمان يمنحه طاقة وحيوية في العمل والإنتاج والصبر والمحاولة، إلا أنه يعطيه ثقة في ضميره، وطمأنينة في قلبه، واستعدادًا؛ لتحمل النتائج والصدمات، وصلة بربه؛ لتكميل ما عجزت عنه الحيل والأسباب.

ثانيًا: أن الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى ليس مجرد ترديد باللسان، أو كلام يقوله الإنسان، وإنما يتحول منهجًا يُسيِّر حياة المرء، ويوجهها الوجهة السليمة، ويغرس في المؤمن العزة والأنفة، والرجولة والاستغناء.

ولا شك أن الإنسان يحتاج إلى الآخرين، كما يحتاج الآخرون إليه، والناس بعضهم لبعض خدم، وإن لم يشعروا بذلك، لكن فرق بين تعاون على برٍّ وتقوى، أو تعاون بمقتضى الطبيعة، يكون الإنسان فيه محفوظ الكرامة، موفور الرجولة قويًّا، وبين أن يخضع الإنسان لغير الله عز وجل، أو يذل نفسه، أو يبالغ في الطلب من هذا أو ذاك، أو يريق كرامته من أجل غرض أو مطمع، أو دنيا أو رتبة، أو وظيفة أو ترقية، أو ما أشبه ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/ ٥٤١)، والبيهقي في الشعب (١٠٠٠٠)، وغيرهم.

إن هذا يتحقق للمؤمن الذي شام قلبه معنى الصمديَّة، فعرف أن الله سبحانه وتعالى هو الذي تَصْمُد إليه الخلائق في حاجاتها، وتتوجَّه إليه في ضروراتها.

ثالثًا: أن الإنسان إذا ألَـمَّتْ به مُلِمَّة، أو نزلت به نازلة، أو حلَّت عليه مصيبة، فتوجَّه بقلبه إلى ربه تبارك وتعالى، وهتف بلسانه من قلب صادق، وقال: يا صمد! يا صمد! يا صمد! عندها سيكون لهذا النداء وهذه الاستغاثة بالله عز وجل يقين في القلب ورضى بالله، وثقة بوعد الله سبحانه وتعالى، وبسرعة الفرج وقربه.. الشيء الكثير.

بينما إذا سأل الناس ربما أعطوه أو منعوه، وفي كل الأحوال لا شك أنه سأل إنسانًا مثله ونظيره، بينما الله سبحانه وتعالى يدعونا إلى أن نسأله، ونتوجَّه إليه، ونبتهل إلى جلاله وعظمته.

أمام بابِكَ كلُّ الخَلْقِ قد وَفَـدوا ... وهم ينادون: يا فتَّاحُ يا صَمَـدُ
فأنت وحدَك تُعطِي السائلينَ ولا ... يُرَدُّ عن بابك المقصودِ مَنْ قَصَـدوا
والخيرُ عندَك مبذولٌ لطالبه ... حتى لِـمَنْ كفروا حتى لِـمَنْ جَحَـدوا
إنْ أنت يا رَبِّ لم ترحم ضَرَاعَتَهم ... فليس يرحَمُهم مِنْ بينهم أَحدُ

رابعًا: أن العبد محتاج إلى أن يستشعر عظمة هذا الاسم الشريف، وأن يمرره على قلبه ولسانه:

أتيناك بالفقر يا ذا الغِنى ... وأنت الذي لم تَزَلْ مُحْسِنًا
وَعوَّدْتَنَا كلَّ فضل عسى ... يدومُ الذي منك عَوَّدْتَنَا
فما في الغِنى أحدٌ مثلُكم ... وفي الفقرِ لا عُصْبةً مثلُنا
وأنت هو الصمدُ الـمُرتَجى ... فياليتَ شِعري أنا مَنْ أنا
إذا كنــتَ فـي كــلِّ حــالٍ معي ... فعمَّا سِوَاك أنا في غِنـى
مساكينُك الشُّعْــثُ قـد وَهُـوا ... بحبِّك إذْ هو أقصى الـمُنــى

إن الحيوانات أو الوحوش في الغابة قد يكون لديها من القوة أو الضخامة أو البطش، الذي لا يتسنى للإنسان الحصول عليه، لكن الله تعالى ميَّز هذا الإنسان بالعقل الذي ركَّبه فيه! وبالتكليف الذي أناطه به! وبالوحي الذي خوطب به.

ومن ذلك: التعريف بالله عز وجل، فإذا تخيل الإنسان ضعفه الشديد، وأنه ذرة تائهة صغيرة، كيف يمكن أن تقاس إلى العوالم والأملاك والأفلاك والمخلوقات.. وجد أنه لا شيء!

فإذا عرف الله سبحانه وتعالى وتلا كتابه، وآمن به وتوجَّه إليه.. حصل من جَرَّاء ذلك أن يذكر الله عز وجل، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور:٣٦]، فمجرد إذْن الله تعالى لي ولك أن نذكره، شرف عظيم!

❍ ❍ ❍ ❍

الله المقتدر، القدير، القادر

القَدْر والقُدْرة والـمِقْدار: القوة، والاقتدار على الشيء: القدرة عليه، وقَدَرْتُ الشيء: أَقْدُرُه قَدْرًا، من التقدير، وفي الحديث: «**فإن غُمَّ عليكم الهلال فاقدروا له**»[(١)]. أي: أتموا الثلاثين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]؛ أي: ما عظَّموا الله حق تعظيمه.

و«**القدير**»: أبلغ في الوصف بالقدرة من «القادر»، و«المقتدر»: مِن اقتدر، وهو أبلغ.

وقد ورد اسم الله «**القادر**» سبحانه اثنتي عشرة مرة، خمسٌ منها بصيغة الجمع، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:٩٥]، وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]، وقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣].

وورد اسم الله «**القدير**» سبحانه خمسًا وأربعين مرة، منها قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠).

﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩]، وقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة:٤٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

وورد اسم الله «**المقتدر**» في قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]، وقوله: ﴿أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ﴾ [الزخرف:٤٢]، وقوله: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢]، وقوله: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:٥٥].

والله هو القادر على كل شيء، لا يُعْجِزه شيء، ولا يفوته مطلوب، بخلاف خلقه، فهو سبحانه لا يتطرَّق إليه عجز، ولا يعترضه فتور.

و«**القادر**» هو المُقَدِّر، مِنْ قَدَرْتُ الشيء: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣]، أي: المُقَدِّرون.

و«**القادر**» سبحانه هو من يتيسر له ما يريد على ما يريد؛ لظهور أفعاله، ولا يظهر الفعل اختيارًا إلا من قادر غير عاجز، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:٢٠]، فوصف نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ لأنه حذَّر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه محيط بهم.

و«**القدير**» هو «القادر»، كما أن «العليم» هو «العالم».

و«**القدير**» هو القوي الذي يقوى على الشيء ويقدر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦].

فهو قادر على تعويض ما نُسِخ من أحكامه وغيرها مما هو خير لنبيه ﷺ وعباده من المؤمنين في الدنيا والآخرة.

و«**القدير**» سبحانه هو التَّامُّ القدرة، الذي لا يُلابس قُدْرَته عجزٌ بوجه من الوجوه.

وهو القديرُ وليس يُعْجِزُه إذا ما رامَ شيئًا قطُّ ذو سلطانِ

و«**القدير**» سبحانه هو كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحي ويميت ويبعث العباد للجزاء، وبقدرته سبحانه يُقَلِّب القلوب على ما يشاء ويريد.

و«**الـمُقْتَدِرُ**» هو الله ذو القوة المتين، المقتدر على ما يشاء.

و«**الـمُقْتَدِرُ**» مبالغة في الوصف بالقدرة.

وقد دأبنا في هذه المدونة على جمع الأسماء المتفقة في أصل الاشتقاق في سياق واحد؛ لأنه أدعى إلى فهمها، والتفريق بين معانيها، وبعض العلماء يعدُّها كالاسم الواحد، والله أعلم.

الله المقدم، والمؤخر

جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يدعو بـ: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جِدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير**»(١).

وجاء ذلك من حديث ابن عباس، وعلي رضي الله عنهم(٢).

ومن معنى هذين الاسمين: أنه سبحانه يقدِّم ما شاء، ويؤخِّر ما شاء، ويدخل في ذلك التقديم والتأخير القَدَري في المقادير والوقائع، والتقديم والتأخير في الشرائع، في مواقيتها وأحكامها؛ كتقديم الوضوء على الصلاة، والطواف على السعي، وبعض الأيام على بعضها، وفي الأشخاص أيضًا، فيضعهم في منازلهم حيث شاء، ويقدم من شاء، ويؤخر من شاء، لا رادَّ لحكمه، ولا مُعقِّب لقضائه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:٣٢].

ومن المعاني: أنه يقدِّم من شاء لطاعته ورضوانه، ويؤخِّر آخرين إلى معصيته وعقوبته، وهو أعلم، كما قال: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٧].

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٩٨)، صحيح مسلم (٢٧١٩).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (١١٢٠)، وصحيح مسلم (٧٧١).

وهذا يدل على ضرورة مراعاة الأَوْلى والأفضل والأحق بالتقديم في الأفعال والأقوال والشرائع والأشخاص.

والاسمان متلازمان، فلا يُذْكر أحدهما إلا مع الآخر، كما جاء في السنة النبوية، فهو كالنافع والضار، ونحوهما، والله أعلم.

○ ○ ○ ○

الله الأول، والآخر

من أسمائه جل وعز: «**الأول**»، و«**الآخر**»، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد:٣]، فهو سبحانه وتعالى قبل كل شيء بغير بداية، وهو آخر بعد كل شيء بغير نهاية!

والبعض قد يُطلقون على الله سبحانه وتعالى اسم (القديم)، وهذا قد يُطْلَق على سبيل الخبر، لكنه ليس من أسماء الله تعالى الحسنى، وإن كان جاء في دعاء النبي ﷺ، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهِه الكريم، وسلطانِه القديم، من الشيطان الرجيم**»[(١)]. لكن هذا من باب الخبر عن الله تعالى، واستخدامُ اللفظ القرآنيِّ الربانيِّ الثابت في النصوص الكثيرة وهو «الأول» أولى وأفضل.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**أنت الأولُ، فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِرُ، فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظاهرُ، فليس فوقَك شيءٌ، وأنت الباطنُ، فليس دونَك شيءٌ، اقض عنا الدَّيْنَ، وأَغْنِنَا من الفقر**»[(٢)].

إن ما رُكِّبَ في الإنسان من نقص وعجز في النظر يجعله أحيانًا يقع في أشياء من الوسوسة فيما يتعلق بأوليَّة الله تعالى، وكما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

رسول الله ﷺ: «**لا يزالُ الناسُ يتساءلون حتى يقال هذا**[١]: **خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فمن خَلَقَ اللهَ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا، فليقلْ: آمنتُ بالله**»[٢].

فيذكِّر نفسه، ويتذكر بأن الأمر متعلق بالإيمان بالله عز وجل، والتسليم المطلق له، والإيمان بنبوة الأنبياء وبرسالاتهم، وبما جاء عن الله في كتابه، وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، وأنه لا مدخل للعقل في ذلك بحال من الأحوال.

وفي بعض الروايات: أن النبي ﷺ أمر أن يقرأ سورة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٣]، حيث فيها قوله عز وجل: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾؛ إشارة إلى أن الله تبارك وتعالى له من الكمال والجمال والصفات العليا ما لا يدركه عقل، ولا يحيط به حَدٌّ، بخلاف البشر؛ فإن لهم بداية تكون بالولادة، ولهم نهاية تكون بالوفاة، وهم فروع وأصول، وآباء وأبناء، ولكن ربما قاس كثير من البشر -لسذاجتهم، وقلة إدراكهم، وضعف عقولهم- الأشياء كلها على ما يعرفون.

إن العقل البشري يتخيل، ويعتمد في تخيله على بعض ما أَلِفَهُ وعرفه، ولا يستطيع أن يدرك الأشياء الكلية المطلقة، ولله تعالى المثل الأعلى في السموات والأرض!

قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ثم عقب ذلك بقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:٤]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤]، وهكذا يجب على العبد أن يؤمن بالله تبارك وتعالى.

وجاء في رواية للحديث السابق أنه ﷺ قال: «**فليستعذْ بالله وليَنْتَهِ**»[٤]. أي: ينهى نفسه عن مثل هذا الأمر، ولا يسترسل وراءه؛ فإنه لا طائل من مثل ذلك، فالله تعالى لا تدركه الأوهام، ولا يشبه الأنام، وقصارى ما يملكه العقل البشريُّ أن يؤمن بالله تبارك وتعالى؛ فإن العقل يملك ذلك ويستطيعه، بل العقل لا يملك إلا ذلك، فلو أُكرِه

(١) يعني: حتى يقال هذا القول. ينظر: فتح الباري (١٣/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

على الكفر بالله سبحانه أو الجحود له، لكان يتهرب من مثل هذا المعنى.

وقد كانت الشيوعية تجعل الإلحاد مذهبًا قسريًّا، وتفرضه على الناس بقوة الحديد والنار، وكان الناس يهربون من ذلك إلى الإيمان بالله سرًّا، وكان البشر الأحرار يَفِرُّون من هذا الجحيم، ويتجاوزون ذلك السور الحديديَّ الأحمر؛ ليعلنوا إيمانهم بالله عز وجل.

إن العقل البشريَّ لا يملك إلا أن يؤمن بالله ويعظِّمه، ويؤمن برسالاته، ويصدِّق ما جاء عن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ثم يعبد الله تبارك وتعالى؛ لأنه هو الحكيم الذي لا يَدَعُ خلقه دون أن يرشدهم لحكمةِ خَلْقِهم، وهي: أن يعبدوه سبحانه وتعالى، ولا يشركوا به شيئًا، قال جل شأنه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

فالعقل يدرك ذلك كله، ولكنه لا يستطيع أن يحيط بالله علمًا، كما لا يستطيع أن يحيط بأسمائه ولا بصفاته، ولهذا كانت مهمة الأنبياء والمرسلين: التعريف بربِّ العالمين جلَّ وتعالى، ورَسْمَ صور العبادة التي يتعبَّدُ بها البشر لربِّهم؛ لئلا يكون ذلك مَدْخَلًا إلى أن يجتهد الناس بألوان من التعبد لله تعالى مما لم يشرعه عز وجل، ولم يأذن به.

فهو سبحانه الأول قبل كلِّ أَوَّلِية، ليس له بداية، وليس قبله شيء، وهذا المعنى المتعلق بربَّانيَّته مما ينقطع الوصف والإدراك عن الإحاطة به، ولكن لا يعجز العقل والقلب عن الإيمان به، والعجز عن درك الإدراك إدراك.

والله تبارك وتعالى هو الآخِر؛ فهو الباقي بعد كل شيء بلا زوال ولا انتهاء، ولذلك فهو الوارث، وهو خير الوارثين، كما قال سبحانه وتعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٩].

وكما أنه سبحانه وتعالى أَزَلِي بلا بداية، فهو كذلك أبدي بلا نهاية، وأما المخلوقات فلها بداية، ولذلك كان لها نهاية.

قال تعالى عن الشمس: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس:٣٨]، فهذا الكوكب الضخم الهائل الكبير، الذي يعتبر صغيرًا، وحديث الولادة بالقياس إلى الأجرام والمجرات والأفلاك التي هي أقدم منه، ومع ذلك فإن لها ولغيرها من

مخلوقات الله تبارك وتعالى نهاية تصير إليها.

إن الألوهية معنى عظيم يكبر به الإنسان ويسمو ويحلِّق، لكن شريطة ألا يقتحم أسوارها، ولا يتخيل أسرارها، ولا يقيسها بقوانين المادة والفيزياء البشرية.

فكيف تدركه العقول وهي بعض خلقه؟!

لقد انقطع الوَهْم، وغَشِي البصر، وخَرِس اللسان.

إنه مقام قهر العقل عن الامتداد والجموح.

إنه مقام إحجام النفس عن الولوج في هذه المتاهات، ومخاطبة العقل بقانون العقل نفسه، حتى لا يتعرض للخداع والتضليل، فيتوقف أحيانًا ويتردد أحيانًا أخرى، فما له وللاسترسال وراء هذه المهالك، والبِيْد البعيدة، التي لا مجال له فيها، ولا طاقة له بها.

فليسرح العقل في مجاله، في الآفاق والكون والنفس، وفيما خلق الله عز وجل، وليكتشف قوانين المادة، وليُسَخِّرْها في خدمة الإنسانية على وفق ما يرضي الله عز وجل.

ولهذا الاسم العظيم دلالات، منها:

أولًا: أن يعرف المرء أن خير ما يدخره لنفسه في دنياه وآخرته هو ما أريد به وجه الله تبارك وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦ - ٢٧].

فإن هذه الدنيا كتب عليها الفناء لا محالة، ولكن الخلق سائرون إلى الله، ويبقى من أعمالهم ما أريد به وجه الله عز وجل؛ فهذه إحدى دلالات الآية ومعانيها، أو أنه يبقى ما أريد به وجه الله سبحانه وتعالى من الأقوال والأعمال والأحوال وغيرها، مما ينفع العبد في الدار الآخرة.

فيستحضر العبد إرادة وجه الله سبحانه فيما يعمله، ويستحضر إرادة الدار الآخرة، والإقبال عليها، وألا يعمل من أجل الدنيا، بل يُؤْثِر الآخرة عليها، كما قال الله سبحانه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

ثانيًا: إدراك حتمية الزوال والرحيل؛ فأنت الآن في عز شبابك وفُتُوَّتك، فإما أن تموت على هذا الحال شابًّا، وإما أن تهرم وتشيخ ثم تموت، إنهما أمران لابد لك من أحدهما.

يقول الشاعر المعذَّب بدر شاكر السياب:

الداءُ يُثْلِجُ راحتَيَّ، ويطفئُ الغدَ في خيالي
وَيَشِلُّ أنفاسي ويطلقُها كأنفاسِ الذُّبَالِ
تهتزُّ في رئتين يرقصُ فيهما شبحُ الزوالِ
مشدودتين إلى ظلام القبر بالدم والسُّعالِ

هذه هي النهاية التي كتبها الله سبحانه وتعالى على العباد؛ فهو المتفرد وحده بالبقاء الأبدي السرمدي، فهو الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، ومن فضل الله تبارك وتعالى أن كتب للمؤمنين المخلصين الصادقين الخلود في جنات النعيم ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].
اللهم اجعلنا من المتقين.

○ ○ ○ ○

الله الظاهر، والباطن

من أسمائه سبحانه: «**الظَّاهر**»، و«**الباطن**»، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣].

وكان النبي ﷺ يبتهل ويتبتل إلى ربه تبارك وتعالى فيقول: «**اللهم ربَّ السموات، وربَّ الأرض، وربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كل شيء؛ فالقَ الحبِّ والنَّوى، ومُنْزِلَ التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ، أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخِر، فليس بعدك شيء، وأنت الظَّاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدين، وأَغْننا من الفقر**»[1].

فالله سبحانه وتعالى هو الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن.

مع الله في السرِّ مما خَفَى ... مع الله في الجهرِ مما ظَهَر
مع الله في تَرْكِ ما قَدْ نهى ... مع الله في طَوْعِ ما قد أَمَرَ
مع الله في وَعْظِ قلبٍ طغى ... وأنَّ له في الورى مُزْدَجَر

«**الظَّاهر**» هو العَليُّ الأعلى سبحانه وتعالى؛ العلي فوق كل شيء.

فهو عليٌّ بذاته، عليٌّ بصفاته، عليٌّ في قهره، وقدره، وعظمته، وسلطانه!

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه في سبعة مواضع من كتابه العزيز بأنه على العرش استوى، قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦]، وقال عن نفسه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠]، فالملائكة يخافون ربهم تبارك وتعالى مِنْ فوقهم.

وقد شرع الله تعالى للعبد في سجوده أن يقول: «سبحان ربي الأعلى»، فإذا عَفَّرَ الإنسان وجهه بالتراب، وجعل أعز ما فيه- وهو حُرُّ جبينه- في الأرض اعترافًا بعظمة الخالق المبدع الحكيم جل وتعالى، وتألُّهًا له وتعظيمًا وعبودية؛ فإن الدعاء المشروع له حينئذ أن يقول: «سبحان ربي الأعلى»، إشارة إلى أن العبد قد خرَّ إلى الأرض؛ تواضعًا لعظمة الجبار المتكبر جل وعز، فَيُثْني عليه العبد وينزِّهه عن كل ألوان النقص والعيب، ويصفه بالعلو والمجد.

ومن معاني «الظاهر»: الذي ظهر للعقول وقهرها بحججه، وبراهين وجوده، وأدلة ربوبيته، ومظاهر وحدانيته سبحانه وتعالى.

ومن معاني «الظَّاهر»: القوي الغالب، المنتصر الذي ينصر أولياءه، وينصر دينه، وينصر الحق مهما تطاول ليل الظلم والبغي والعدوان؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤]، وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

فدين الله سبحانه ظاهر، والحق ظاهر بالحجة والبرهان، وهو أيضًا ظاهر بالقوة والقدرة وفق حكمة الله وإرادته ومشيئته، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، ولا شك أن النصر ليست صورته الوحيدة هي الغلبة في المعركة؛ فإن الإنسان ربما انتصر في المعركة في ظاهر الأمر، لكنه دُحِرَ وانهزم من حيث لا يحتسب ولا يتوقَّع.

إن النصر ليست صورته الوحيدة أن يحصد الإنسان انتصارًا سريعًا عاجلًا، بل

النصر له سنن ونواميس ودلائل واعتبارات كثيرة.

وعلى الإنسان أن يعلم أن الله لا يخلف الميعاد: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، والمؤمن أحيانًا يكون ظاهرًا قويًّا عزيزًا، ولو لم يكن هو المتغلِّب على كل الأشياء.

إن الهزيمة التي بُلِيَت بها الأمة الإسلامية في كثير من دولها وأوضاعها وأحوالها هي هزيمة داخلية نفسية، قبل أن تكون هزيمة خارجية، والهزيمة الخارجية هي صدى للهزيمة النفسية، والإحباط الداخلي.. ومع ذلك كله؛ فإنك تجد لهذا الدين سطوعًا، وانتشارًا وقوة، وتأثيرًا إعلاميًّا ومكاسب جديدة، وأنصارًا ومساحات يأخذها يومًا بعد يوم.

الكل يدرك أن هذا الدين له بقاء وتأثير من خلال ما يقرؤونه من التقارير والإحصائيات والأرقام عن الذين يُعلنون اختيارهم لهذا الدين، لا طمعًا في مَغْنَم أو رِبْح، ولكن استسلامًا للحقيقة.

وإذا كانت الدوائر الـمُغْرِضة تشيد بأفراد قلائل اختاروا الكفر على الإيمان؛ طمعًا في جاهٍ أو مجد أو جنسيَّة أو مصلحة سياسيَّة؛ فإن التقارير الرسميَّة الإعلاميَّة والأمميَّة تتحدَّث عن الآلاف من الأكاديميين والعلماء الراسخين، وأصحاب النفوس الحرة والقلوب الصافية، ممن قفزوا فوق الحواجز وأعلنوها صريحة: آمنا بربِّ العالمين، ربِّ موسى وهارون، وإبراهيم وعيسى، ومحمد، والنبيين والمرسلين، ورب الطيبين.

فيا رب لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك حاكمنا، وإليك خاصمنا، فاغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أعلنا وما أسررنا وما أسرفنا، وما أنت أعلم به منا، أنت الـمُقَدِّم، وأنت المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير.

ومن معاني اسم الله: «الباطن»:

أي: الباطن عن إدراك الحواس: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

إنه جل وعلا الباطن عن بلوغ الخيال؛ فمهما أطلق الإنسان لخياله العنان، ومهما تخيَّل وخطر بباله من الصور والخيالات عن الله عز وجل، فإن الله تعالى بخلاف

ذلك، ولهذا قال بعض العلماء: «كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك». وهذه الكلمة تقطع كثيرًا من الأوهام والوساوس التي تؤذي بعض الصالحين وتقلقهم وتزعجهم، وربما حرمتهم لذَّة العبادة، بل لذَّة العيش والنوم، وأحدثت عندهم ألوانًا من القلق والريب والشك، ولو أن الإنسان أدركها وتفطن لها؛ لعلم أنه لا قيمة لها، إذا غفل عنها وتجاوزها.

فليعلم المؤمن أن كل ما يخطر بباله من الخيالات والأوهام والصور لا يمكن أن تكون لله عز وجل؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأوهام، ولا تصل إليه العقول، ولا يمكن أن تتصوره النفوس.

إن هذه الصور التي ترتسم في الذهن هي من وحي النفس، أو من وحي الشيطان، ولذلك لا عبرة بها، ولا قيمة لها، سواء حسنت أو قبحت.

إن الله سبحانه وتعالى ظاهر الوجود بالعقل، ظاهر بالحجة والشرع، ومع ذلك فإنه باطن في كُنْهِه وحقيقة صفاته، لا تدركه الأبصار، ولا تجري عليه قوانين المادة التي اعتاد الناس أن يتعاملوا ويحتجوا ويقايسوا بها.

ومن معاني «الباطن»: الذي يعلم كل شيء، فلا يخفى عليه شيء، مهما لطف وخفي ودقَّ؛ فمع علوه سبحانه وتعالى وفوقيته، وكونه على العرش فوق السموات، إلا أنه قريب من عباده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦]، وقال: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طـه:٧].

فهو مع علوه محيط بخلقه، قريب منهم، عليم بهم، ولهذا جمع الله تبارك وتعالى بينهما في سورة طه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طـه:١-٥].

ذكر علوه سبحانه وتعالى وفوقيته، ثم قال: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طـه:٧-٨].

فذكر علمه المحيط الشامل لكل دقيق وجليل، وذكر أن له الوحدانيَّة التامَّة، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

ومن معاني «الباطن»: أن الله تبارك وتعالى له كل شيء، ويملك كل شيء، فحيثما يَمَّمْت وجهك رأيت ملكًا كبيرًا كله لله تعالى الواحد القهار.

وهكذا يتبين للعبد عظمة هذه المعاني، وهذه الأسماء التي سمى الله تبارك وتعالى بها نفسه، وذكرها في موضع واحد من كتابه في صدر سورة الحديد، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وإذا تدبَّر العبد هذه المعاني والأسماء والصفات؛ زاد إيمانًا بالله وثقة به، وقربى وزلفى إليه، وانقطع طمعه في المخلوقين، وزاد شعوره بأنه هو وغيره من الخلق مجبولون على النقص والعجز، وأنه محدود القدرة والعلم والإدراك والتفكر؛ فإن هذا العقل يحاول الإنسان أن يستكشف به كُنْهَ بعض المخلوقات المادية، فيرجع عنها خاسئًا وهو حسير، فإن العقول تستطيع أن تدرك وجوده بما بثَّ من دلائله، وتؤمن يقينًا بذلك، ولكنها لا تستطيع أن تدرك ذاته العَليَّة المقدسة، ولا أن تَحُدَّها أو تصل إلى حقيقتها، إلا أن الله تبارك وتعالى تعرَّف إلينا في كتابه بالآيات الكريمة، وفي سنة رسوله ﷺ بما يجعل العبد المؤمن يعبد ربه، ويؤمن به، ويسبحه ويذكره ويشكره، وهو يعرف كثيرًا من أسمائه وصفاته، ويتقرَّب إليه بمثل هذه الأسماء والصفات والمعاني، دون أن يقع في تشبيه الخالق العظيم بشيء من مخلوقاته، أو أن يستسلم للخواطر الذهنية الخيالية التي تنتمي إلى البشرية والمألوف، وتدفع بحقائق الإيمان ودلائل القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

○ ○ ○ ○

الله البر

جاء اسم الله «**البَرُّ**» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨].

والبِرُّ بكسر الباء: هو اسم جامع لكل معاني الصدقة والجود والخير.

و«**البَرُّ**» بفتح الباء: هو اسمه سبحانه، فهو الذي شمل الكائنات ببِرِّه وجوده، وهِبَاته وكرمه، وهو الرفيق الرحيم بعباده، يجزي بالحسنة عشر أمثالها أو يزيد، ولا يعاقب على السيئة إلا بمثلها أو يغفر، وهو العطوف المحسن، ولذا فهو يحب البِرَّ، ويحب الطاعة فهي بِرٌّ، ويحب الإيمان، ويحب بِرَّ الوالدين، وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق.

ومن آثار الإيمان باسم الله «البَرِّ»: أنه سبحانه جعل الصدق يهدي إلى البِرِّ، فهو طريق وسبيل إليه، والبر يهدي إلى الجنة[1]، وجعل في قلوب الصادقين إحساسًا ودليلًا على البِرِّ وما يحب الله، ونهى عن ضده من الإثم وما يكرهه، كما قال ﷺ: «**البِرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ، والإثمُ ما حاك في النفسِ، وتردَّد في الصدرِ، وإن أفتاك الناسُ وأفتوك**»[2].

فالقلوب الصادقة كالمرايا الصافية، تنعكس عليها الحقائق فهمًا ونورًا ومعرفة،

(١) كما في صحيح البخاري (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٠٣٥)، والدارمي (٢٥٢٣)، وغيرهما.

والقلوب الـمُشَوَّشة لا ينفع معها كلام ولا فتوى؛ لأن أجهزة الاستقبال لديها مُعَطَّلة أو فاسدة، والله بَرٌّ يحب البِرَّ، ويحب أصحاب البِرِّ في قلوبهم وأعمالهم وجوارحهم.

● الله التواب

من أسمائه سبحانه: «**التَّوَّاب**»، وقد ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة.

وكان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٨].

و«التَّوَّاب» له عدة معانٍ:

الأول: أن التَّوَّاب هو الذي شرع التوبة لعباده، وجعلها مَحْضَ تَفَضُّل منه وكَرَم وجُودٍ، ولم يكن بدلالة العقل أن الإنسان حينما يخطئ ثم يقلع عن ذنبه، أنه يُسَامَح، ويُعْفَى من هذا الذنب، إلا أن هذا كان فضلًا من الله؛ الذي شرع لعباده التوبة من الذنوب، وإن سبق منهم إصرار عليها، ووعدهم في عاجل البشرى العفو، إن تابوا وأقلعوا.

بل فَضْلُه أكثر من ذلك، حيث وعدهم أن يُبَدِّل سيئاتهم حسنات، وقد ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه في «صحيح مسلم» وغيره، في قصة الرجل الذي يُعْرَض على الله سبحانه يوم القيامة: «**فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فَتُعْرَض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا. فيقول: نعم. لا يستطيع أن يُنْكِر، وهو مُشْفِق من كبار ذنوبه أن تُعْرَض**

عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: ربِّ، قد عملتُ أشياء لا أراها ها هنا!»[1].

استذكر تلك الذنوب الكبار، بعد أن صارت في صالحه؛ لأنها أُبْدِلت حسنات، ورأى أن الله سبحانه وتعالى سوف يعطيه على التوبة منها أجورًا كثيرةً، فأصبح يطالب بها، ويتحدَّث عنها.

الثاني: الله التواب الذي يوفِّق عباده إلى التوبة، ويبعث في قلوبهم الرغبة فيها، فإن العبد لم يكن ليتوب لولا توفيق الله عز وجل له لذلك، وهو سبحانه – الذي بيده القلوب– يوفِّق من شاء من عباده، ويعينهم على التَّوَجُّه إلى التوبة؛ فتنبعث دوافع قلوبهم إلى مراجعة مسيرتهم، وتصحيح أخطائهم، والرجوع إلى جادَّة العدل، وطريق الاستقامة.

الثالث: أن الله يثبت العباد على التوبة؛ فإن العبد ربما تاب اليوم ونكث غدًا، وهكذا حتى يصبح مضطربًا، لا يستقر على حال من القلق.

فالله عز وجل من فضله أن يُوَفِّق العبد إلى الثبات على هذه التوبة والاستمرار عليها، وأن لا ينقضها، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ [النحل:٩٢]، فعليك أن تَشُدَّ يديك بحبل الله تعالى.

الرابع: أنه يقبل التوبة عن عباده، كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى:٢٥].

فيتقبَّلُها منهم ويُثِيبهم عليها، ويمحو ذنوبهم، ويكتبهم في التوابين، بل يرفع بها درجاتهم.

وللشافعي رحمه الله قصيدة، مليئة بحسن الظن بالله ورجاء عَفْوِه والطمع في رحمته، يقول فيها عند موته:

---

(١) صحيح مسلم (١٩٠)، وجامع الترمذي (٢٥٩٦).

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي | جعلتُ الرَّجا مني لعفوك سُلَّما
تعاظَمَنِي ذنبي فلما قَرَنْتُه | بعفوك ربِّي كان عفوُك أعظما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَلْ | تجودُ وتعفو مِنَّةً وتَكَرُّما
فلولاك لم يَصْمُدْ لإبليسَ عابدٌ | فكيف وقد أغوى صَفِيَّك آدما
فلِلَّهِ دَرُّ العارفِ النَّدْبِ إنَّه | تفيض لفَرْطِ الوَجْد أجفانُه دما
يُقيم إذا ما الليلُ مدَّ ظلامَهُ | على نفسِه من شِدَّةِ الخوفِ مَأْتَما
فصيحًا إذا ما كان في ذِكْرِ ربِّه | وفيما سواه في الورى كان أَعْجَمَا
ويَذْكُر أيامًا مضت من شبابه | وما كان فيها بالجَهالةِ أَجْرَما
فصار قرينَ الهمِّ طولَ نهارِه | أخا السُّهدِ والنجوى إذا الليلُ أظلما
يقول: حبيبي أنت سُؤْلي وبُغْيَتي | كفى بك للراجين سُؤْلًا ومَغْنَما
ألستَ الذي غَذَّيْتَني وهَدَيْتَني | ولا زِلْتَ منَّانًا عليَّ ومُنْعِمَا
عسى مَن له الإحسانُ يغفرُ زَلَّتي | ويسترُ أوزاري وما قد تَقَدَّما

ولقد ورد هذا الاسم العظيم «**التَّوَّاب**» في القرآن الكريم مقرونًا غالبًا بالرحيم، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وقوله: ﴿أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨]، وقوله: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

وذلك إشارة إلى أن توبته سبحانه وتعالى على عباده هي من رحمته؛ فإن التوبة هي من الرحمة، والرحمة أوسع، والتوبة أخصُّ.

وجاءت التوبة مقرونة بالتطهر، كما في قوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]؛ لأن التوبة تطهير للجنان والقلب من أوزار الذنوب، بحيث يتحوَّل القلب إلى الصفاء والنقاء، ويتألَّق ويتطهَّر بنور الإيمان، فتذهب عنه أوزاره، وتنعكس الحقائق عليه صافية ناصعة، كما أن التطهر في الظاهر

بالوضوء والغسل وما أشبه ذلك مما شرعه الله تبارك وتعالى، من الأعمال الصالحة التي تعين على التوبة إلى الله عز وجل.

ولذلك ناسب أن يشير الله سبحانه وتعالى عند ذكر الطهارة الظاهرة، إلى المعنى الآخر وهو: أن هذه العبادات من طهارة وصلاة وصيام وحج وغيرها، إنما شرعت من أجل طهارة الباطن، وهي تنعكس على قلب الإنسان إيمانًا بالله وتقوى.

ولهذا قال الله تعالى عن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وهذا لا يكون إلا إذا تحقق في الصلاة صلاة القلب وسجوده مع سجود الجوارح.

وقال عن الصيام سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، فالصوم يحقق معنى التقوى لله تبارك وتعالى.

وقال عن الزكاة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، والزكاة تتضمن معنى الطهارة من الغل، والطهارة من البخل والشحِّ والجشع والحسد، والمعاني الفاسدة المختلفة.

فإن العبادات كلها إنما شرعت من أجل طهارة القلب، ولذلك ناسب أن يذكر الله تبارك وتعالى معنى من معانيها وهو: التوبة، مقرونًا بالطهارة الظاهرة، فإن التوبة تطهير للباطن من أمراض القلوب وخطاياها.

قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

وهذا المعنى العظيم فيه إشارة إلى أهمية الاستغفار والتسبيح لله، حتى عند الانصراف من العبادة، وذلك:

أولًا: إشارة إلى أن هذا العمل هو من فضل الله عز وجل ومن نعمته.

ثانيًا: فيه اعتراف بالتقصير، حتى والإنسان يعبد ربه: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس:٢٣].

ثالثًا: فيه إشارة إلى حاجة الإنسان إلى أن يَقْبَل الله تعالى منه هذا العمل، ويُعِينه على

تكراره، ويرزقه الإخلاص فيه، ويحفظه من العُجب والإدلال على الله به، أو التَّكبُّر والتَّكَثُّرِ به؛ ولذلك كان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا، وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(١).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «لو علمتُ أن الله تقبل مني سجدة واحدة، أو صدقة درهم، لم يكن غائبٌ أحبَّ إلي من الموتِ، تدري ممن يتقبل الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]»(٢).

وعلَّمنا ربنا سبحانه وتعالى عند قضاء المناسك أن نذكر الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠].

فعلى العبد أن يختم عبادته بالاستغفار والتسبيح، فإن الله أَمَرَ نبيه ﷺ أن يختم حياته بالتسبيح والاستغفار، مع أن حياته ﷺ بعد بعثته كانت كلها جهادًا وكفاحًا وعبادة وتَعَلُّقًا بالله ودعوة إليه، ومع ذلك أمره أن يختمها بالتسبيح والاستغفار: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، فحَرِيٌّ بنا أن نختم طاعاتنا وعباداتنا بالاستغفار والتسبيح والتوبة.

وكذلك أثنى الله على المتقين بأنهم يستغفرون بالأسحار، مع أنهم كانوا قبل ذلك في صلاة وتلاوة للقرآن ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧] لم يسهروا ليلهم على معصية، ولا على ما يُلهي عن ذكر الله، ومع ذلك انقلبوا من حال الصلاة والتلاوة إلى الاستغفار، فما أحوج العبد إلى الاستغفار والتوبة بعد الطاعة، وما أحوجه إلى ذلك عَقِيب كل معصية.

والتوبة النصوح هي التوبة الصادقة الصالحة، ولها شروط:

أولًا: الإقلاع عن الذنب، فلا يقول الإنسان: تبت. أو: استغفرت. وهو لا يزال مقيمًا على الذنب ويفعله.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٤٦).

ثانيًا: الندم على ما وقع منه من هفوات ومعاصٍ.

ثالثًا: العزم الصادق على أن لا يعود إلى ذنوبه وخطاياه، وحتى لو عاد إليها؛ فإنه يجدد ذلك العزم على عدم العودة، وما التوبة إلا ندم، كما قال النبي ﷺ: «**النَّدمُ توبةٌ**»[1].

ففرق بين إنسان يفعل المعصية، ثم يندم على فعلها، ويشعر بعدها بالحسرة، وبين آخر يمضي قُدُمًا لا يبالي، يفعل المعصية، وكأنها من المباحات، وفي الحديث الآخر: «**إذا ساءَتك سيئتك، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن**»[2].

رابعًا: أن يستغفر الإنسان ربه بلسانه؛ فيقول: اللهم إني أذنبت فاغفر لي وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وقد سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ أن يعلمه دعاءً يدعو به في صلاته، فقال ﷺ: «**قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفورُ الرحيمُ**»[3].

خامسًا: رد الحقوق لأهلها إذا تعلَّق الذنب بشيء من حقوق الناس؛ فإذا تاب من غِيبَةٍ، أو من أَخْذِ مال بغير حق، أو ظلم، أو عدوان، فعليه أن يردَّ هذه المظالم إلى أهلها، وأن يتحلَّل منهم، إلا أن يخاف قطيعتهم، وخشي أن يترتب على ذلك مفسدة أعظم من قطيعة وهَجْرٍ ونزاع، فليَذْكُرهم بخير، وعليه أن يُثْني عليهم في المجالس التي اغتابهم فيها.

إن الله تعالى يغفر الذنب مهما عظم، إذا تاب العبد منه وأناب، فالله سبحانه وتعالى هو الغفور الرحيم، الذي لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا عيب أن يستره.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه الطيالسي (٣٨٠)، وأحمد (٣٥٦٨، ٤٠١٢)، و ابن ماجه (٤٢٥٢)، وابن حبان (٦١٢)، والحاكم (٤/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)، وابن حبان (١٧٦)، والحاكم (١/ ١٤)، (٢/ ١٣)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

الله الرب

وهكذا ورد الاسم الكريم في مواضع عديدة من كتاب الله، منها سورة الفاتحة:
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

و«**الرَّبُّ**»: هو الخالق، وهو المالك، وهو المدبِّر المتصرَّف.

و«**الرَّبُّ**» من التربية، ومنه قوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]، والربُّ هو الجامع الذي يجمع الناس، ولعلها من معنى ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾، فالعالم الحقُّ هو الذي يجمع الناس على الخير، ويؤلِّفهم على الدين والإيمان، ولا يستفزُّهم أو يستبعدهم.

و«**الرَّبُّ**» هو الـمُتَكَفِّل بالإصلاح والرعاية، ومنه: رَبُّ الأسرة، ورَبَّة المنـزل.

و«**الرَّبُّ**» هو العالي والسيد والـمُنْقِذ، يقال: فلان رَبَّ قومَه؛ أي: سَاسَهم فانقادوا له.

ومنه قول النابغة:

تَخُبُّ إِلى النُّعمانِ حَتَّى تَنَالَهُ ... فِدًى لك مِن ربٍّ طَريفي وتَالِدي

وفي الربوبية المعنى العام لخلقه أجمعين، فهو خالق كل شيء ومالك كل شيء، ومُدَبِّرُ كل شيء، وهو الذي يسأله مَنْ في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن.

ومنها المعنى الخاص لعباده الصالحين، فهو رب الطيبين، ورب المؤمنين بالعناية والرعاية والقبول والتسديد والمغفرة والنصرة والهداية.

بِمَن يستغيثُ العبدُ إلا بربِّهِ ومَنْ للفتى عند الشدائدِ والكَرْبِ
ومَنْ مالكُ الدنيا ومالكُ أهلِها ومَن كاشفُ البلوى على البُعدِ والقُرْبِ
ومَن يدفعُ الغَمَّاءَ وقتَ نزولها فهل ذاك إلا مِنْ فِعَالِك يا ربِّ

إن اسم «**الرب**» من الأسماء الملائمة للدعاء؛ لما فيه من معنى القدرة والرحمة والاختصاص والقرب، فالمكروب والملهوف والمستغيث والمبتهل يناجي، وينادي ربه، ويسأله، ويتضرَّع إليه، وكأنه حين يقول: (يا رب.. يا رب) -كما جاء في حديث الرجل الذي يطيل السفر أَشْعَث أَغْبَرَ[1]- كأنه يتوسَّل إليه تعالى بنعمه السابقة، وآلائه الماضية، وفضله حين بدأ بالنوال قبل السؤال.

فيا رب كما خلقتنا وأحسنت خَلْقَنا، ورزقتنا وعافيتنا وسترتنا، فأتمِم علينا نِعَمَك، وأوسع علينا رزقك، وأَدِمْ عطاياك، وادفع عنا كلَّ شرٍّ ونِقمة، وأسعدنا في الأولى والأخرى.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

الله العفو

من أسمائه سبحانه: «**العفو**»، وقد ورد هذا الاسم في الكتاب العزيز خمس مرات، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

يذنب العباد ويَغْفُلون، ويبتعدون عن الله عز وجل، ويستطيبون المرعى الوبيء في أكلة حرام، أو خلوة حرام، أو كلمة حرام، وهكذا تستفزُّهم النفوس الأمَّارة بالسوء، والشهوةُ الغالبة، أو الجليس السوء، أو وسوسة الشيطان إلى ما لا يرضي الله تبارك وتعالى، ويعلم الإنسان أنه خطأ وشرود عن الطريق المستقيم.

ولكن يرفع الله سبحانه وتعالى العقوبات عن العباد بأسباب عديدة:

الأول: رحمة أرحم الراحمين عز وجل:

التي وَسِعَت كل شيء، ومن أَفْلَتَ منها فقد هوى وغوى، وذهب في تِيْهِ الظلمات، فبرحمته سبحانه يُدخِلُ الجنَّةَ من يشاء، وبرحمته يعفو عن السيئات، ويُقِيلُ العثرات، ويجبر المنكسرين، ويؤمِّنُ الخائفين.

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً   فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ
إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ   فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ
أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعًا   فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ

وهذه الأبيات مشهورة النسبة لأبي نُوَاس في قصائد وعظية أخرى، ويقال: إن أبا العتاهية كان يقول: لي شعرٌ وَعْظٍ كثير، وبيت واحد لأبي نُوَاس أحسن من شعري كله. قيل: ما هو؟ قال:

يا كَثِيرَ الذنْبِ عفوُ الـ ـلهِ مِن ذنبِكَ أكبرْ!

إن الله سبحانه وتعالى رحيم، وهو أهل لأن يُتَّقَى، وأهل لأن يَرْحَم: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦].

أي: خليق بالعبد أن يتقيه، ويستقيم على طاعته، وهو سبحانه وتعالى أهل لأن يغفر لعباده الذين يجتهدون في طاعته وتقواه، ويعودون إليه كلما شردوا؛ ولهذا قال سبحانه تعالى في وصف عباده المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٣٥]، فهو يصف فئة من عباده الذين أُعِدَّتْ لهم الجنة، ووصفهم سبحانه وتعالى بوصف التقوى، ومع ذلك كان من صفتهم أنهم: ﴿إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فعلى العبد أن يحرص على أن لا يفقد الثقة بعفو الله سبحانه وتعالى ورحمته؛ فإن اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل أعظم من كل ذنب، فإذا استحكم اليأس والقنوط في قلب الإنسان كان كفرًا بالله العظيم، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، أي: من رحمته وبرِّه وفضله: ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فرحمته سبحانه وتعالى هي أرجى ما يكون من الأسباب، وعلى العبد أن تكون ثقته برحمة الله عز وجل أعظم من ثقته بعمله، ولهذا قال ﷺ: «**لن يُدْخِلَ أحدًا منكم عملُه الجنةَ**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

إذا اشتمَلَتْ عَلى اليَأسِ القُلوبُ ... وضاقَ بما بِهِ الصدرُ الرحيبُ
وأوطَنَتِ المكارِهُ واطمَأنَّت ... وأرسَت في أماكِنِها الْخُطوبُ
ولم ترَ لانكِشافِ الضُرِّ وَجهًا ... ولا أغنى بحيلَتِهِ الأريبُ
أتاكَ على قُنوطٍ مِنك غَوثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللطيفُ الـمُستجيبُ
وكُلُّ الحادِثاتِ إِذا تَناهَت ... فَمَوصولٌ بِها فَرَجٌ قريبُ

وقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: لَمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟! قال: «**أفلا أَحب أن أكون عبدًا شكورًا؟**»[(١)].

فمع هذا العمل العظيم والدَّأْب والشكر لله عز وجل، إلا أن النبي ﷺ بيّن أنه لا أحد يدخل الجنة بمَحْضِ جدارته واستحقاقه، وإنما برحمة الله تبارك وتعالى، وأعمال العباد تؤهلهم وتقربهم لهذه الرحمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

الثاني: الأعمال الصالحة:

فإن العبد إذا أكثر من الأعمال الصالحة غلبت على كثير من ذنوبه وخطاياه، ولهذا يقول الله جل وعلا في صفة عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨- ٧٠]. وفي الآية التي بعدها قال سبحانه: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١].

فَقيَّدَ المغفرةَ بالتوبةِ والعمل الصالح، وهكذا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة:١٦٠]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الانشقاق:٢٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

إن الأعمال الصالحة من الأسباب العظيمة التي تُرَجِّح كِفَّة الطاعة على كفة المعصية، وهذا من أعظم أسباب العلاج لمن ابتُلي بإدمانِ ذنبٍ مُعَيَّن؛ لأن هذا قَلَّما يَسْلَم منه أحد، حتى جاء في بعض الآثار أن النبي ﷺ قال: «**ما من عبدٍ مؤمنٍ إلا وله ذنبٌ يعتادُه الفَيْنَةَ بعدَ الفَيْنَة، أو ذنبٌ هو مقيمٌ عليه، لا يفارقُه حتى يفارقَ الدنيا، إن المؤمنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا توَّابًا نسَّاءً إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ**»[1].

فعلى العبد أن يحاول الإكثار من الأعمال الصالحة؛ حتى تكون سببًا في ذهاب ذنوبه واختفائها من حياته، وتُرجح كفة الطاعات والأعمال الصالحة على كفة المعاصي والذنوب.

الثالث: الاستغفار:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**من لَزِم الاستغفار جعل الله له من كل هَمٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مَخْرَجًا، ورزَقَه من حيث لا يحتسب**»[2].

وقد جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله، فشكا إليه الفقر؛ فأمره بالاستغفار، وجاء آخر فشكا إليه عدم الولد؛ فأمره بالاستغفار، وجاء ثالث فشكا له قِلَّة الأمطار، فأمره بالاستغفار، واحتج بهذه الآية على أن الاستغفار سبب من الأسباب الشرعية في تحصيل ما يريده الإنسان من خيري الدنيا والآخرة[3].

فعلى العبد أن يكون لسانه لَهِجًا بالاستغفار، لا يَغْفُل عنه بحال من الأحوال، في سرِّه وعلانيته، في تقلُّبه، وحين يأوي إلى فراشه مُدْمِنًا الاستغفار لله سبحانه وتعالى،

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٦٧٤)، والطبراني في الكبير (١١٨١٠، ١٢٤٥٧)، والأوسط (٥٨٨٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٨٠٩)، والبيهقي في الشعب (٧١٢٤). وصححه بعض أهل العلم كالشيخ الألباني رحمه الله وغيره، و ينظر: أحاديث ومرويات في الميزان لمحمد عمرو عبد اللطيف.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والبيهقي (٣/ ٣٥١)، وينظر: السلسلة الضعيفة (٧٠٥).

(٣) ينظر: فتح الباري (١١/ ٩٨).

والتمجيد والتسبيح له.

وقد سُئِل ابن الجوزي رحمه الله: أُسَبِّح أم أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور[١].

وهكذا العبد الْـمُسْرِف على نفسه بالذنوب والمعاصي، هو أحوج ما يكون إلى كثرة الاستغفار!!

الرابع: التوبة:

وهي نَدَم وإقلاع عن الذنب؛ فإن الله سبحانه وتعالى يغفر لمن تاب وأناب، وصدق في توبته إليه، وهو التواب الرحيم.

الخامس: دعاء المؤمنين:

لقد جعل الله بين المؤمنين من المودة والرحمة والأخوة ما يجعل بعضهم يدعو لبعض، ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجابة[٢]. وبذلك أُمِرَ رسول الله ﷺ، كما قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد:١٩].

واعلم أنك إذا استغفرت لهم، كان هذا سببًا لأن يغفر الله تعالى لك، وأن يغفر لهم في الوقت ذاته، فَأَشْرِكْ إخوانك المؤمنين، وأخواتك المؤمنات في دعائك، وفي استغفارك لله عز وجل.

السادس: المصائب المُكَفِّرة:

سواءً أكانت في أبدانهم من الأمراض وغيرها، أو كانت في أموالهم أو أولادهم أو أحبابهم.

فإن هذه المصائب يُكَفِّر الله سبحانه وتعالى بها عن عباده، ويرفع بها درجاتهم، وقد ابتَلى الله سبحانه وتعالى من شاء من عباده، كما في قصة أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

حتى أصبح أيوب مثلًا يُحْتَذَى في الصبر والرضا بما كتب الله تعالى.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧١، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٣٤٥).

(٢) كما في صحيح مسلم (٢٧٣٣).

إن الله عز وجل جعل حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدوة وأسوة، وما من نبي إلا وقد ابْتُلِيَ، فمنهم من اشتدَّ عليه الفقر، ومنهم من اشتد عليه المرض، ومنهم من اشتد به الحزن، ومنهم من سُجِن... إلى غير هذا من ألوان البلايا؛ التي أذن الله تبارك وتعالى أن تكون سُنَّةً في هذه الحياة الدنيا، على مقتضى حكمته سبحانه وتعالى، كما قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء**»[١].

ولذا فخليق بكل مؤمن ابتُلِيَ في نفس أو أهل أو مال، أن يرفع أمره إلى الله عز وجل، وليتذكرْ أنه (ربما صحت الأبدان بالعلل).

وقد يكون في هذه المصائب كفارات، وقد يساق العبد بها سوقًا إلى ربه عز وجل، وقد تُرْفَعُ بها درجاته، أو تُحَطُّ بها خطيئته، حتى بالشوكة يشاكها.

والعبد ليس من شأنه أن يسأل الله تعالى: لماذا؟ لأن العبد فقير محتاج، راغب إلى الرب الخالق الـمُبْدِع الحكيم العليم، الذي ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣].

ولكن العبد يتلمَّس بعض آثار رحمة الله سبحانه وتعالى وحكمته في المصائب، فإن المرض والضعف والفقر وغير ذلك من الابتلاءات المبثوثة في هذه الحياة الدنيا، إذا تأملها العاقل وجد فيها ألوانًا من الحكمة!

لكن على العاقل أن لا ينظر إلى هذه الدنيا، مبتوتة الجذور عما قبلها، مبتوتة الصلة بما بعدها؛ فإنه لا يستقيم الميزان في يد المؤمن، إلا إذا تذكَّر الدار الآخرة، وأن الْـمَرَدَّ إلى الله عز وجل، وأن المصير إليه، وأن الخلق كلهم سائرون إليه سبحانه، فحينذاك يكون في قلب المؤمن الرضا والسكينة والإيمان، وتعتدل الموازين في نفسه.

بل لو تأمَّل العاقل أثر ذلك في الحياة الدنيا؛ لرأى فيه من بديع الحكمة الشيء الكثير، سواء في تواضع الناس، أو في عقاب المنحرفين والشاردين عن هُدى الله عز وجل، أو في إسراع الإنسان إلى الخير، أو في بعده عن الظلم والعدوان، فإن من وراء ذلك الخير الكثير.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٨)، (٦/ ٣٦٩)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣، ٤٠٢٤)، وابن حبان (٢٩٠٠)، والحاكم (١/ ١٤)، (٣/ ٣٤٣)، وغيرهم.

فخليق بمن عرف ربه، وعرف ذنبه أن يَظلَّ طامعًا في رحمة الله، مهما تكاثرت سحب الذنوب حوله، وأن لا ينسى ذنبه بحال؛ فيكون كثير الاستغفار، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧].

السابع: سكرات الموت:

وهي جزء من المصائب، ولكن لها حالها الخاص، وقد كان النبي ﷺ يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموتِ سكراتٍ**»[١].

إن مثل هذه السكرات جعلها الله تعالى لحكمة، فهذه الحال هي ساعة الانتقال من الدار الدنيا إلى الدار الآخرة، فيَعْرِض للإنسان فيها من الشدة ما يجعله الله كفارة للمؤمن من ذنوبه وخطاياه، وكل ذلك من آثار عفو الله ومغفرته.

الثامن: أهوال القيامة:

فإن فيها تطهيرًا وتكفيرًا وتمحيصًا لذنب العبد أو تفريطه؛ لما يقع فيها من الرَّوْع والذهول والمخاوف التي أشارت نصوص الكتاب والسنة إلى شيء منها.

التاسع: شفاعة الشافعين:

فإن الله تعالى يأذن لمن يشاء من عباده في الشفاعة من الرسل والأنبياء، والشهداء والصديقين والصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].



(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

● الله الرؤوف

جاء اسم الله «**الرؤوف**» في عشر آيات مقرونًا ومفردًا، قال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال: ﴿ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٠]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧].

وغالبًا ما يقترن اسم الله «**الرؤوف**» بالرحمة؛ مما يدل على أن كلًا منهما عند الاقتران محمول على معنى خاص.

قال أبو عبيدة: (الرأفة أرق من الرحمة)[١].

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه:

نطيع نَبِيَّنَا ونطيع ربًّا ... هو الرحمنُ كان بنا رؤوفًا

والرأفة: شدة الرحمة[٢]، فهي إشفاق من جميع الوجوه، وأما الرحمة فقد تكون بشدة، ولكن عاقبتها خير، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [النور:٢]، فلم يقل: (لا تأخذكم بهما رحمة)؛ لأن العقاب هنا هو رحمة في مقصده وعاقبته، وكما قيل:

فقسا لِيَزْدَجِرُوا ومن يَكُ حازمًا ... فليقْسُ أحيانًا على مَنْ يَرْحَم

(١) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص:٢٤٦)، والفائق للزمخشري (١/ ٤١٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١١٥)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (ص:١٢).

وكأن الرحمة تَسْبِق الرأفة، فهذه منزلة وهذه منزلة بعدها.

والرأفة آخر ما يكون من الرحمة، ولذا وصف سبحانه نبيه ﷺ بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ويقال لمن أصابه بلاء في الدنيا: (هذا البلاء خير، لعل الله أراد بك رحمة بهذا البلاء).

ويقال لمن أنعم الله عليه بالعافية في الدنيا وفي الآخرة، واتصلت به السلامة ظاهرًا وباطنًا: (إن الله قد رأف به).

فيا رؤوف يا رحيم، الْطُف بنا في قضائك، وعافنا من بلائك، وألحقنا بالصالحين من أوليائك.

الله ذو الجلال والإكرام

جاء هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨]، وقوله: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧].

وهي صفة للذات، وصفة للوجه أيضًا؛ أي: المستحق لأن يُجَلَّ ويُكَرَّمَ.

ومن ذلك: تعظيم ذاته وصفاته وشرائعه ومقدساته، وكل ما يُنْسَب إليه سبحانه، فهو المستحق لأن يُهاب لسلطانه، ويُثنى عليه؛ لعلوِّ شأنه.

ومن ذلك: أنه ذو الإكرام لعباده المؤمنين، يكرمهم بعطائه ورحمته، ومغفرته وجنته ورضوانه، وقد كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء، ويقول: «**أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام**»[(١)]. فالزموا هذه الدعوة وأكثروا منها.

وقد ثبت في الحديث أنه ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، ثم قال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[(٢)].

وقد جاء هذا الاسم ضمن اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أعطى، وإذا سُئل به أجاب، فعن أنس رضي الله عنه، أن رجلًا دعا، وقال: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمدَ، لا إله إلا أنت، المنَّانَ، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٣٢)، والترمذي (٣٥٢٤)، والنسائي في الكبرى (٧٧١٦)، والحاكم (١/ ٤٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٢).

حيٌّ يا قَيُّومُ». فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أَعطى**»[١].

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه أحمد (١٢١٥٠، ١٣٠٨١)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (١/ ٥٠٣-٥٠٤)، وغيرهم.

● الله الغني

ورد اسم الله «**الغني**» ثماني عشرة مرة في الكتاب العزيز مقرونًا ومنفردًا، كقوله سبحانه: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٦٨]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨]، وقوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦].

وهذا الاقتران له أسرار تطول، منها:

أنه غَنِيٌّ عن المعرضين، حميد حامد للمقبلين الطائعين، فهو سبحانه غني عمَّا سواه، وكل مخلوق مفتقر إليه فقرًا اضطراريًّا، لا دافع له، وفقرًا اختياريًّا مبنيًّا على معرفة النفس والعلم بالرب تعالى.

فالله لا حاجة له إلى أحد أصلًا، ولا إلى شيء من خلقه، ولذا وصف عباده بالفقراء إليه، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

وغاية الغنى: الافتقار إلى الله، والذُّل بين يديه، والاعتراف بالعجز، فهو سبحانه يقول في الحديث القدسي: «**إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني، ولن تبلغوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني**»[١].

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

● الله النور

ورد اسم الله «**النور**» في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور:٣٥].

و«**النور**» من أسمائه الحسنى، وهو صفة للعظيم سبحانه، فهو نور السماوات والأرض، ونور قلوب المؤمنين، وفي الحديث: «**حجابه النور، لو كَشَفَه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[(١)].

أما النور المخلوق، فهو على قسمين:

نور جسمي، كنور الشمس والقمر والكواكب، ونور معنوي، كنور المعرفة والطاعة؛ فإن لها نورًا في القلب، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وعَظِّم لي نورًا**»[(٢)].

وقيل: إن معنى الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ أي: خالقها ومنشِؤها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩). وسبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).

والأقرب حمله على المعنى الأول الظاهر، وقد جاء في هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري ومسلم: «**لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن**»[١].

○ ○ ○ ○

(١) صحيح البخاري (١١٢٠)، وصحيح مسلم (٧٦٩).

الله الوتر

الوتر -بكسر الواو وفتحها- هو: الفرد، أو ما لم يتشفَّع من العدد: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣]، وهو بالفتح والكسر قراءتان[١].

وقد ورد هذا الاسم الجليل في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدًا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**»[٢].

والوتر: أي الواحد الفرد الذي لا شريك له ولا نظير في ذاته ولا انقسام.

واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وهو سبحانه يحب الوتر ويأمر به في العبادة.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يا أهل القرآن أوتروا، فإن الله عز وجل وتر يحب الوتر**»[٣].

ومعناه: يحب كل وترٍ شَرَعَه، ومحبته له أنه أمر به وأثاب عليه، وخصَّصه بذلك لحكمةٍ يعلمها.

وقد اختُلِف في معنى الوتر الذي يحبه الله على أقوال:

(١) ينظر: القاموس المحيط (و ت ر)، ومعجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (١٠/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٨٧٧)، وأبو داود (١٤١٦)، والنسائي (١٦٧٥)، والترمذي (٤٥٣)، وابن ماجه (١١٦٩)، وابن خزيمة (١٠٦٧)، والحاكم (١/ ٣٠٠).

فقيل: يوم الجمعة.

وقيل: يوم عرفة.

وقيل: آدم عليه السلام.

وقيل: صلاة المغرب.

وقيل: صلاة الوتر.

والأولى حمله على العموم.

وقد خطر ببالي، والله سبحانه أعلم أنه يدخل في معناه: محبة الله للسبق إلى الخيرات حتى يتفرَّد فيها عمن دونه؛ كما في قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة:١٠]، وقوله: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الحديد:٢١]، وقول النبي ﷺ: «**سَبَقَ المفرِّدون**». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[1]. فهو سبحانه يحب السّابقين المتفردين المتفوقين في الخير والعبادة، أو في العلم، أو في البر، أو في الجود، أو في نفع الناس وإيصال الخير إليهم، ويحب المسابقة في ذلك: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين:٢٦]، ويكره المنافسة في أضدادها من الشر، والظلم والعدوان، والبغي والقطيعة، والعقوق والبخل.

والله سبحانه وتعالى متفرد عن خلقه، فهو وتر وجعلهم شفعًا، فلا تكاد تعتدل أمور الخلق إلا بالزوجية، ولا تكاد تستقر أو تهنأ بالفردية أو الأَحدية، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات:٤٩].

ومن دعاء الله عز وجل المتعلق بهذا المعنى: ما رواه النسائي عن مِحْجَن بن الأَدْرَع رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد إذا رجل قضى صلاته وهو يتشهَّد فقال: اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. فقال رسول الله ﷺ: «**قد غُفِرَ له**». ثلاثًا[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٩٩٥)، وأبو داود (٩٨٥)، والنسائي (١٣٠١)، وابن خزيمة (٧٢٤)، والحاكم (١/ ٢٦٧).

الله الهادي

من أسمائه سبحانه وتعالى: «**الهادي**» الذي يُبصِّر عباده ويُعرِّفهم طريق الإيمان به، والإقرار بألوهيته، ومعرفة طريق بناء الحياة ومعرفة نواميسها وسننها، حتى هدى الطيور والحيوانات والهوامَّ والوحوش إلى ما فيه مصالحها وعيشها، ومحاذرة ما يضرُّها أو يُعْطِبُها.

وقد أرشد النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأله الدعاء فقال: «**قل: اللهم اهدني وسَدِّدْني. واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسَّدَاد سَداد السَّهْم**»[1].

وقد جاء ذكر اسم الله «**الهادي**» في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤].

إنها هداية المعارف الفطرية الضرورية لكل مخلوق: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠].

وهي ثانيًا: هداية الإرشاد والبيان التي بَعَث بها أنبياءه، وأَنزَل بها كتبه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة:٢٤].

وهي ثالثًا: الأخذ بالقلوب والعقول إلى مواضع رضاه بالتوفيق والإلهام والحفظ واللطف، كما وعد سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥).

﴿بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس:٩]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

وهي رابعًا: الهداية في الدار الآخرة إلى الجنة والتَّنَعُّم بها، فيُهْدَون إلى منازلهم وإلى صنوف الاستمتاع حتى مما كانوا لا يعرفونه في دار الدنيا، كما قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٥-٦]، وكما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

وهو منـزِّل الكتاب الذي مَنْ تركه ضاع في بيداء الحياة، ومَنِ ابتغى الهُدى مِنْ غيره أضلَّه الله.

فارقتُ أهلي وأوطاني وأولادي	ولذَّ عندي لديكم مَلْهَجُ الحادي
حتى سَكَبْتُ لديك الدمعَ يا هادي	بعد الكَلال وبعد النَّصْب والتعبِ
وحُسْنُ ظنِّي على التحقيق يخبرُني	عنكمْ بأنَّك بعد الكَسْرِ تَجْبُرُني
وفي غدٍ من عذاب النار تَخْفُرُني	إن الشفاعةَ أقوى كلِّ ذي سببِ

○ ○ ○ ○

الله البديع

من أسماء ربنا جل وعز: «**البديع**». وقد جاء في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧]، وفي قوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٠١].

و«**البديع**»: معناه الـمُبْدِع، فهو الذي أبدع السماوات والأرض، فأنشأهما على غير مثال أو نموذج سابق.

إن الإنسان لو أراد أن يبني بيتًا صغيرًا في حجمه ومساحته، لوجدَته يعتمد على نماذج اعتمدها مَنْ قَبْلَه، وقد يستطيع أن يُدْخِلَ تعديلًا هنا أو هناك، أو يختار ما يتناسب مع ذوقه وظروفه واعتباراته الخاصة، ولكنه يظل مرهونًا بما قبله وبما حوله، ويتقيد بتجارب سابقة وأنماط محددة، هذا هو الإنسان في ضعفه وفي قدرته المحدودة.

أمَّا الله عز وجل فهو الإله الخالق المبدع الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من المجرات والنجوم، والجمادات والإنسان والحيوان، والطير والنبات، والماء والهواء والنور، وغيرها من الأشياء التي يَضِجُّ بها هذا الكون الذي يشارك فيه كل المؤمنين بالله تبارك وتعالى، إيمانًا وتسبيحًا، واعترافًا وتعظيمًا لهذا المبدع الحكيم سبحانه وتعالى الذي هو: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. أي: خالقهما ومخترعهما على غير نموذج سابق ولا مثال متقدِّم.

إن الإنسان لو لم يرَ بعينه الماء، ثم جاءه شخص يصف له هذا الماء الذي هو كائن تراه العين، وتلمسه اليد، لربما اعتقد أنه يتكلم بضرب من الخيال أو الوهم أو الجنون، أو أنه يخادعه ويمازحه.

ولو أراد إنسان أن يصف لك النور الذي يكشف الأشياء ويُظْهِرها، ويُجَلِّيها، ويقع عليه نظر الإنسان ويُحُسُّه، وهو مع هذا ليس له جُرْمٌ مادي، وليس بمقدورِ أحدٍ أن يمسكه بيده، ثم أراد أن يَصِف لك النار، ويفرق بينها وبين النور، وكيف أن النار لها إحراق وتَوَهُّج وضراوة، بخلاف النور الذي هو أقرب إلى الإضاءة والكشف، لكان الأمر مُحَيِّرًا.

ولو أراد أن يصف لك الهواء الذي يستنشقه الإنسان، وكيف أَثَرُه في حياة الإنسان والنبات، وفي حياة الكون ووجوده ووجود العديد من الأشياء المحسوسة المدركة تمامًا، ومع ذلك لا تراه العين، ولا تمسكه اليد، لكانت دهشته منه أشد، ولكن هذه الأشياء أصبحت من المألوفات، وكمْ أفسدَ الإِلْفُ والاعتياد بهجة مشاهدة بديع خلق الْـمُبْدِع الحكيم الخالق جل وتعالى، ولو أن الإنسان تأمل في هذا الكون وهذا التنوُّع الشامل، لأدرك جانبًا من معنى قوله سبحانه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

إن الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن في غير ما موضع الاحتجاج بآيات الله تعالى الكونية في الآفاق؛ في الكون، وفي النفس، واحتج بها على عظمة الله وقدرته سبحانه، وأن الكون منه وإليه، واحتجَّ بها على البعث بعد الموت كما في الاحتجاج بالسماء، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٦-١١].

فهذا دليل على القدرة الإلهية الكاملة، ودليل على بعث الناس بعد موتهم وخروجهم من قبورهم.

إنك لو تأمَّلتَ كريات الدم الحمراء التي تَسْبَح في عروق جسدك، وتؤدي مهمتها

العظيمة على أكمل وجه، لوجدت هذه الكريات الهائلة العدد، الصغيرة التي لا تراها العين لو وضعت في امتداد على خط واحد، لكانت تحيط بالكرة الأرضية كلها خمس مرات، على رغم صغر حجمها، حيث يبلغ عددها خمسة ملايين كرة دم حمراء في كل مليمتر مكعب واحد من الدم، وهذه الخلية التي يتكون منها جسد الإنسان، والتي هي جرم صغير جدًّا تقطع في دورتها في جسم الإنسان قرابة (١١٥٠) كم، فتأمل هذه المسافة الهائلة في هذه الدورة العظيمة وأنت غافل عن ذلك، لا تُدْرِكه، ولا تحسُّ به.

كذلك القلب الذي يضخُّ الدم في البدن بلا تَوَقُّف سنوات طويلة تبلغ سبعين أو ثمانين أو أكثر، فهل نعلم أنه إذا كان عمر الإنسان المتوسط ما بين الستين والسبعين سنة فإن قلبه يكون قد ضخ (٥٦) مليون لتر دم في أنحاء البدن، ومع ذلك فهذا القلب لا يحتاج إلى أي أعمال إجرائية تحتاجها أكثر الأجهزة حداثة ودقة وتقنية وتصنيعًا، ولا يحتاج غالبًا إلى صيانة ولا راحة، فهو دؤوب دائم قائم بمهمته الجوهرية، حتى لو كنت تجهل اسمه أو عمله!

كما نرى مخلوقات متناقضة في ظاهرها؛ كالنار والماء، والنور والظلام، ومع ذلك جعلها الله سبحانه وتعالى متوافقة منسجمة متداخلة في منظر بديع، وصورة حسنة، وإبداع جميل، تجعل الإنسان لا يملك إلا أن يُسَبِّح لهذا الْـمُبْدِع الحكيم، الذي جعل هذه المواد المتناقضة تتكامل مُنْسَجِمة متوافقة، ويتكون منها منظر، لا تَمَلُّ العين رؤيته ومشاهدته.

فسبحان المبدع الذي تسرح العيون في خلقه، وتشاهده وتتعجب منه، ولا يزال العلم يكتشف كل يوم جانبًا من جوانب العظمة والإبداع في خلقه سبحانه، وقد يظن كثيرون أن العلم اليوم شيخ كبير هَرَم، قد ملك من ألوان المعرفة الشيء الكثير، وأن عنده لكل سؤال جوابًا، في حين أن الواقع يشهد أن العلم لا يزال فتىً في مُقْتَبَل عمره، قاصرًا في نظره إلى عالم الكون العظيم، الذي لا يزال مجهولًا بالنسبة إليه، ولم يكتشف منه إلا النـزر اليسير.

والخلق قد يبدعون، ولكنه إبداع بقدر معلوم في ضمن ما خلق الله تعالى، فالإبداع الملتزم المنضبط مطلب بشري ضروري، كالإبداع في القول والبيان، ومن عجائب صنع

البديع سبحانه وتعالى: إقدار البشر على النطق والفهم، ولو أن إنسانًا تفكَّر كيف يَخْرُج الصوت، وكيف يختلف من شخص إلى آخر، وكيف نشأت اللغات بين أهلها، لتملَّكه الدهشة والعَجَب!

إن الإنسان قد يبدع بالكتابة، ويبدع بالخطابة، ويتنوَّع في ذلك، وقد يبدع في الصناعة والاختراع، وفي الكشف والإدارة، وفي فنون العمل، وشؤون الحياة كلها، ولكن هذا الإبداع بكل حال هو ضمن دائرة المباح الواسعة، وضمن البحبوحة التي جعل الله تبارك وتعالى آفاقها مفتوحة لعباده، بشرط أن يكونوا مطيعين له، ولا يجوز لهم أن يخرجوا عن طاعته والتزام أمره، وهكذا أيضًا أغلق الله تعالى عليهم باب الإبداع- أو الابتداع- في الأمور الإلهية التعبدية الخاصة، فليس من حق البشر أن يبتدعوا عبادة خاصة من لدن أنفسهم، يتقربون بها إلى ربهم؛ لأنهم لا يعرفون كيف يتقربون إليه إلا بما عَلَّمَهم ودَلَّهم عليه سبحانه وتعالى، مثل ما أنزله الله تعالى في كتابه من صور العبادات المختلفة كالصلاة والركوع والسجود، وإذا تأملتَ، وجدتَ أن هذا مثل ذاك كله من عظمة الله.

ومن توسيعه سبحانه على عباده، أن يفتح للعباد آفاق الإبداع، وأن يُحَرِّك عقولهم ومواهبهم وملكاتهم في دروب من الابتكار والاختراع في مجال الحياة كلها، وبالمقابل أن يمنعهم أن يتدخلوا في الجانب التعبدي؛ لئلا تتحول حياتهم كلها إلى أنماط عبادات مُخْتَرَعة: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾ [يوسف:٤٠].

تأمَّلْ سطورَ الكائناتِ فإنها ... من الملأ الأعلى إليك رسائلُ
وقد خُطَّ فيها لو تأملتَ خطَّها ... أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
شهودٌ على فَضْلِ الإلهِ ومَنِّهِ ... لسانٌ فصيحٌ صامتٌ وهو قائلُ

○ ○ ○ ○

الله الوارث

«**الوارث**»: هو الموصوف بالوراثة من غيره.

والوراثة في حق الخلق: انتقال المال أو غيره من المتقدِّم للمتأخِّر.

وكل باق بعد ذاهب فهو وارث.

وقد ورد هذا الاسم الكريم «الوارث» في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر:٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٩]، وقوله: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨]، وقوله تعالى بصيغة الفعل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ [مريم:٤٠].

و«**الوارث**» سبحانه هو مَنْ يرث الأرض ومَنْ عليها، فيموت الكل ولا يبقى سواه: ﴿ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾.

فهو سبحانه وارث الخلق أجمعين؛ لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾، فهو الباقي بعد فنائهم، والمستردُّ أملاكهم ومواراثهم، ولم يزل سبحانه باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورِّثها من يشاء، ويستخلف فيها من يحب.

وباسم الله «**الوارث**» تنكشف حقيقة ملك الناس للأشياء، ومن يظنون أنهم يملكون ملكًا حقيقيًّا، فجميع الخلائق تموت ويزول عنهم ملكهم، ويبقى الحق المالك للوجود

سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، فيجيب عن نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].

واسمه «**الوارث**» نذير لمن ظلم ولمن عاش في أمن ودَعَةٍ ولم يشكر ربه، فكل هذا إلى زوال، كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥٨]، أي: منهم، إذ لم يَخْلُفْهم أحد يتصرف تَصَرُّفَهم في ديارهم، بل كان الله وحده الوارث: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم:٤٠].

وفي اسم الله «**الوارث**» حثٌّ لعباده المؤمنين على النفقة في سبيله، وتذكيرٌ لهم بأنهم مستخلَفون فيما عندهم من الأموال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ [الحديد:٧].

ثم بَيَّنَ لهم بعدها أن ما ينفقون صائر إلى الله إذا ماتوا؛ لأنه سبحانه له ميراث السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الحديد:١٠].

○ ○ ○ ○

الله الطيب

جاء اسم الله «**الطَّيِّب**» في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أيها الناس إن الله طيب، لا يقبلُ إلا طيبًا، وإن الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون:٥١]، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]»[(١)].

و«**الطَّيِّب**» هو الْـمُنَزَّه عن النقص والعيب، وهو الطاهر، وهو بمعنى القُدُّوس.

ومن تَبِعات ذلك: ألا يُتقرَّب إليه إلا بالطيب من الأقوال والأفعال والأموال، كما أشار ﷺ في الحديث، وقد قال سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وفي دعاء التشهد: «**التحيات لله والصلوات والطيبات...**».

فالطيبات من كل شيء له سبحانه، وهو يحب الطيب والطيبين، ويهدي أولياءه للطيب، كما قال: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الحج:٢٤]، وجعل الجنة دار الطيبين بقوله لهم سبحانه: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

ووصف مساكنهم في الجنة بأنها طَيِّبة، فقال: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ [التوبة:٧٢]، كما أن حياة المؤمنين في دار الدنيا هي حياة طيبة مملوءة بالسعادة والرضا، والركون إلى رحمته وفضله وكرمه وستره.

○ ○ ○ ○

(١) صحيح مسلم (١٠١٥).

● الله رفيع الدرجات

كما في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥]، وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:٣].

ورفيع الدرجات يتضمن عدة معانٍ:

منها: رافع السماوات السبع وماسكها، ولذا قرنها بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

ومنها: سمو معاني أسمائه، وعظمة صفاته، وكمال قدرته، واستحقاقه لكل صفات الثناء والمدح والتعظيم.

ومنها: رفعه لدرجات أوليائه في الدنيا بالسعادة والرضا، والنجاح والتوفيق، وفي الآخرة بالجنة والرضوان.

ومن هذا: قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فجعل الإيمان والعلم سببًا في رفعة الدرجات وعلوِّ المقامات.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام:١٦٥]، فهذه درجات الدنيا من مال أو جاه أو سلطان، أو قوة أو موهبة أو غيرها مما يجري فيه الابتلاء والاختبار.

يا رافعَ السَّبعِ الطباقِ وواضعَ الـ ... أرضِ المـذلَّلةِ الثُّريَّـا والـثَّرى
يا رافعَ الدرجاتِ في الدنيا لِمَنْ ... سلكَ الطريقَ ولو يطولُ به السُّرى
يا كاملَ الأوصافِ مَجْدُكَ سابقٌ ... ولأوليائِك مـنه ما يَصِـلُ الذُّرى
أنت الكبيرُ وَأهلُ كُلِّ كَريمةٍ ... ما إِنْ يـَزالُ سَحابُ جُودِكَ مُمْطِرا

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا ليس من أسمائه الحسنى، بل هو من صفات أفعاله أو صفات أسمائه، مثل: «شديد العقاب»، و«سريع الحساب»، و«شديد المحال»... لأن معناها: درجاته رفيعة؛ فالرفعة صفة لدرجاته.

وهذا ما اختاره الدكتور عمر الأشقر[1]، وهو وجه جيد، والله أعلم.

❍ ❍ ❍ ❍

(١) أسماء الله وصفاته للدكتور عمر الأشقر (ص ٦١)، وينظر: إيثار الحق لابن الوزير (ص ١٦٠).

● الله المنان

جاء اسم الله «**الـمَنَّان**» في الحديث الذي أخرجه أبو داود، والترمذي، وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه، أن رجلًا صلَّى وقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم.... فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**»[(١)].

وفي المسند دعاء: «**يا حنَّان، يا منَّان**»[(٢)].

والأقرب عندي -والله أعلم- أن لفظ: «**الحنَّان**» لا يثبت؛ لأنه لم يرد إلا في هذه الرواية وفيها ما فيها.

وقد جاء في القرآن إثبات المَنِّ له سبحانه في مواضع عديدة، كقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤]، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١١٤]، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥]، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٥٩٥)، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، والترمذي (٣٥٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٤٣٥)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (١٠٩)، وأبو يعلى (٤٢١٠)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٧٤٩-٧٥٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٧)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٦٧).

[الطور:٢٧]، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٩٤]، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه:٣٧].

والمَنُّ هنا: هو صنع الجميل، وإسداء النعم والعطاء في الصحة والبدن، والأمن في الوطن، والسَّعَة في الرزق والعقل والإيمان، والسعادة هي بعض عطاياه ومِنَنِه وآلائه.

وقد يمنُّ بالابتلاء بالنفس أو المال أو الأهل، فيسوق العبد إلى حِمى التوبة والمراجعة، والذكر والاستغفار، فله تعالى الـمَنُّ والـمِنَّة على عباده.

وقد ذَمَّ الله تعالى الـمِنَّة في العطية، وهي أن يستعظمها ويذكرها ويُكَرِّرها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٢٦٢].

وإنَّ امرأً أَهْدَى إليَّ صنيعةً   وذكَّرَنيها مرةً لبخيلُ

وفي الحكمة: (ضدان متشابهان: من منح السائل ومنَّ، ومن منع النائل وضنَّ).

○ ○ ○ ○

● الله النصير، الناصر

من أسمائه سبحانه: «**النصير**»، و«**الناصر**»، وهو «**خير الناصرين**».

وقد ورد اسم الله «**النصير**» في قوله جل وعز: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١]، وقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال:٤٠]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:٤٥]، وقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وورد اسم الله «**الناصر**» بصيغة الجمع «**خير الناصرين**» في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠].

ونَسَبَ النصر إليه، فهو ينصر مَنْ يشاء، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وقال: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [الروم:٤-٥].

وأمرنا سبحانه بِنُصْرَتِه فقال: ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤]، وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ [الحديد:٢٥].

فمِنْ نُصْرَته لعباده المؤمنين: توفيقهم إلى الطاعة، وحِفْظهم من الانحراف والمعصية؛ حتى يُخْلِصوا لوجهه الكريم، ويَتَطَهَّروا من كل آفة وخُلُقٍ ذميم؛ فتكون نصرته لهم بحفظهم من أعدائهم، وممن أراد بهم سوءًا، كما في الحديث القدسي الصحيح: «من

عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»[(١)].

وبتحقيق آمالهم ومقاصدهم الصحيحة التي سعوا فيها وبذلوا الجهد في تحصيل أسبابها، كما قال لنبيه ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ...﴾ الآيات [النصر: ١-٣].

فقد تَعَبَّدَهُم ببذل السبب واستفراغ الوُسْع، ووَعَدَهم بالنجاح والفتح، والتوفيق وتذليل العقبات.

إنها ليست مِنحة للكسالى والقاعدين والمتواكلين والمفرطين، ولكنها مكافأة وفَيْضٌ رباني للباذلين والمتحرِّين للأسباب، والفاقهين للسنة، والمستبصرين بتجارب الحياة والأمم.

لقد كان النبي ﷺ يستفرغ طاقة وُسْعِهِ، والعمل والدَّأْبِ والإخلاص، والخلق الكريم والتعبد والنُّسُك، ثم يقول: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل**»[(٢)].

والنصر مقرون بالصبر، كما في الحديث: «**واعلم أن النصر مع الصبر**»[(٣)].

إن المؤمن المتطلع إلى النصر والمجد والرفعة يستمد من اسم الله تعالى «**النصير**» الإلهام والإصرار وقبول التحدي، وعدم الاستسلام للعوائق والْـمُعَوِّقات والموانع، كما يستمدُّ من اسم «الهادي» التقرُّب إلى الأسباب والطرق والوسائل التي يصل بها إلى تحقيق الرفعة والعزة.

حتى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يأتهم نصر سهل رخيص، بل كُذِّبوا وصبروا على ما كُذِّبوا، وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مُبَدِّل لكلمات الله.

ومن الخلل العظيم أن يستلهم المسلم من الأسماء الحسنى معنى القعود والعجز

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٩٣٢)، وأبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وابن حبان (٤٧٦١).

(٣) جزء من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك...**». أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، والحاكم (٣/ ٥٤١-٥٤٢)، والضياء في المختارة (١٠/ ٢٣).

والإخلاد، بل هي تُعلِّم الحركة والفعل الإيجابي، وتُرَبِّي على الثقة بكفاءة النفس، وقدرتها، ومواهبها، وملكاتها مع التوكل على الله.

وبهذا تُنْجِز لو سلكتَ الطريق المستقيم في سَنَةٍ ما يُنْجِزُهُ الآخرون في سنوات؛ ببركة الاستمداد من فضل الله وجوده وعطائه، وبركة ما يستخرجه الإيمان من كوامن الطاقات، وما يحركه من هوامدها.

يا ربِّ أنتَ سميعٌ ... مجيبُ عبدٍ دعاكا
أنا الضعيفُ وصوتي ... قد انتهى لعُلاكا
ما دُمتَ أنت نصيري ... فقوتي من قُواكا
أرجوكَ يا ربِّ عَزْمًا ... يطوي طريقَ هداكا
وانشرْ عليَّ سَحابًا ... مُظَلَّلًا من رضاكا
أُغْنَى به يا إلهي ... عن كُلِّ شيءٍ سِواكا

○ ○ ○ ○

● الله ذو الطول

الطَّول -بفتح الطاء- هو: المنُّ والتفضُّل، ومنه قوله ﷺ في أهل عرفة: «**إن الله تَطَوَّل عليكم في جَمْعِكُم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل**»[(١)].

وقد ورد هذا الاسم في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر:٣].

وهذه آية من فضله ورحمته، فقد بدأت الآية بمغفرة الذنوب وقبول التوبة، ثم ذكر عقابه وشدته للمعاندين، ثم عاد إلى ذكر الفضل مرة أخرى فقال: ﴿ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ ﴾ أي: واسع العطاء، كثير التفضُّل، عظيم الـمَنِّ، كريم جوَاد.

وهذا دليل على القدرة، فهو قدير لا يُعْجِزه شيء، وعلى الكرم والعطاء، فهو الجواد الذي يعطي من يشاء ما يشاء.

وفي آيات عدة ذكر سبحانه النعم، فقال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [إبراهيم:٣٤]، وقال: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى:١١].

يا مَنْ خزائنُ مُلكِهِ في قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فإنَّ الخيرَ عندك أَجْمَعُ

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٤)، وينظر: السلسلة الصحيحة (١٦٢٤).

الله المستعان

هذا الاسم «**المستعان**» يخفى على كثير من المتتبعين لأسماء الله الحسنى، مع أن الظاهر أنه من أسمائه سبحانه؛ لقوله عز وجل في قصة يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، وقال: ﴿قَلَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١١٢]، وفي سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وفي الصحيح مِن حديث أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لما استئذن عليه عثمان رضي الله عنه: «**افتحْ له، وبَشِّرْهُ بالجنة، على بَلْوَى تصيبُهُ**». قال أبو موسى: فأخبرته بما قال رسولُ الله ﷺ، فحمد اللهَ، ثم قال: الله المستعانُ[١].

فهو الذي يُطلب العون منه، وهو المُعِين لخلقه، وكان من دعاء النبي ﷺ الذي علَّمه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**اللهم أعنِّي على ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْن عبادتك**»[٢].

وفي الاسم الكريم إشارة لما أودعه الله في الإنسان من الإرادة والقدرة، والتوجه للعمل، فالبداية تكون منه، والرب تعالى يساعده ويعينه، ولا يَكِلُهُ إلى نفسه.

ومما يُروى عن موسى عليه السلام أنه كان يقول: «**اللهم لك الحمد، وإليك**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٧٢)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، والترمذي (٣٤٠٧)، وابن حبان (٢٠٢٠).

المُشْتَكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التُّكْلان، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١]. وهذا من جوامع الدعاء والذكر.

على أن الاستعانة تكون على مصالح الدنيا؛ في النفس والزوج والأهل، والمال والولد، والصحة والعافية، والسعادة، وكل ما تهفو إليه النفوس.

وتكون في أمر الآخرة؛ كالعبادة والذكر، والشكر والتقوى والتوبة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

○ ○ ○ ○

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).

الله المحيط

من أسمائه سبحانه «**المحيط**»، وقد ورد هذا الاسم في القرآن في ثمانية مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:٢٠]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

والإحاطة تشتمل على العلم والاطلاع على الأحوال كلها، كما تشتمل على القدرة وعدم الفوت، كما تشتمل على السلطان والحكم.

ولذا يجري فيها التقسيم المعتاد، فالإحاطة العامَّة لجميع الخلق مسلِمِهم وكافِرِهم، وهو سبحانه محيط بكل شيء.

والإحاطة الخاصة فيها معنى التهديد للعصاة والمعاندين، فهو عالم بما يمكرون وما يكذبون، وهو من ورائهم محيط، ولهم بالمرصاد، مَرَدُّهم إليه، وطريقهم عليه، ولا يفوتونه تعالى، فإلى أين المهرب والمصير؟

ومن إحاطته بالكافرين: إبطال كيدهم الدنيوي، ونصرة عباده المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١]، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

وهذا فيه تعزيز لجانب العمل والمجاهدة، والمسؤولية الذاتية والتقوى، وقَطْعٌ لدابر الاحتجاج بالقدر في غير محَلِّه، أو التَّهَرُّب من المسؤولية، بإلقاء اللوم على الظروف،

أو مؤامرات الخصوم، أو كيد الأعداء، أو غير ذلك من المعاذير التي يقصد المرء بها التخلي عن التَّبِعة، وستر عيبه، والتهاون في مسؤولياته، والإخلاد إلى القعود والكسل، والتوقف عن محاولة الإصلاح والعمل.

○ ○ ○ ○

الله الإله

«**الإله**» هو المعبود بحق، وهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو المستحق وحده للعبادة دون سواه، وكلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» تستبطن هذا المعنى وتقوم عليه، ففيها إثبات انفراده سبحانه بالألوهية، والألوهية تتضمن كمالَ عِلْمِهِ وقدرته، ورحمته وحِكْمته سبحانه.

وقد ورد هذا الاسم العظيم «**الإله**» في مواضع كثيرة في القرآن والسنة مطلقًا ومقيدًا، ففي القرآن: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ [المائدة:٧٣]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات:٤]، وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٣].

وأما السنة فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما دعاء النبي ﷺ من الليل: «**اللهم لك الحمد، أنت رب السموات والأرض... أنت إلهي لا إله لي غيرك**»[1].

وبَوَّبَ البخاريُّ في صحيحه: باب ما يُذْكَرُ في الذات والنُّعوت وأسامي الله، وقال خبيب: «وذلك في ذات الإله». فذكر الذات باسمه تعالى. وهو يُنَبِّهُ على قصة خبيب

(١) صحيح البخاري (٧٣٨٥)، وصحيح مسلم (٧٦٩).

رضي الله عنه المشهورة، وأبياته التي قال فيها:

ولستُ أُبالي حين أُقتلُ مسلمًا على أي جَنْبٍ كان في اللهِ مَصرَعي

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ يُبارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَــــزَّعِ[١]

وقد دعا يونس عليه السلام ربه بهذا الاسم العظيم دعاء مسألة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، فذكر اسم «**الإله**» في دعائه وتضرُّعه لخالقه.

وعند الترمذي، وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**»[٢].

وعند الترمذي، وصححه ابن حبان: «**لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم...**»[٣].

وعند البخاري من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت...**»[٤].

ومن مواطن ثبوت دعاء الله بهذا الاسم مُقَيَّدًا ما رواه ابن ماجه عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**الحُمَّى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء**». فدخل على ابنٍ لعمار فقال: «**اكشفِ البأسَ رَبَّ الناس إلهَ الناس**»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٧٤٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٩٢)، والحاكم (١/ ٥٠٥).

(٣) أخرجه أحمد (٧١٢)، والترمذي (٣٥٠٤)، والنسائي في الكبرى (٧٦٧٧)، وابن حبان (٦٩٢٨)، والحاكم (٣/ ١٣٨).

(٤) صحيح البخاري (٦٣٠٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٤٧٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٦٦)، والطبراني في الكبير (٤٤٠١) مقتصرًا على آخره.

وفي «صحيح مسلم» عن علي رضي الله عنه: «**اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك**»[١].

فاسم «**الإله**» جامع لنعوت الكمال والجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع أسماء الله الحسنى، ولذا كان المختار من القول أن لفظ الجلالة «**الله**» أصله «**الإله**»، واسم «**الله**» هو الاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العُلى، فهو سبحانه إلهنا وربنا وملكنا، لا مَفْزَعَ لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ندعو ولا نخاف ولا نحب ولا نخضع إلا له سبحانه، فهو الإله الحق، إله الناس، لا إله لهم سواه، فهو ربهم ومَلِكهم وإلههم، فجديرٌ أن لا يستعينوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجؤوا إلى غير حماه، فهو كافيهم وحسبهم، وناصرهم ووليُّهم، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته ومُلْكِه وإلهيته لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل إلى ربه ومالكه وإلهه؟!

إلهَ الخَلقِ يا رَبَّاهُ يا مَن ... إلَيهِ مُشتَكى بَثِّي وَحُزني
ويا ذا الفَضلِ يا جَمَّ الأَيادي ... ومَنْ إحسانُه لِلعَبدِ يُغني
ومَن نُعماهُ لا تُحصى بِعَدٍّ ... ومَن جَدواهُ في أُنسٍ وحُسنِ
إلهي سَيِّدي مَولايَ حِلمًا ... فَما لي غَيرُ حِلمِكَ من مِجَنِّ
أَتَيتُكَ هارِبًا مِن عِبءِ وِزري ... وتَقصيري وما قَد كُنتُ أَجني
أَضَعتُ العُمرَ في قيلٍ وقالٍ ... وَأَرخَيتُ العَنانَ بِكُلِّ فَنِّ
إذا ذُكِّرْتُ يَومًا سوءَ فِعلي ... عَضَضتُ أَنامِلي وقَرَعتُ سِنّي
وما لي حِيلَةٌ إِلّا انطِراحي ... بِبابِكَ يا كَريمُ وحسن ظَنِّي
فَعَفوًا يا عَظيمَ الصَّفحِ عَفوًا ... وغُفرانًا لِما قَد كانَ مِنِّي

○ ○ ○ ○

---

(١) صحيح مسلم (٧٧١).

الله الجواد

أصل مادة (ج و د) هو التسمُّح بالشيء وكثرة العطاء والجود، وهو الكرم[١].

والله سبحانه هو الْجَوَاد الماجد الذي له الجود كله، وجود جميع الخلائق في جَنْب جوده أَقَلُّ من ذَرَّةٍ في جبال الدنيا ورمالها؛ فإن ابْتَلَى خَلْقَه بالأوامر والنواهي، فإنما ذلك رحمة منه وحَمِيَّة، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلًا منه عليهم بما نهاهم عنه، فهو الْجَوَاد الكريم.

مَنْ أَعْظَمُ منه جودًا والخلائق له عاصون، وهو يكلؤهم في مضاجعهم كأن لم يعصوه، ويتولى حفظهم كأن لم يذنبوا، يجود بالفضل على العاصي، ويتفضَّل على المسيء، فمن ذا الذي دعاه ولم يُجِبْه؟ ومن ذا الذي سأله فلم يعطِه؟ وهو الجَوَاد، ومنه الجود، وهو الكريم، ومنه الكرم، يعطي العبد ما سأل، ويعطي العبد ما لم يسأله..

وهو سبحانه يتعرَّف إلى عباده ويتحبَّب إليهم مع غناه التام عنهم؛ وإنما ذلك بمحض فضله وجوده وإحسانه؛ إذ هو الجَوَاد الـمُفْضِل المحسن بذاته، لا لمعارضة، ولا لطلب جزاء منهم، ولا لحاجة دَعَته إلى ذلك سبحانه.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يد الله ملأى، لا يَغِيضُها**[٢] **نفقةٌ، سَحَّاءُ الليل والنهار**». وقال: «**أرأيتم ما أَنْفَقَ منذ خلق**

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٩٣).

(٢) أي: لا ينقصها.

السماوات والأرض، فإنه لم يَغِضْ ما في يده»[١].

واسم «**الجَوَاد**» ورد في أحاديث عدة، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه، عند الترمذي وحسنه، وأحمد في «مسنده»، أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فسلوني الهدى أهدكم... ولو أن أَوَّلَكُم وآخركم... اجتمعوا في صعيد واحد، فسأل كل إنسان منكم ما بَلَغَتْ أمنيته، فأعطيتُ كلَّ سائل منكم ما سأل، ما نقص ذلك من ملكي، إلا كما لو أن أحدكم مرَّ بالبحر فغمس فيه إبرة، ثم رفعها إليه، ذلك بأني جَوَاد ماجد، أفعل ما أريد...**»[٢].

ورُوي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله طيب يحب الطِّيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكَرَم، جَوَاد يحب الجود**». أخرجه الترمذي وغيره[٣].

ورُوي أيضًا: «**إن الله عز وجل جَوَاد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويبغض سَفْسَافَهَا**»[٤].

وهذا الاسم الكريم إذا استشعره العبد سَهُل عليه الإنفاق والجود في سبيل الله؛ ولذا كان سيد الأجواد هو الرسول ﷺ، ففي الصحيحين: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان»[٥].

والجود عشر مراتب بالنسبة للعبد:

---

(١) صحيح البخاري (٧٤١١)، وصحيح مسلم (٩٩٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٤٠٥)، والترمذي (٢٤٩٥)، وابن ماجه (٤٢٥٧)، وأصل الحديث في صحيح مسلم (٢٥٧٧) دون موضع الشاهد، وينظر: السلسلة الضعيفة (٥٣٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٩٩)- وقال: غريب-، والبزار (١١١٤)، وأبو يعلى (٧٩٠، ٧٩١). وفي إسناده ضعف. و ينظر: العلل المتناهية (١١٨٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٦١٧)، وهناد في الزهد (٨٢٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٤٠)، وإسناده مرسل. وينظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٦، ١٦٢٧).

(٥)صحيح البخاري (١٩٠٢)، صحيح مسلم (٢٣٠٨).

- جود بالنفس، وهو أغلاها.
- جود بالرياسة، وهو في قضاء حاجات مَنْ له حاجة.
- جود بالراحة، تعبًا في مصلحة خلق الله.
- جود بالعلم وبذله.
- جود بالجاه في الشفاعة الحسنة.
- جود بالبدن، فكل سلامى عليه صدقة.
- جود بالمسامحة لمن استطال في عرضه.
- جود بالصبر والاحتمال.
- جود بالخُلُق والبِشْر.
- جود بالزهد فيما في أيدي الناس.

بيد أن هذه العشرة محدودة بحدود الخلق، ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف نقص جوده عرف كمال جود مولاه، فهو سبحانه الجواد على الإطلاق، وجُودُ كل جواد من جوده.

ومحبته سبحانه للجود والعطاء والإحسان والبرِّ والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق، أو يدور في أوهامهم.

ومن جوده سبحانه: أنه يحب من عباده أن يؤمِّلوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجَوَاد، وأحب ما إلى الجَوَاد أن يُرجى ويؤمَّل ويُسأل، وفي الحديث: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[(١)].

وهو سبحانه الجَوَاد الذي لا يُنْقِصُ خزائنه الإنفاقُ، ولا يغيض ما في يمينه من سعة عطائه، فما مَنَعَ مَنْ مَنَعَهُ فَضْلَهُ إلا لحكمةٍ كاملةٍ في ذلك، وحكمتُه لا تناقض جُوده؛ فهو سبحانه لا يضع برَّه وفضله إلا في موضعه ووقته، بقدر ما تقتضيه حكمته: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى:٢٧].

---

(١) أخرجه أحمد (٩٦٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣)، والحاكم (١/ ٤٩١).

كان الجنيد رحمه الله يدعو ويقول: «وأسألك اللهم بجودك ومجدك وبَذْلِك وفضلك وطَوْلِك وبِرِّك وإحسانك ومعروفك وكرمك، وبما استقل به العرش من عظم ربوبيتك، أسألك يا جَوَاد يا كريم مغفرة كل ما أحاط به علمك من ذنوبنا...»[١].

قَرُبَ الرَّحِيْلُ إلى مَعادِ الآخرة ... فاجعلْ إلهي خَيرَ عُمري آخرهْ
آنِسْ مَبيتي في القبورِ ووَحْدَتي ... وارحمْ عِظامي حين تبقى ناخِرَهْ
فأنا الْـمُسَيْكِينُ الذي أَيَّامُه ... ولَّت بأوزارٍ غَدَت متواتِرَهْ
فلئِنْ رَحِمْتَ فأنت أكرمُ راحمٍ ... فبِحارُ جودِك يا إلهي زاخِرَهْ

○ ○ ○ ○

(١) ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٢٨٥).

الله الحيي

«**الحَيِيُّ**» من الحياء، والحياء خُلُق يبعث على اجتناب القبيح والتقصير في حق ذي الحق.

قال الجنيد رحمه الله: «الحياء رؤية الآلاء- أي: النعم- ورؤية التقصير؛ فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء».

وبالجملة فالحياء: هو انحصار النفس عن ارتكاب القبائح، شرعية أو عقلية أو عرفية[(١)].

وهذا الاسم الكريم لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة المطهرة، فعن يعلى ابن أُمَيَّةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن الله عز وجل حَيِيٌّ ستِّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[(٢)].

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «إن الله حَيِيٌّ كريمٌ، يَسْتَحْيِي إذا رَفَع الرجلُ إليه يديه أن يَرُدَّهما صِفْرًا خائبتين»[(٣)]. وقد رُوي مرفوعًا، والموقوف أشبه[(٤)].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٥٩)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٩٩٩)، وأبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)، والبيهقي (١/ ١٩٨).

(٣) أخرجه إسماعيل بن جعفر الزرقي في «حديثه» (١٢٧)، ووكيع في «الزهد» (٤٩٦)، وهناد في «الزهد» (١٥٥)، وابن أبي شيبة (٢٩٥٥٥، ٣٤٦٧٧)، وأحمد (٢٣٧١٤)، وفي «الزهد» (ص١٨٩)، والبرجلاني في «الكرم والجود» (٣٢)- ومن طريقه عبد الغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء» (١٨)- والحاكم (١/ ٤٩٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠١٣).

(٤) أخرجه مرفوعًا: أحمد (٢٣٧١٥)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن حبان (٨٧٦)، والحاكم (١/ ٤٩٧)، والبيهقي (٢/ ٢١١)، و«الأسماء والصفات» (١٥٥).

وفي «الصحيحين» عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ.. وفيه: «.. **وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه..**»(١).

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها: «**إن الله لا يستحيي من الحق**»(٢).

وَوَصْفُ الله عز وجل بالحياء هو وصف يُمَرُّ كما جاء، ويُحْمَل على ما يليق به سبحانه، كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نكيِّفها.

وهو سبحانه الحيي فلا يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان، لكنه يُلقي عليه ستره، فهو الستِّير وصاحب الغفران.

وحياؤه سبحانه ليس كحياء المخلوق الذي هو تغير وانكسار من خوف ما يعاب، بل هو ترك ما ليس مناسبًا مع عفوه ورحمته وجوده وبرِّه وظن عباده الحسن به، فسبحانه يستحيي أن يردَّ يدي عبده صفرًا.

وقد وصف سبحانه نفسه بالحياء من العبد، ووصف نفسه بأنه لا يستحي من الحق.

وإذا استشعر العبد صفة الحياء من الله كان مردود ذلك خيرًا في كل أموره سرًّا وعلانية، كما قال بعض السلف: «علمت أن الله مُطَّلعٌ عليَّ فاستحييت أن يراني على معصيته».

وإذا خلوتَ بريبــةٍ في ظُـلـمـةٍ ... والنَّفسُ داعيةٌ إلى العِصيانِ
فاستحْيِ من نظر الإله وقلْ لَها: ... إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يَراني

إن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الآخرة، فلا تنخدع بزينة الحياة الدنيا.

حفظ الرأس، حفظ العقل والفكر والفهم من الواردات الفاسدة والشبهات الـمُضلَّة.

وحفظ البطن، حفظ النفس من الشهوات، شهوات المأكل والمنكح مما لا يَحِلُّ.

ولا يتم ذلك إلا لمن آمن بالآخرة وآثرها على الدنيا ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

(١) صحيح البخاري (٦٦)، صحيح مسلم (٢١٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣).

الله ذو الفضل

الفضل: هو الزيادة في الشيء خيرًا وإحسانًا. والإفضال: هو الإحسان.

والمتفضل: هو مدعي الفضل على غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون:٢٤].

وقد ورد هذا الاسم الشريف «**ذو الفضل**» في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]، ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩].

فكل خير ناله العباد في دينهم ودنياهم فإنه من عنده سبحانه ابتداءً وتفضُّلًا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تعريف من الله تعالى ذكره بهذا الكتاب، وأنه ما آتى نبيه محمدًا ﷺ والمؤمنين من الهداية تفضلًا منه، وأن نِعَمَه لا تُدْرَك بالأماني، ولكنها مواهب، يختص بها من يشاء من خلقه.

وإفضال الله عز وجل أفضل من إفضال غيره لوجوه:

الأول: أن كل ما سوى الله لا يتفضَّل ولا يُحْسِن إلا إذا حصلت في قلبه داعية الإفضال

والإحسان، وتلك الداعية حادثة، فلا تحصل إلا بتخليق الله تعالى، وبهذا ينكشف أن المتفضل على الحقيقة ليس إلا الله الذي خلق تلك الداعية الموجبة لهذا الفعل.

الثاني: أن كل من تَفَضَّل يطلب أو يستفيد نوعًا من أنواع الكمال عوضًا عن تَفَضُّلِه إما مالًا أو ثناءً أو غيره، وهو سبحانه يتفضل لا عن عوض؛ لأنه كامل الذات.

الثالث: أن كل من تَفَضَّل على غيره فالْـمُتَفَضَّل عليه يكون ممنونًا عليه من المُتَفَضِّل، وهذا مُنَفِّر، والله سبحانه هو الْـمُوْجِد الخالق للخلق، فلا يستنكف أحد من قبول فضله وإحسانه.

الرابع: أن الْـمُتَفَضَّل عليه لا ينتفع بفضل غيره من الخلق إلا إذا حصلت له حواس يدرك بها ذلك الفضل وينتفع به، والخالق هو الله فَصَحَّ بذلك أنه المُتَفَضِّل لا سواه.

وهو سبحانه «ذو الفضل» فلا يمنعه مانع من إيصال بِرِّه وفضله لمن أراد من مخلوقاته: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]، ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٧٣]، ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

ومن فضله على عباده: أن نَجَّاهم من كيد أعدائهم ومكرهم، وذلك لَـمَّا خَوَّف الناسُ النبيَّ ﷺ وأصحابَه بالمشركين وعددهم، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، قال تعالى بعدها: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

ومن فضل الله على عباده: أن ثَبَّتهم على الدين وعصمهم من الزيغ والخذلان، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

ومن فضله على عباده: إمهاله سبحانه للعصاة والمذنبين وأهل النفاق وعدم معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:٦٠].

وتفضَّل على الذين خاضوا في حديث الإفك: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤] فسبحان من بيده الفضل وتعالى ذو الفضل والإنعام.

الله ذو المعارج

عَرَج، أي: ارتقى، وعُرِج بالروح؛ أي: صُعِد بها. وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]؛ أي: تصعد[1].

وقد ورد هذا الاسم الشريف «**ذو المعارج**» في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:١-٣].

و«**ذو المعارج**» هو ذو الفواضل والنعم، وهو من صفات الله تعالى؛ لأن الملائكة تعرج إلى الله عز وجل، فوصف نفسه بذلك، فهو سبحانه ذو العلو والدرجات العالية ويُصْعَد إليه بأعمال العباد وبأرواح المؤمنين.

و«**ذو المعارج**» سبحانه تعرج إليه أعمال خلقه، كما قال سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، فملائكة النهار تَعْرُج بأعمال النهار، وملائكة الليل تَعْرُج بأعمال الليل؛ فحَرِيٌّ بعباده أن يُزَيِّنوا صحائفهم بالأعمال الصالحة والمواظبة على الطاعات.

وفي الحديث الصحيح: «**يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يَعْرُج الذين باتوا فيكم، فيسألهم -وهو أعلم بهم-: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»[2].

○ ○ ○ ○

---

(١) ينظر: لسان العرب (٢/ ٣٢٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

الله الرفيق

الرفق: ضد العنف، وهو لين الجانب ولطافة الفعل[1]. والـمِرْفَق: ما استُعين به.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦].

وقد ورد هذا الاسم الشريف «**الرفيق**» في حديث عائشة رضي الله عنها -كما في الصحيح- أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله**». وذلك عندما دخل الرهط من اليهود على النبي ﷺ وقالوا: «السام عليك». فقالت: «بل عليكم السام واللعنة»[2].

وفي مرضه ﷺ الذي مات فيه جعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**». وفي رواية: أنه رفع يده أو أصبعه ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**»[3].

فهو سبحانه «**الرفيق**» على ما يليق المعنى بجلاله تعالى، فهو كثير الرفق والإرفاق، وهو المعطِي لما يُرتفق به، وهو الميسِّر والمسهِّل لأسباب الخير كلها.

فمن رِفْقِه سبحانه: أن يَسَّرَ القرآن للحفظ، وهو أعظم الرفق!

وهو الرفيق الحليم، إذ الرفق يأتي بمعنى: التمهُّل في الأمور والتأنِّي فيها، فهو سبحانه يرفُق بعباده، ولا يُعجِّل العقوبة لعُصاته؛ ليتوب مَنْ سبقت له منه الحسنى، ويشقى مَنْ سبقت له الشقاوة.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٠٠)، لسان العرب (١٠/ ١١٨).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٦٩٢٧)، وصحيح مسلم (٢١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣٧، ٤٤٣٨)، ومسلم (٢٤٤٤).

وهو سبحانه «**الرفيق**»؛ أي: ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه، فلا يعجل فيها.

وقول النبي ﷺ: «**إن الله رفيق**» تصريح بتسميته سبحانه بـ «الرفيق».

ولا يوصف الله سبحانه إلا بما سمَّى به نفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه.

وهو سبحانه تعالى رفيق بعباده، قريب منهم، يحب أهل الرفق والتسهيل والمسامحة.

وفي الحديث السابق: «**يُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على سواه**».

ومن رفقه سبحانه: أن رَأَف بعباده ورَحِمهم شرعًا وقدرًا، وهذا مما لا يُحصى ولا يُعَدُّ.

ومن رفقه سبحانه بعباده: أن أحب الرفق منهم، فقد قال النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زَانَهُ، ولا يُنـْزَعُ من شيء إلا شَانَهُ**»[(١)].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرفقَ يُحْرَمِ الخيرَ**»[(٢)].

فينبغي لكل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره، غير عاجل فيها، مستشعِرًا لمعاني اسم الله عز وجل «**الرفيق**»، وسلوك النبي ﷺ، فإنه كان أرفق الناس بأمته وأرحمهم بها.

وأولى الناس بهذا المعنى هم الدَّالُّون على الله من أهل العلم والدعوة، والخطابة والتربية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم من الرجال والنساء، وممن تَعْرِضُ لهم المثيرات، فإيمانهم بربهم، وبأنه رفيق يحب الرفق حتى مع المخالفين والمستفزِّين، يحملهم على التَّطَبُّع بالرفق والسماحة والرحمة والصبر.

○ ○ ○ ○

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).

الله المحسن

الحُسْنُ ضد القبح، وحسَّنَ الشيء تحسينًا: زيَّنهُ[1]. والمحاسن: ضد المساوئ.

والحسنى؛ أي: البالغة الحسن في كل شيءٍ كمالًا وجمالًا: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم سبحانه[2].

والمحسن في الشرع: هو من بلغ درجة الإحسان، وقد فسره النبي ﷺ بـ «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

وقد ورد هذا الاسم «**المحسن**» في السنة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب الإحسان**»[4].

وليس هو بالمشهور، أعني الاسم، ولذا استغربه بعض أهل العلم.

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: «**إن الله عز وجل محسن يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا**

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (١/ ٥٨)، لسان العرب (١٣/ ١١٤).

(٢) ينظر: صحيح مسلم (١٨١)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٤٨٤)، وتفسير الطبري (١١/ ١٠٤)، وفتح الباري (٨/ ٣٤٧)، (١٣/ ٤٣٢)، والدر المنثور (٤/ ٣٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في الديات (ص:٥٢)، والطبراني في الأوسط (٥٧٣٥). وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٧٦)، و ينظر: السلسلة الصحيحة (٤٦٩).

الذَّبح، وليحدَّ أحدكم شَفْرَته ثم لِيُرِحْ ذبيحته»[1].

وكأن لفظ «**المحسن**» في حديث شداد رضي الله عنه شاذٌّ؛ لأن الحديث في الصحيح بدونه[2].

وقد ورد اسم الله «**المحسن**» جل وعلا فعلًا لا اسمًا، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف:١٠٠]، وفيه معنى فضل المنَّان والوهَّاب، وفيه معنى ذي الفضل.

و«المحسن» سبحانه: هو الذي بلغ كمال الحسن في صفاته وأسمائه وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨].

والله عز وجل المحسن الذي غَمَر الْخَلْق بإحسانه.. بَرَّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

ومن إحسانه سبحانه وتعالى: أن أخرج الكل من العدم إلى الوجود ممتنًّا عليهم بذلك: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

ومن كمال إحسانه سبحانه: أن صوَّر خلقه في أحسن صورة: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

ومن إحسانه: أن جعل الإنسان عاقلًا؛ ليميزه عن باقي المخلوقات: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان:٣]، وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل:٧٨].

ومن إحسانه: أن أنعم على خلقه بالإسلام وهداهم إليه، وهو من أعظم الإحسان والإنعام.

ثم إحسانه بحفظ كتابه، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨]: «إنه القرآن»[3].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٨٦٠٣)، والطبراني في الكبير (٧١٢١).

(٢) صحيح مسلم (١٩٥٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ١٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠٤٢٨)، وشعب الإيمان (٢٥٩٧)، وتفسير القرطبي (٨/ ٣٥٣).

ثم إحسانه إلى عباده أن أسكنهم الأرض، واستعمرهم فيها، ورزقهم من الطيبات.

وهو سبحانه محسن يحب المحسنين.

والإحسان نوعان:

إحسان في عبادة الله، وهو المفسَّر في الحديث.

وإحسان إلى عباد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠].

والإحسان: هو الإتقان والتجويد، وقد تعبَّد اللهُ عبادَه بتجويد الأعمال وإتقانها، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، فالابتلاء ليس بكثرة العمل، بل بحسنه وإحسانه.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي يعلى والبيهقي بسند جيد: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[١].

والجودة اليوم غدت شرطًا في المنتجات كلها، صناعية كانت أو علمية أو إعلامية.. إلخ.

فالجدير بالمسلم أن يكون اهتمامه مضاعَفًا بإتقان عمله، وضَبْطِ أدائه، وإنجاز مسؤوليته؛ استشعارًا لرقابة الله أولًا، وتَطَلُّعًا إلى نَيْل محبته ورضوانه، وطمعًا في إحسانه الذي ينال المحسنين، وبعد ذلك كله حرصًا على تحصيل مصالح الحياة الدنيا للفرد والأسرة والجماعة، والمجتمع والدولة والأمة.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢)، وينظر: السلسلة الصحيحة (١١١٣).

الله السبوح

التسبيح: التنـزيه.

سبحان الله: أي: تنزيهه من الصاحبة والولد، ومن كل نقص وعيب.

و«**السُّبُّوح**» هو سبحانه من بَعُدَ أن يكون له شريك أو نِدٌّ أو مثيل أو ضد، فله أوصاف الكمال والجمال بلا نقص، وتقدَّست أفعاله عن الشرِّ والسوء.

وقد ورد هذا الاسم «**السُّبُّوح**» في السنة من حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند ركوعه وسجوده: «**سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح**»(١).

فـ«**السُّبُّوح**» هو المُنَزَّهُ عن كل سوء، وعن المعائب والصفات التي تَعْتَوِر الـمُحْدَثين من ناحية الحدث.

و«**السُّبُّوح**» الذي تُسَبِّحه ألسنة الخلق، وهو يُسَبِّح نفسه، كما في غير موضع من كتاب الله تعالى، ومنها سور الـمُسَبِّحات، وما كان من تسبيح النبي ﷺ لربه، وهذا باب يطول وقد صنَّف أهل العلم كتبًا خاصة في ألوان التسبيح وذكر الله تعالى، كما في «الأذكار» للنووي.

وثبت أن النبي ﷺ خَرَجَ من عند زوجه جويرية رضي الله عنها بكرةً حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلتِ على

(١) أخرجه مسلم (٤٨٧).

الحال التي فارقتك عليها؟». قالت: نعـم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»[1]. فيسبح الله تعالى معترفًا بحمده، مُدْرِكًا أن التسبيح من فضله جل وتعالى، جاعلًا التسبيح مقرونًا بالحمد فيقول: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**».

و«**رضا نفسه**» أي: تسبيحًا يصل إلى مرضاته، وأقصى ما يريده العبد ويتطلع إليه أن ينال رضا ربه تبارك وتعالى، فإذا قال: «**سبحان الله وبحمده رضا نفسه**»، أي: سبحانك يا ربي حتى ترضى. وهذا تسبيح عظيم يمتد ويستمر ويعظم إلى أن يصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى.

و«**زِنَةَ عرشه**» وعرش الله عز وجل العظيم لا يَقْدُر قَدْره إلا الله تعالى، ولا يحيط الخلق به علمًا في عظمته وسَعته وزِنته، فإذا سبَّح العبدُ ربَّه بزِنة هذا العرش، فكم تكون عظمة هذا التسبيح، وكثرة الثواب المترتب عليه؟

و«**مداد كلماته**» أي: بقدر المداد الذي تكتب به كلمات الله تبارك وتعالى، وكلمات الله تعالى نوعان:

الكلمات الشرعية: التي بها الأمر والنهي، والتحليل والتحريم، والشرع مما أنزل الله تعالى على رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام جميعًا، كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، والصحف التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم، فهذه كلمات الله الشرعية التي بها الأمر والنهي والتشريع.

النوع الثاني من كلماته: الكلمات القدرية: التي بها يخلق تعالى ويرزق، ويحيي ويميت، ويرفع ويخفض، ويقبض ويبسط، كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]. والله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

فأمره كلام، وعطاؤه كلام، ومنعه كلام، ولذلك فكلمات الله تبارك وتعالى مما لا يحصيه الخلق، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٧]، وقال: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩].

فإذا قلت: «**سبحان الله وبحمده، مداد كلماته**»، سبَّحت الله سبحانه وتعالى بقْدر المداد الذي تكتب به كلماته، مع أنه لا يأتي عليها عَدُّ الخلق ولا حصرهم.

و«**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**»: وخلقه مما لا يحصيه إلا هو، في البَرِّ والبحر، والسماء والأرض، والدنيا والآخرة، من جماد، وحيوان، وإنسان، وذَرَّات، وخلايا، وما نعلم، وما لا نعلم، وما نبصر، وما لا نبصر، فهذا استيعاب لألوان التسابيح والمحامد التي فتح الله بها على سيد المسبحين ﷺ.

وهذا التسبيح العظيم الجامع فيه من معاني الثناء على الله تبارك وتعالى، وتأليهه، وإثبات صفات العظمة والمجد والكبرياء له، ونفي صفات النقص والعيب والعجز عنه، فيها من ذلك الشيء العظيم، وتجد ألوانًا من التسبيح القرآني، كما يسبح الله تبارك وتعالى نفسه في قوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١]؛ أي: نَزِّه ربك الأعلى الذي له العلو المطلق في ذاته وصفاته، وأسمائه وقدره، وقهره وعظمته سبحانه.

وكما قال سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجمعة:١]، ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الحشر:١]، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء:٤٤].

والتسبيح لله تبارك وتعالى نوعان:

الأول: التسبيح القَدَري القهري الذي بموجبه تسبح المخلوقات كلها، من الجمادات والأملاك والأفلاك، والأشجار والأحجار والجبال، والأرض والسماء والنجوم وغير ذلك، فكل هذه الأشياء تُسَبِّح الله تعالى، بل جسد الإنسان وذراته تسبح الله، فقلبه يسبح الله، ويده وجوارحه تسبح الله تبارك وتعالى، حتى الكافر، ولهذا قال الله تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

فهذا تسبيح اضطراري قد جُبلت عليه المخلوقات.

وقد يقول قائل: إن المقصود بهذا التسبيح أنها تطيع الله تعالى فيما خُلِقَت له، فتسبيح الشمس هو طلوعها وغروبها، وتسبيح القمر مثل ذلك، وتسبيح النجوم بسيرها في مداراتها.

وهذا معنى محتمل، وهو بذاته صحيح، وهذا من التسبيح، ولكن هذا لا يعارض أن يكون لهذه المخلوقات تسبيح آخر مما لا يفقهه الناس، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾، بينما الناس يفقهون بعض هذا التسبيح الذي هو تسخيرها في مصالح الناس ومنافع العباد، ولا تَعَارُض بين هذا وذاك.

وأما النوع الثاني: فهو التسبيح الاختياري الذي يسبح المؤمنون به ربهم، فيُثْنُون عليه بصفاته وأسمائه وأفعاله جل وتعالى.

والمؤمن يسبِّح ربه تبارك وتعالى في ركوعه، فيقول: «سبحان ربي العظيم»، وهذا أن ينحني انحناءة العبودية لله عز وجل، ويسبحه في سجوده بعدما يُعَفِّر حُرَّ وجهه؛ خضوعًا وتعظيماً لهذا الرب العظيم، فيقول: «سبحان ربي الأعلى»، وقارن بين خضوعه وسجوده في الأسفل على الأرض، وبين تعظيمه لربه الأعلى جل وتعالى، وكذلك يقرأ القرآن الذي فيه من أنواع التسبيح لله تعالى ما لا يطيقه الناس، إلا أن يُقْدِرَهم الله تعالى عليه ويُعَلِّمهم إياه، ويسبح ربه بما سبحه به نبيه ﷺ من جنس ما ذكرنا وأشرنا: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ [الروم:١٧-١٨].

فهو الـمُسَبَّح الـمُقَدَّس، الـمُبَرَّأ من النقائص، والـمُنَزَّه عن الشريك، وعن كل ما لا يليق بألوهيته.

يسبحه من في السماوات والأرض بمختلف الأصوات واللغات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

﴿ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]، ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سبأ:١٠]؛ أي: سبِّحي مع داود.

فسبحانه تسبح له كل الكائنات وتسجد له: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ [الحج:١٨].

○ ○ ○ ○

الله السّتير

«**السّتير**» من السَّتْر، والسَّتْر: الإخفاء.

ويأتي الستر بمعنى المنع، كما في الحديث: «**مَنْ ابتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهن، كنَّ له سِتْرًا من النار**»[(١)].

وورد هذا الاسم الكريم «**السّتير**» في السنة من حديث يعلى بن أُمية رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالنهار بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن الله عز وجل حَيِيٌّ ستِّير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[(٢)].

وقد اشتهر اسم «**السّتير**» عند بعض الناس بأنه الستار، حتى تسمَّى به أناس، بالإضافة إليه، وهو قريب في اللفظ والمعنى.

مِن الطريف أن أحد الفضلاء وقع له حادث في سيارته، حيث انقلبت في الطريق، وحضر الناس لإنقاذه وإنقاذ أسرته وهم يهتفون كالعادة: يا سَتَّار، يا سَتَّار. فأطلَّ عليهم برأسه من حيث هو، وهو يصحِّح لهم ويستدرِك عليهم ويقول: قولوا: يا ستير، قولوا: يا ستير. رحمه الله وغفر له.

وورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رجلين سألاه عن الاستئذان في

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٩٩٩)، وأبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)، والبيهقي (١/ ١٩٨).

الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال لهما ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله سِتِّير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حِجال في بيوتهم؛ فربما فاجأ الرجلَ خادمُهُ أو ولدُهُ أو يتيمُهُ في حَجْره وهو على أهله، فأمرهم الله عز وجل أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمَّى الله عز وجل، ثم جاء الله عز وجل بعد بالستور، وبسط عليهم في الرزق، فاتخذوا الستور، واتخذوا الحِجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أُمِروا به»[(١)].

و«**الستير**» روايتان: إحداهما: كسر السين وتشديد التاء مكسورة «**السِّتِّير**»، والثانية: فتح السين وكسر التاء مخففة: «**السَّتِير**».

وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه بالستر، كما ورد عند أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أُغْتَال من تحتي**»[(٢)].

والله سبحانه وتعالى هو «**الستير**» يستر على عباده ولا يفضحهم في المشاهد، ويحب من عباده السَّتر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم، محبٌ لتارك القبائح، ساتر للعيوب والفضائح.

وهو الحييُّ فليس يفضح عَبْدَهُ ... عند التجاهُرِ منهُ بالعِصيانِ
لكنهُ يُلقي عليه سِتْرَهُ ... فهو السَّتِيرُ وصاحبُ الغفرانِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٢) مختصرًا، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٣٢)، والبيهقي (٧/ ٩٧) و ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٤)، وفتح الباري (١١/ ٣١).

(٢) أخرجه أحمد (٤٧٨٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٠)، وأبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٠١)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وابن حبان (٩٦١)، والحاكم (١/ ٥١٧-٥١٨).

و«**السِّتير**» سبحانه يأمر بالستر، ويكره المجاهرة بالمعصية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:١٩].

وفي الحديث: «**كل أمتي معافًى إلا المجاهرين، وإن من المجاهَرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**»(١).

والمؤمن إن وقع في معصية أو تقصير في واجب بالغ في الستر على نفسه، وقد ورد أن بعض السلف خرج إلى الصلاة، فاستقبله الناس خارجين من المسجد، فغطى وجهه ورجع.

والله سبحانه وتعالى يقول لعبده المذنب يوم القيامة: «**إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم**»(٢).

و«**السِّتير**» سبحانه يحب السَّتر ويحث عليه ويُرَغِّب فيه، ففي الحديث: «**ومن سَتَرَ مسلمًا سَتَرَهُ الله يوم القيامة**»(٣).

و«**السِّتير**» سبحانه لا يحب تتبع عورات المسلمين وكشفها؛ لأن من أسمائه «السِّتير»، وفي الحديث: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتَّبع عوراتِهم يتبعِ الله عورته، ومن يتبعِ الله عورَتَهُ يفضحْهُ في بيته**»(٤).

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).
(٤) أخرجه أحمد (١٩٧٩١)، وأبو داود (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة رضي الله عنه، والترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان (٥٧٦٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الله السيد

«**السَّيد**» هو الذي فاق غيره بالحلم، والمال، والدفع والنفع، والمعطي ما له في حقوقه.

قال عكرمة: «السيد: الذي لا يغلبه غضبه»[(١)].

و«**السَّيد**»: هو الكريم، والملك، والرئيس، والسخي.

وسيد العبد: مولاه، وسيد المرأة: زوجها، قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:٢٥].

وقد ورد هذا الاسم «**السيد**» في السنة المطهرة، من حديث عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**»[(٢)].

والله سبحانه وتعالى هو «**السيد**»، أي: أن السُّؤدد حقيقة لله عز وجل، والخلق كلهم عبيد له، والخلق محتاجون إليه بالإطلاق، فهو سبحانه مالك الخلق السيد الذي تَحِقُّ له السيادة.

وهو الإلهُ السَّيدُ الصَّمدُ الَّذِي ... صَمَدَتْ إليه الخلقُ بالإذعانِ

الكاملُ الأوصافِ من كل الوجو ... ه كمالُه ما فيه من نقصان

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٢)، تاريخ دمشق (٦٤/ ١٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٣٥٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٦)، والضياء في المختارة (٩/ ٤٦٦).

فسبحان السيد المالك، والمولى والرب، الذي كَمُل سؤدده وشرفه، والعظيم الذي كَمُل في عظمته، والحليم الذي كمُل في حلمه، والغني الذي كَمُل في غناه وجبروته وحكمته.

السيد الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وتلك صفات لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له.

وقد وصف الله عز وجل نبيَّه يحيى بقوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:٣٩]؛ فإنه سبحانه لم يُرِد بالسيد هنا: المالك المطلق كما هو في حقه سبحانه، وإنما أراد: الرئيس، والإمامة في الخير.

والعرب تقول: (فلان سيدنا)، أي: رئيسنا وكبيرنا.

وقد كره النبي ﷺ -كما تقدم- منهم قولهم: «أنت سيدنا»؛ لكراهته أن يمدح في وجهه، ومحبته للتواضع، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ لقوم سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**قوموا إلى سيدكم**»(١). وقال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر**»(٢).



(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥)، والترمذي (٣١٤٨) وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «**ولا فخر**».

الله الشافي

الشفاء: البُرْء من المرض، وما يُبْرِئ من المرض أيضًا.

وقد ورد هذا الاسم «**الشافي**» في السنة من حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا، أو أُتي به قال: «**أَذْهِبِ البَاسَ ربَّ الناسِ، اشفِ وأنت الشَّافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا**»[1].

وقد ورد بصيغة الفعل في القرآن: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء:٨٠]، والله سبحانه هو «**الشافي**» على الإطلاق، وقد قال النبي ﷺ: «**لا شافي إلا أنت**»[2].

و«**الشافي**» سبحانه يشفي النفوس من أسقامها، والأبدان من أمراضها، وقد أنزل القرآن شفاءً لعباده فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢]؛ أي: شفاءً يُستشفى به من الجهل ومن الضلالة، ويُبصَّرُ به من العمى.

وأما الأبدان ففي الحديث: «**ما أنزلَ اللهُ داءً إلا أنزلَ له شفاءً**»[3].

وقال ﷺ: «**لكل داء دواء، فإذا أُصِيبَ دواءُ الداءِ بَرَأَ بإذن الله عز وجل**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

وقال أيضًا: «**ما أنزلَ اللهُ داءً، إلا قد أنزلَ له شفاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[١].

فسبحان من قدَّر الأسباب، وأمر بالأخذ بها.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه أحمد (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٨)، وابن حبان (٦٠٦٢)، والحاكم (٤/ ١٩٦، ٣٩٩).

● الله الحفي

حَفِيَ به حَفاوةً -بفتح الحاء- فهو حَفِيٌّ؛ أي: بَالَغ في إكرامه وإلطافه والعناية بأمره[1].

والحفيُّ أيضًا: المستقصي في السؤال، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وحفي الله بك: أكرمك. والتَّحفِّي: الكلام واللقاء الحسن.

وقد ورد هذا الاسم الكريم «**الحفي**» مُقَيَّدًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

و«**الحفي**»: البارُّ اللطيف، وعلى هذا يكون معنى الآية: إنه بارٌّ بي، ولطيفٌ يجيب دعائي إذا دعوتُه، وعلى هذا التقدير: يسألونك كأنك بارٌّ بهم، لطيف العشرة معهم.

والأقرب: كأنك شديد المعرفة لهم.

و«**الحفي**» هو المعتني بالشيء.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ فيه خمسة وجوه: مقرِّبًا مُكْرِمًا رحيمًا عليمًا مُتَفَقِّدًا.

وكل هذه المعاني صحيحة، فهو سبحانه حَفِيٌّ بالأنبياء والمؤمنين الصالحين، وهم يشعرون بذلك ويدركونه، وسيجدونه حين تضيق عليهم الأسباب، أو تُغلق دونهم الأبواب، ولذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧]؛ أي: أن

(١) ينظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٧)، القاموس المحيط (ص:١٦٤٦).

إبراهيم يرى هذه الحفاوة، ويعلمها، وينتظرها في مواضعها، وإنه لخليق بكل مؤمن أن يسعى لها، وأن يجد الروح والأنس والرضا والحُبْور بهذا الإحساس الجميل، كما قال ﷺ: «**تَعَرَّفْ إليه في الرخاء يَعْرِفْكَ في الشدة**»[(١)].

يا حَفِيًّا بالصالحين أَثِبْني ... منك عفوًا ورحمةً ورشادًا
واكْفِني شرَّ كلِّ باغٍ وطاغٍ ... واهدِني منك في طَرِيقي سَدادًا

○ ○ ○ ○

(١) جزء من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك...**».
أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، والحاكم (٣/ ٥٤١-٥٤٢)، والبيهقي في الشعب (١٠٠٠٠)، وغيرهم.

خاتمـة

ولله تعالى من الأسماء والصفات ما استأثر به في علم الغيب عنده، فلا يعلمه من خلقه أحد، فخليق بالمسلم أن يتعرَّف إلى ربه تبارك وتعالى، وأن يحفظ هذه الأسماء، ويتعرَّف على معانيها؛ فـ «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[1].

وإحصاؤها يكون بحفظها، وفَهم معانيـها، والإيمان بها، ودعائه تعالى ثناءً وتمجيدًا، وسؤالًا وطلبًا، مع استحضار معانيها في كل أحوال المسلم، فعلى قدر معرفة معانيها والإيمان بها، يستقيم عمل الإنسان، وتصلح أحواله.

إنها المعرفة الحَقَّةُ التي تُثْمِر الخُلُقَ الكريم، والإحسان إلى الناس، وحِفْظَ حقوقهم ومقاماتهم، وتحقيق العبودية للخالق الْـمُنْعِم، وإقامة العلاقات الاجتماعية على أساس سليم، فهذه جَنَّة الدنيا العاجلة، مع وَعْد الصدق بجنة الآخرة لمن تقرَّبوا إليه وعَرَفوه، ولجؤوا عند الشدائد لدعائه واستغفاره، فلنحفَظْها ونلقِّنها صغارنا، ولنتفهم مدلولاتها وآثارها، وليكن في أدراج مكتباتنا كتيب يشرح معانيها، ولننشرها في مساجدنا ومدارسنا، ومنازلنا ومجالسنا؛ حتى تكون بركة في عقولنا وقلوبنا وحياتنا وعلاقاتنا.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

